للكشف عن أسرار أشرس حملة صليبية يشهدها التاريخ

عقائد
النصارى الصهاينة
وأسرار مخططاتهم

دكتور
عاطف محمد نجيب المطيعي

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

عقائد
النصارى الصهاينة
وأسرار مخططاتهم

بطاقة فهرسة

أثناء النشر

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

المطيعي ، عاطف محمد نجيب
عقائد النصارى الصهاينة وأسرار مخططاتهم
دكتور / عاطف محمد نجيب المطيعي
القاهرة : دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، 2009 م
318 ص ، 24 سم
رقم الإيداع : 20598 / 2009 م
تـــدمـــك : 5 - 436 - 297 - 977 - 978
1 - للكشف عن أسرار أشرس حملة صليبية يشهدها التاريخ
أ - الحروب الصليبية
ب - العنوان

953,07393

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة : القــاهـرة - ٨ شـــارع عـبـد القاهر الجرجاني

مــدينـة نصر - ت : ٢٢٧١٣٨٦٥ - فاكس : ٢٢٧١٣٨٧٥

المكتبة : ٧ شارع الجمهوريـة - عابدين - القاهرة ت ٢٣٩٠٩٢٣١

الإمارات : دبـي - ديــرة . شـــارع المرقبات - الخبيصي

ت المكتبة ٢٦٥٧٢١١ - فاكس ٢٦٥٧٢١٢ - جوال ٠٥٠٤٣٦٦٢٦٢

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ البقرة

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ ﴾
المائدة 82

إهــداء

إلى روح المجاهد الذى أبقى حياته فى سبيل الله...

وفى مجابهة الصهيونية ......

العلامة المحدّث والفقيه

فضيلة الشيخ/ محمد نجيب المطيعى

(رحمه الله)

صاحب تكملة المجموع شرح المهذب

وأستاذ علوم الحديث بجامعة أم درمان الإسلامية

ـ سابقا ـ أهدى هذا الجهد المتواضع...

أ.د. عاطف محمد نجيب المطيعى

شكر واجب

أتوجه بخالص شكرى وتقديرى إلى كل من عاونني لإخراج هذا الكتاب بالصورة التى بين أيديكم، فقد عاونني كثير من الأصدقاء جزاهم الله عنى خيرا فى جمع المادة العلمية، ويسروا لى الكثير من المراجع.

وأخص بالشكر صديقى وزميلى الشاعر الكبير الدكتور محمد جاهين بدوى رئيس قسم اللغة العربية بكلية المعلمين فى بيشة الذى كانت ملاحظاته القيمة ومراجعاته خير عون ودليل، فجزاه الله عنى خير الجزاء.

* * *

الفهـــرس

الجزء الثانى

مخططات النصارى الصهاينة لتدمير الإسلام وإبادة أهله

مقدمة

الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، وعلى كل من حمل راية الدعوة لنشر الدين، وجاهد فى سبيل الله منذ بعثته صلى الله عليه وسلم حتى يوم الدين . . . . . أما بعد

فما أشبه الليلة بالبارحة . . . . فبالأمس عانت أمتنا العربية الإسلامية من وطأة الحملات المتتابعة التى شنتها الحركة الاستعمارية الاستيطانية التى عرفت باسم الحملات الصليبية، وكانت هذه الحملات السابقة الأوروبية الأولى لمحاولة استعمار العالم العربى وتهدف إلى ضرب الإسلام تحت راية النصرانية وباستخدام شعارها (الصليب) واستغلت النصوص الدينية لبناء أيدلوجية تسوّغ استعمار البلاد واستغلال أهلها ونهب ثرواتها بل وإعطاء صفة الشرعية لهذا النهب، واعتبار جل الجرائم والأعمال القذرة فى حق شعوبنا وأمتنا أعمالا بطولية يبلّغ مرتكبيها رضا الرب وبركته، ثم تأتينا اليوم حملة صليبية جديدة، حملة أدق تنظيمًا وأعنف ضراوة وأشد شراسة و أكثر قذارة وأخس طوية، يملؤها الشيطان غلاً وحقداً على الذين آمنوا، حملة لا تكتفى بالاستيلاء على الأرض، فهدف الصليبية الصهيونية نهب الأرض وثرواتها كما ترمى إلى استئصال شأفة الإسلام وإبادة المسلمين.

والواقع الذى نحياه اليوم يسير العديد من التساؤلات التى تجعل اللبيب حيرانا !! . وتبدو الحقائق غائبة، والواقع أن الحقيقة لم تكن يوما غائبة، ولكن سحابات التضليل قد غشيت أبصار العباد فاحتار اللبيب ولم يفسر لماذا تكيل أمريكا والغرب بمكيالين؟،

لماذا يساندون إسرائيل ويدعمونها بكل ما أوتوا من قوة عسكرية واقتصادية وتكنولوجية؟! . . لماذا وهى المغتصب السفاح الآثم الذى لا يراعى أبسط قواعد الإنسانية ؟! لماذا يقفون بجانب إسرائيل ضد العرب، ومصالحهم الحقيقية مع العرب، فكبد الأرض يحمل النفط والغاز و المواد الخام وكلها عصب الاقتصاد وغذاء التنمية، وكل هذا عند العرب فليس عند إسرائيل لا بترول ولا غاز (ولا يحزنون) وهم يأخذون ذلك منا فلماذا يساعدونها ضدنا ؟!ثم إن عدد سكان الأمة العربية وما عندهم من أموال يجعلهم قوة شرائية هائلة وماكينات استهلاكية جبارة، وجميع ما يستعملونه ويستهلكونه من سلع مستوردة من الغرب من ملابس وأدوات كهربائية وسيارات وطائرات وأسلحة ولعب أطفال وأطعمة وأشربة، كل هذا الاستهلاك دونما وجود سوق تمثل عُشر ذلك فى إسرائيل، فالسوق العربية كالنهر المتدفق من الأموال التى ينتهى مصبها فى يد الغرب الذى يصنع المغريات للعربى الذى يبالغ فى شراء ما لا يحتاج حتى يبيع ما يحتاج! فلماذا يقفون ضدنا ويساعدون إسرائيل ؟!!! ليست هناك صناعات عربية منافسة لصناعات أمريكا والغرب فى هذه السوق الخضم الواسعة، بينما إسرائيل دولة صناعية منافسة لأمريكا والغرب فعندما تريد دولة عربية أن تقيم صناعة فى بلادها كأحد مظاهر النهضة ومستلزماتها، فإنهم يبيعون لها تقنيات الصناعات الملوثة للبيئة والتى يريدون التخلص منها، كصناعة السيراميك والاسباستوس والأسمدة والأسمنت والغزل وأصباغ الدهانات، فيحافظون على بيئتهم نقية ويصدّرون لنا الصناعات الملوثة لبيئتنا والتى أعياهم تحويلها إلى صناعات نظيفة !!!! فلماذا يقفون ضدنا ويساعدونَ إسرائيل ؟!!!

كانت هناك إجابات فيما مضى يحاولون إقناعنا بها، وهى أننا ندور فى فلك الاتحاد السوفيتى الملحد الذى يخوض حربا باردة مع الغرب، ونتبنى الاشتراكية أيدلوجية ومنهجا، ولكن هذه الدعوة قد ثبت بطلانها، إذ انهار الاتحاد السوفييتى، وانتحرت الشيوعية وماتت الاشتراكية اختيارا، ولم يعد لها فلك ندور فيه أو نلوذ بحماه ويظل السؤال قائما.

تعالت بعد انهيار الشيوعية صيحات توعية تدق ناقوس الخطر وتنبه الغافلين وتحمل مشعل التنوير للسائرين فى ضباب التعمية والتعتيم، وتقول بأن الغرب قد نفض من

الشيوعية يديه وتفرغ الآن لمحاربة الإسلام. وتعالت صيحات لا أدرى أمضلِّلة هى أم مضلَّلة تقول : ما هذا الإسلام الذى تدّعون أنه يمثل قوة تذكر أمام قوة أمريكا والغرب ؟! فالعرب جميعا كحاصل جمع الأصفار مهما تعددت لا تساوى إلا صفراً. أنتم تختلقون فكرة المؤامرة وتضخمون من حجم منهجكم، فالغرب لا يستشعر قوتكم ولا يقيم لكم فى أيدلوجيته وزنا. إن الغرب ينظر للعرب نظرة دونية لذلك يساعدون إسرائيل ضد العرب!! وهكذا أراد عملاء الغرب من بنى جلدتنا تضليلنا وتعمية عيوننا عن حقيقة المؤامرة التى سنوضح منشأها وأهدافها وتاريخ تطورها.

وأجيب على هذا التضليل بأنه أين كانت إسرائيل المتقدمة قبل عام ١٩٤٨ م، لماذا استعملت بريطانيا العظمى كل إمكاناتها لخلق دولة الكيان الصهيونى فى فلسطين ؟ ,إن إسرائيل مؤيدة من قبل أن تولد كدولة وكيان. وأجيبك عن لماذا يكيلون بمكيالين ويساعدون إسرائيل ويدعمونها، فالحقيقة ببساطة أن هناك الكثير من الناس يظنون أن الصهيونية فكرة يهودية أو فئة من فئات اليهود، والحقيقة غير ذلك، ففكرة الصهيونية فكرة نصرانية ولدت بميلاد البروتستانتية فى أوائل القرن السادس عشر، ومنذ ذلك الحين تحولت نظرة النصرانية لليهود تحولا من النقيض إلى النقيض، كما أسميتها من التدنيس إلى التقديس، فبعدما كان اليهود يُعَامَلون على أنهم قتلة المسيح ومعذبوه، صاروا أصل الدين، فالمسيح ولد يهوديا وجاء خصيصا لبنى إسرائيل، وما كان صلبه وتعذيبه إلا تنفيذا لمشيئة الرب ذاته. وصار النصارى أمام اليهود كالكلاب التى تأكل من فتات موائد أسيادها، طبقا للنصوص التى قدسوها وسقناها بهذا الكتاب[١]، وبمجموعة من النصوص والأساطير حمل النصارى الصهاينة - خيبهم الله - فكرة إقامة دولة لليهود فى فلسطين عند جبل صهيون (زَيون) وذلك حتى يعود المسيح إلى الأرض من جديد تحقيقا لنبوءات الكتاب الذى قدسوه.

وقد أوضحت فى الجزء الأول من هذا الكتاب النصوص الدينية والعقائد التى اعتنقوها والركائز التى ترتكز عليها مناهج حياتهم القائمة على الوازع الدينى والمستمدة من الكتاب الذى قدسوه بعهديه (القديم وهو التوراة والجديد وهو الإنجيل) وأتناول فى هذا الكتاب طائفة من النصارى وهم النصارى الصهاينة وليس الحديث عن

---

(١) قصة المرأة الكنعانية الواردة فى الإنجيل وورد ذكرها وتحليلها داخل متن الكتاب.

عموم النصارى فالأقباط فى مصر مثلا مستهدفون من قبل الصهاينة سواء كانوا نصارى أو يهود.

كما اصطنعوا كذبة كبرى، اسمها مملكة داود، أو أرض إسرائيل القديمة التى حدودها من النيل إلى الفرات. وقد وضحت فى صفحات هذا الكتاب بالأدلة العلمية والبراهين الساطعة كيف أن مملكة إسرائيل القديمة كانت فى التاريخ الفلسطينى كالخيط الرفيع فى الثوب الفضفاض أو كحلقة فى فلاة، فمملكة إسرائيل لم تدم سوى اثنين وسبعين عاما فى تاريخ الأرضى الفلسطينية الممتد عبر التاريخ من عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد منذ سكنها الكنعانيون (الفلسطينيون حالياً)، كما أن هذه المملكة كانت تشغل حيزا جغرافيا ضئيلا للغاية، فراسخ معدودات، فعلى مر التاريخ لم تكن هناك مملكة واحدة تحكم من النيل إلى الفرات إلا مملكة مصر فى عهد الفرعون تحتمس الثالث فقط، كما أن الساحل الفلسطينى الممتد من شمالى يافا إلى جنوب غزة كان تابعا لمصر، وكذلك هناك بعض المؤرخين الذين يؤكدون أن القدس لم تكن عاصمة لمملكة إسرائيل بل أكثر من ذلك قالوا بأنها لم تكن ضمن مملكة إسرائيل القديمة أصلاً.

وأول الحملات الصليبية الصهيونية التى جاءت بهدف إنشاء وطن لليهود فى فلسطين كانت حملة نابليون ١٧٩٨م (بخلاف ما دسوه لنا فى كتب التاريخ) وقد قدمنا أدلة ذلك فى هذا الكتاب.

وعندما هاجر النصارى الصهاينة لأمريكا (القارة الجديدة) راحوا يمارسون صهيونيتهم فى إبادة سكان البلاد الأصليين من الهنود الحمر و يطلقون عليهم اسم الكنعانيين أى الفلسطينيين، ولم يبشروهم بالخلاص إذا دخلوا فى دين المسيح، ولم ينصّروهم ويدخلوهم فى ملتهم، ولكنهم أبادوهم ابتغاء مرضاة الرب. معتقد النصرانية الصهيونية الفاسدة يرى إبادة المسلمين أمراً مقدسا، فحزام الشر من أفغانستان إلى مراكش، يجب تفتيته تمهيدا لمعركة هرمجدون، هكذا أوعز الشيطان لحزبه فاتحد اليهود مع النصارى مع أهل الكفر أجمعين، وراحوا يتكالبون علينا كتداعى الأكلة إلى قصعتها مثلما أخبرنا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وذلك تحت مسميات قوات التحالف، والقوات متعددة الجنسيات، وقوات الدعم اللوجيستى، وصدق أو لا تصدق أن هناك دولا ترسل جيشا مدججا بأفتك أسلحة الدمار وتدعى أنها ترسله لإعادة الإعمار! أملا فى التعمية والتحايل حتى لا تسقط ورقة التوت.

وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب قد شرحت ووضحت كيف لجأ الصليبيون بعد فشل حملاتهم المسلحة إلى أساليب جديدة، وأنكب المستشرقون على دراسة مجتمعاتنا المسلمة وراحوا يحددون مواطن الطعنات ويصنعون معاول هدم الدين وإبادة المسلمين. وقد سلطت الضوء على معاول الهدم التى حملها أعداؤنا، لينالوا من كياننا وعقيدتنا، ووضحت مقاتلنا التى يريدون النيل منا من خلالها، هكذا صارت هذه المواطن ثغوراً يجب على المسلم أن يجاهد عندها، وتلك رسالتى أبعث بها لكل مسلم غيور على دينه، محبٍّ لأوطانه، فأكثر شىء يساعد عدونا هو غفلتنا عنه، وعدم إدراكنا لمواضع مراميه خاصة تلك التى تتوارى أياديه خلف أناس من جلدتنا، يتحدثون بلساننا، وهم منا ولكنهم إليه أقرب.

وأسأل الله العلى القدير أن يجعل رسالتى هذه مزيلة للغشاوة كى يبصر المسلم حقيقة أمره، ومدى استهدافه من الصهاينة، كى تتحقق نبوءات مشكوك فى صحتها أصلا، وأسانيد متوهمة قدسوها، واتخذوها دينا يدينون به، وصار محونا واستئصال شأفتنا عقيدة يعتنقونها وصلاة يتقربون بها إلى ربهم، فلا تُمَكّنوا أيها المسلمون عدوكم منكم بغفلتكم، واستمسكوا بعُرَى دينكم، فهو عصمة أمركم، والله ليس بغافل عما يصنع المجرمون.

أ.د عاطف بن محمد نجيب المطيعى

السعودية-بيشة فى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

تنويه مهم :

يطلقون على من ألّهوا نبى الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام (اسم المسيحيين)، وقد ولدت هذه الكلمة فى أنطاكية حوالى عام ٣٢٠م منذ تبنى المجمع المسكونى أو النيقاوى نظرية التثليث المدّعاة أى الطبيعة الثلاثية للمسيح - بزعمهم - ولم يرد ذكر هذه الكلمة فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية الشريفة ، لكن التسمية بلفظ (النصارى) هو التسمية التى أطلقها عليهم القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)﴾ [البقرة : ١١٣].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾

[البقرة : ١٢٠].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠)﴾ [التوبة : ٣٠].

وبهذه التسمية القرآنية التزمنا فى جميع فصول هذا الكتاب .

الجزء الأول

عقائد النصارى الصهاينة
ونصوصهم المقدسة

الفصـل الأول

التعريف بالصهيونية والصليبية

معنى كلمة صهيونية

إن كلمة صهيونية ارتبطت فى الأذهان باليهود واليهودية، ولكنها فى واقع الأمر تتجاوز اليهود فهناك تيارات صهيونية عديدة، حتى إن منها ما هو متكئ على ركيزة دينية وعقائدية، ومنها ما هو ذو نزعة علمانية لا تنتمى لأى مذهب أو لأى دين، وهناك صهيونية يعتنقها يهود وأخرى يعتنقها نصارى (وهم محور تناولنا فى هذا الكتاب).

فمعنى كلمة الصهيونية فى اللغة كما جاء فى المعجم الوسيط : « الصهيونية نسبة إلى صهوة [1]: موضع السرج من ظهر الفرس. ومن كل شىء أعلاه، والبرج الذى يتخذ فوق الرابية. ومكان متطامن من الأرض تأوى إليه ضوال الإبل ومنبع الماء فى الجبل. والجمع : صُهاء وصُها. والصهيونية أيضا نسبة إلى (جبل صهيون) وهو جبل بالقدس، وتدعو الحركة الصهيونية إلى إقامة مجتمع يهودى فى فلسطين حيث أرض صهيون وجبل صهيون[2] .

---

(١) أفادنى الدكتور محمد جاهين بدوى بأن النسبة إلى صهوة صهوى، وليس صهيونى، وأن الصهيونية (مصدر صناعى) لإكساب الكلمة دلالات معنوية لم تكن متحققة فيها قبل صوغ هذا المصدر منها كالإنسان والإنسانية.

(٢) محمد إبراهيم الشربينى صقر : الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية. طبعة المؤلف. القاهرة ٢٠٠٣.

وجاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى: وفيها (أى القدس)كنيسة تسمى كنيسة الأم إلى جانبها قصر الملك وتسمى هذه الكنيسة صهيون بصهيون بيت المقدس طولها فرسخ فى فرسخ فى سمك مائتى ذراع ومساحة هيكلها ستة أجربة والمذبح الذى يقدس عليه القربان من زبرجد أخضر طوله عشرون ذراعًا فى عرض عشرة أذرع يحمله عشرون تمثالاً من ذهب ».

كما ورد «سَيلون: وهى قرية من قرى نابلس بها مسجد السكينة وحجر المائدة والأكثرون على أن المائدة نزلت بكنيسة صهيون ويقال: إن سيلون منزل يعقوب النبى عليه السلام فإن يوسف عليه السلام خرج منها مع إخوته فألقوه فى الجب بين سِنجيل ونابلس عن يمين الطريق وهذا أصح ما روى ».

وورد أيضا صهْيُون: بكسر أوله ثم السكون وياء مثناة من تحت مفتوحة وواو ساكنة وآخره نون، قال الأزهرى: قال عمرو: صهيون هى الروم وقيل: البيت المقدس، قال الأعشى يمدح يزيد عبد المسيح ابنى الديان وقيل: يمدح السيد والعاقب أساقفة نجران:

ألا سيدَى نجـران لا يوصِينكما . . . بنجران فيما نابها واعتراكما

فـإن تفعـلا خـيراً وترتديـا به . . . فإنكما أهـلٌ لـذاك كلاكما

وإن تكفيـا نجـران أمر عظيمة . . . فقبلكـما ما سادها أبواكما

وإن أجلبت صِهيَونُ يوماً عليكما . . . فإن رحا الحرب الدكوك رحاكما

قلت: فهو موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون أيضاً حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حصن لكنه ليس بمشرف على البحر وهى قلعة حصينة مكينة فى طرف جبل، خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور إلا من جهة واحدة مقدار طوله ستون ذراعًا أو قريب من ذلك وهو نقر فى حجر ولها ثلاثة أسوار سوران دون مربضها وسور دون قلعتها وكانت بيد الإفرنج منذ دهر حتى استرجعها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من يد الإفرنج سنة ٥٨٤هـ، وهى بيد المسلمين إلى الآن[١].

(١) هكذا بالمرجع أما الآن فهى ضمن أراضينا المحتلة، فك الله أسرها وأسر جميع بلاد المسلمين.

ولها ـ بيت القدس ـ ثمانية أبواب حديد باب صهيون وباب النية وباب البلاط وباب جب أرميا وباب سلوان وباب أريحا وباب العمود وباب محراب داود عليه السلام والماء بها واسع وقيل ليس ببيت المقدس أكثر من الماء.

وورد فى كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزى تحت عنوان فى دين النصرانية: من أعياد النصارى (القبط) عيد الزيتونة: ويعرف عندهم: بعيد الشعانين، ومعناه التسبيح، ويكون فى سابع أحد من صومهم وسنتهم فى عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة، ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنو، وهو الحمار فى القدس، ودخوله إلى صهيون، وهو راكب والناس بين يديه يسبحون، وهو يأمر بالمعروف، ويحث على عمل الخير، وينهى عن المنكر، ويباعد عنه».

فكانت له ولهم عدة مناظرات آلت بهم إلى أن اتفق أحبارهم على قتله، وطرقوه ليلة الجمعة، فقيل إنه رُفع عند ذلك، وقيل بل أخذوه وأتوا به إلى بلاطس النبطى حاكم القدس من قبل الملك طيباريوس قيصر، وراودوه على قتله وهو يدفعهم عنه حتى غلبوه على رأيه، بأن دينهم اقتضى قتله، فأمكنهم منه، وعندما أدنوه من الخشبة ليصلبوه رفعه اللّه إليه، وذلك فى الساعة السادسة من يوم الجمعة خامس عشر شهر نيسن، وتاسع عشر شهر برمهات، وخامس عشر شهر آذار، وسابع عشر شهر ذى القعدة، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر، فصلبوا الذى شبه لهم، وصلبوا معه لصين وسمروهم بمسامير الحديد، واقتسم الجند ثياب المصلوب، فغشيت الأرض ظلمة دامت ثلاث ساعات حتى صار النهار شبه الليل ورؤيت النجوم، وكان مع ذلك هزة وزلزلة، ثم أنزل المصلوب عن الخشبة بكرة يوم السبت ودفن تحت صخرة فى قبر جديد، ووكل بالقبر من يحرسه لئلا يأخذ المقبور أصحابه، فزعم النصارى أن المقبور قام من قبره ليلة الأحد سحرًا، ودخل عشية ذلك اليوم على الحواريين وحادثهم ووصاهم، ثم بعد الأربعين يومًا من قيامه صعد إلى السماء والحواريون يشاهدونه، فاجتمعوا بعد رفعه بعشرة أيام فى علية صيون التى يقال لها اليوم صهيون خارج القدس»

وكما ورد فى « المواعظ والاعتبار » أيضا عند الحديث عن النصارى : ولهم بالقدس القمامة وكنيسة صهيون.

وورد فى « رحلة ابن بطوطة » : ثم سافرت إلى مدينة صهيون، وهى مدينة حسنة بها الأنهار المطردة، والأشجار المورقة، ولها قلعة جيدة، وأميرها يعرف بالإبراهيمى، وقاضيها محيى الدين الحمصى، وبخارجها زاوية فى وسط بستان فيها الطعام للوارد والصادر وهى على قبر الصالح العابد عيسى البدوى رحمه الله، وقد زرت قبره.

وورد فى « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الجزء الخامس : » وأما ما يلى بيت المقدس فى ناحية الجنوب فإنك إذا خرجت من باب صهيون وسرت مقدار رمية حجر وجدت كنيسة صهيون وهى كنيسة جليلة حصينة وفيها العلية التى أكل عليها السيد المسيح مع التلاميذ وفيها المائدة باقية إلى الآن.

وورد فى آثار البلاد وأخبار العباد للبلاذرى: وبها كنيسة صهيون. شبهت بصهيون بيت المقدس ـ رومية.

وورد فى معجم ما استعجم للبكرى : « صهيون » بكسر أوله، وإسكان ثانيه، بعده الياء أخت الواو، وهو اسم لبيت المقدس، وكذَلك أيليا وشلم، وقال الأعشى :

وأن أجلبت صهيون يومـا عليكما . . . فإن رحى الحرب الدكوك رحاكما

وأما صَهيون، بفتح الصاد، فاسم قبيلة. أراد الأعشى أهل صهيون، أى أن أجلبت الروم واجتمعت فأنتم لها. دكوك: طحون. دك: طحن. «

وورد فى معجم ألفاظ العقيدة تعريف للصهيونية بأنها : منظمة تنفيذية مهمتها تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد إسرائيل وبناء هيكل سليمان ثم إقامة مملكة إسرائيل الكبرى (من النيل إلى الفرات).

وحين نبحث عن تعريف لكلمة أو مصطلح الصهيونية نجد أن التعريفات الشائعة فى المعاجم الغربية لكلمة الصهيونية تتسم بضعف مقدرتها التفسيرية. فإذا كانت الصهيونية هى حركة قومية يهودية تدعو لعودة اليهود لأرض الأجداد (كما يزعمون)، فكيف نفسر أن أغلبية هذا الشعب اليهودى الساحقة لا تزال تعيش بعيدا عن هذه الأرض، وتفضل أن تعيش فى (المنفى أو أرض الشتات كما يطلقون عليها) متمسكة به، تدافع عن حقوقها فيه ؟ وهل ترتبط كلمة الصهيونية كمصطلح بوقائع تاريخية ؟ أم بأماكن ومواضع جغرافية ؟ أم بأفكار ومعتقدات دينية ؟ أم ارتبطت بأجناس بعينها ؟ أم

بمذاهب واتجاهات سياسية ؟ أم أن الصهيونية بمفهومها اليوم أصبحت مزيجًا من الارتباطات التاريخية والجغرافية والعقائد الدينية والاتجاهات السياسية والأغراض الاستعمارية ؟ . . . . ثم ما حقيقة الصهيونية غير اليهودية أو صهيونية الأغيار كما يطلق عليها، وما صلتها بالنصرانية وارتباطها بها ؟ وما حقيقة النصرانية الصهيونية أو الصهيونية النصرانية ؟ .

إن تداول مصطلح الصهيونية كان استجابة نظرية لواقع فعلى يتمثل فى ظهور عدد من التنظيمات اختارت كلمة (صهيون) اسما لها مثل جمعية (أحباء صهيون) فضلا عن الإكثار من استخدام الكلمة فى شعارات وخطابات وكتب رجالات العقيدة الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر .

ويعرّف الصحفى اليهودى (ناثان برنباوم) الذى يعزى إليه صياغة كلمة الصهيونية عام ١٨٩٣م فى مقالة له ثم فى كتاب ألّفه بعنوان (الإحياء القومى للشعب اليهودى فى وطنه كوسيلة لحل المشكلة اليهودية) . وعرفها بأنها : « نهضة سياسية لليهود تستهدف عودتهم الجماعية إلى أرض فلسطين » .

أما مصطلح الصهيونية فقد ورد فى دائرة المعارف الفرنسية بأنه (Univérsalis En(cyclopedia حل لمشكلة الشتات عند اليهود، وما أصاب اليهود فيها من اضطهاد» .

أما الموسوعة البريطانية طبعة ١٩٤٣م فقد عرفت الصهيونية بأنها : رد فعل لليهود على اللاسامية الأممية . وهى بهذا تستحضر جوهر المشروع الدعائى الصهيونى الذى عمل ولا يزال على ابتزاز دول العالم بحجة الاضطهاد الذى مورس على اليهود فى أوروبا، أما طبعة ٢٠٠٠م فإنه عرّف الصهيونية بأنها : « حركة يهودية قومية تستهدف إنشاء دولة لليهود فى (إرتزيسرائيل) أى أرض إسرائيل باللغة العبرية » . وهذا التعريف خطير جداً إذ بلغ فى تزييفه للحقائق التاريخية وخضوعه للرؤية الصهيونية حد تسمية فلسطين باسم« أرض إسرائيل» .

وبناءً على ما سبق يتضح أن التعريفات التى قدمتها الموسوعتان الفرنسية والبريطانية تغيب على نحو مقصود الشعب الفلسطينى صاحب الأرض، وهو الأمر الذى يؤكد خضوع أكبر الموسوعات الغربية للرؤية الصهيونية والقيام بالدعاية لها .

والحقيقة أن الحركة الصهيونية ليست حركة يهودية، ولكنها حركة تحفيزية تحريضية لليهود من قبل النظام الرأسمالي الأوروبي البروتستانتي[١].

وقد تناول الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته[٢] الصهيونية كتعريف وكمصطلح فيقول : نحن نذهب إلى أن ثمة صيغة صهيونية أساسية شاملة تشكل التعريف الحقيقي للصهيونية، وثمة عقد صامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية، كامن في هذه الصيغة، وثمة مادة بشرية مستهدفة (أعضاء الجماعات اليهودية خارج فلسطين والعرب الذين يعيشون فيها).

والصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة مصطلح ذكره د. المسيري مشيراً فيه إلى الثوابت والمسلمات النهائية الكامنة في الاتجاهات الصهيونية كافة مهما اختلفت دوافعها وميولها ومقاصدها وطموحاتها. ولا يمكن وصف أي قول أو اتجاه بأنه صهيوني إن لم يتضمن هذه المسلمات، فهي بمنزلة البنية العامة الكامنة وهي التي تشكل الأساس الكامن للإجماع الصهيوني.

ويمكن تلخيصها فيما يلي :

١ ـ اليهود شعب عضوي منبوذ غير نافع، يجب نقله خارج أوروبا ليتحول إلى شعب عضوي نافع.

٢ ـ ينقل هذا الشعب إلى أي بقعة خارج أوروبا (استقر الرأي في نهاية الأمر على فلسطين بسبب أهميتها الإستراتيجية للحضارة الغربية وبسبب مقدرتها التعبوية بالنسبة للمادة البشرية المستهدفة) ليوطّن فيها وليحل محل سكانها الأصليين، الذين لابد أن تتم إبادتهم أو طردهم على الأقل (كما هو الحال مع ممارسات التجارب الاستعمارية الاستيطانية الإحلالية المماثلة).

ـ ومعتقد النصارى الصهاينة أن بناء مجد إسرائيل أمر لازم وحتمي فهو تمهيد لعودة المسيح (المخلص المنتظر) حيث سيعود المسيح عيسى بن مريم بعد إعادة بناء هيكل

---

(١) الكاتب المغربي الطيب بو غزة : في نقد الدلالة الاصطلاحية للفظ الصهيونية. مقالة على موقع : www.aljazera.net

(٢) الدكتور عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. الموجزة في جزأين. المجلد الثاني. دار الشروق القاهرة. الطبعة الثانية. ٢٠٠٥م. ص ١٩٧ (بتصرف)

سليمان مكان المسجد الأقصى وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، وذلك تحقيقا لنبوءات التوراة والإنجيل، فالكتاب المقدس عندهم مصدق ليس فيه باطل أو تحريف.

ـ ولكن لماذا يعود المسيح ؟ ألم يكف المسيح نزوله إلى الأرض مرة وصلبه فداءً لبنى البشر كى تمحى خطيئة آدم التى لصقت بهم كما يزعمون ؟ أو وفقًا للعقيدة التى رسمها لهم القديس بولس الرسول. . والحقيقة أن عودة المسيح عندهم تكون لمهمة محددة، كما تقول أسطورتهم أو نبوءتهم بالتوراة، وهى خوض معركة هرمجدون حيث يقود جيوش السماء ضد جيوش الشر المتحالفة بقيادة إبليس و النبى الكذاب أو الدجال وجوج وماجوج[1] وينتصر المسيح ويهزم إبليس ويكبّله بالأغلال و يحكم العالم من أورشليم لمدة ألف سنة كاملة (الألفية السعيدة) حيث تنعم الأرض بالسلام والأمان، كما سيأتى تناول هذه المسائل لاحقا.

٣ ـ يتم توظيف هذا الشعب لصالح العالم الغربى الذى سيقوم بدعمه وضمان بقائه واستمراره، داخل إطار الدولة الوظيفية فى فلسطين.

٤ ـ ويقول الدكتور المسيرى: إن هذه الصيغة الشاملة لم يفصح عنها أحد بشكل مباشر، إلا بعض المتطرفين فى بعض لحظات الصدق النموذجية النادرة. ولكن عدم الإفصاح عنها لا يعنى غيابها، فهى تشكل هيكل المشروع الصهيونى والبنية الفكرية التى أدرك الصهاينة الواقع من خلالها.

ثم يعقب د. المسيرى على هذه الصيغة التعريفية فيقول: ويلاحظ أن كثيراً من الأسس التى تستند إليها الصيغة الشاملة قد اختفى بفعل التطورات التاريخية. فيهود العالم الغربى قد تناقص عددهم واندمجوا بشكل شبه تام فى مجتمعاتهم، ولم يعد هناك مجال للحديث عن عدم نفعهم. وهذا ما تؤكده هذه الدراسة وفقاً للمتغيرات الناتجة فى مفهوم الغرب عن اليهود قبل ظهور البروتستانتية، وما تلى ذلك من تطورات، ثم التغيرات الحادثة فى المفهوم الكاثوليكى وموقف الفاتيكان منهم بالقرن

---

(١) هذه هى التسمية اليهودية ليأجوج ومأجوج الوارد ذكرهما بالقرآن الكريم فى سورة الكهف.

العشرين. كما أن عملية نقل اليهود ونفى العرب (والتى تحولت إلى إبادتهم بدلا من نفيهم) اكتملت معالمها إلى حد كبير، وخصوصا أن الترانسفير [١] بعد تأسيس دولة إسرائيل أصبح عملية هجرة تتم فى ظل قانون العودة.

ومن كل ما سبق يمكننا القول بأن المعنى الاصطلاحى لكلمة « الصهيونية » يعنى ذلك الفكر الحركى الاستيطانى الذى يعتنقه البعض والقائم على بعث مملكة داود عليه السلام بتهجير اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة يهودية لهم من النيل إلى الفرات تحقيقا لنبوءات التوراة والإنجيل (كتابهم المقدس) وأن تقوم هذه الدولة بقهر جيرانها الأعداء تمهيداً لنزول الماشيّح وذلك بإعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى حتى ظهور البقرة الحمراء وغيرها من العلامات التى بظهورها تكون نهاية العالم، وتقوم معركة هرمجدون (سيأتى تفصيلها فيما بعد) والتى تكون بين الخير بقيادة الماشيح أو المسيح بعد مجيئه الثانى وبين إبليس وأعوانه من الكفار.

صهيون والماشيَّح:

كان لكلمة الصهيونية أو مصطلح الصهيونية العديد من الدلالات نتيجة اختلاف مفهومها واستخداماتها عبر عصور التاريخ المختلفة، ففى كل فترة تكتسب الكلمة دلالة معينة ذات بعد أوسع من سابقتها أى أن كل دلالة لا تنسخ ما قبلها ولكنها تزيد المفهوم اتساعا، وتجعله مصطلحا متشعبا أو متراكبا، ويبدأ بالمفهوم أو المعنى الدينى إذ يقول: تشير كلمة «صهيون» [٢] فى التراث الدينى اليهودى إلى جبل صهيون والقدس، بل إلى الأرض المقدسة ككل. والواقع أن العودة إلى صهيون فكرة محورية فى النسق الدينى اليهودى، لأن أتباع هذه العقيدة يؤمنون بأن الماشيَّح (المخلّص) هو من سيأتى فى آخر الزمان ليقود شعبه من بنى إسرائيل إلى صهيون (الأرض - العاصمة) ويحكم العالم فيسود العدل والرخاء.

وكلمة (الماشيَّح) كلمة عبرية تعنى «المسيح المخلص». ومنها «مشيحيوت» أى «الماشيحانية» وهى الاعتقاد بمجىء الماشيَّح، والكلمة مشتقة من الكلمة العبرية «مشح»

---

(١) الترانسفير : التهجير الصهيونى لليهود.
(٢) وينطقها اليهود « زَيون ».

أى مسح بالزيت المقدس، وكان اليهود على عادة الشعوب القديمة يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما، علامة على المكانة الخاصة الجديدة، وعلامة على أن الروح الإلهية أصبحت تحل وتسرى فيهما. وهناك أيضا المعنى المحدد الذى اكتسبته الكلمة فى نهاية الأمر إذ أصبحت تشير إلى شخص مرسل من الإله يتمتع بقداسة خاصة، إنسان سماوى وكائن معجز خلقه الإله قبل الدهور يبقى فى السماء حتى تحين ساعة إرساله وهو يسمى «ابن الإنسان» لأنه سيظهر فى صورة الإنسان فهو نقطة الحلول الإلهى المكثف الكامل فى إنسان فرد. كما أنه تجسد الإله فى التاريخ.

والماشيَّح ملك من نسل داود (عليه السلام) سيأتى بعد ظهور النبى (إليا) ليعدل مسار التاريخ، وينهى عذاب اليهود ويأتيهم بالخلاص ويجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء جماعة يسرائيل، ويتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة، ثم يبدأ الفردوس الأرضى الذى سيدوم ألف عام، وستقوم كل الأمم على خدمة الماشيَّح.

هذه الأفكار عن النبوءات والرؤى التى حلم بها البعض قد صارت فى فكر ووجدان النصارى الذين أمسكوا بتلابيب اليهودية كأصل من أصول النصرانية وجعلوها جزءاً لا يتجزأ منها، رغم إنكار اليهود للنصرانية أصلا، ورفضهم تعاليم المسيح وديانته. إلا أن النصارى الصهاينة لهم قدم فى النصرانية لإيمانهم بأن المسيح عيسى بن مريم هو المخلّص، ولهم قدم فى اليهودية حيث إن إنجيلهم عهد جديد بنى على العهد القديم (التوراة) حيث قال المسيح بأنه جاء مكملاً للدين والعقيدة ولم يأت مغيراً، أو مبشراً بدين ينفى دين اليهود، فامتزجت مقدسات اليهود بطقوس النصرانية وأتت بهذا المزيج النصرانى الصهيونى المتهود الذى نتناول المحاور الأساسية التى ارتكزت عليها عقيدته.

الصهيونية والمفهوم الدينى عند اليهود:

لكلمة (صهيون) إيحاءات شعرية دينية فى الوجدان الدينى اليهودى، فقد جاء فى المزمور رقم ١٣٧/ ١ على لسان جماعة يسرائيل بعد تهجيرهم إلى بابل : « جلسنا على ضفاف أنهار بابل ذرفنا الدمع حينما تذكرنا صهيون ».

وردت إشارات شتى فى العهد القديم إلى هذا الارتباط بصهيون الذى يطلق عليه عادة (حب صهيون) وهو حب يعبر عن نفسه من خلال الصلاة والتجارب والطقوس الدينية المختلفة، وفى أحيان نادرة على شكل الذهاب إلى فلسطين للعيش فيها بغرض التعبد. ولذا كان المهاجرون اليهود الذين يستقرون هناك لا يعملون، ويعيشون على الصدقات التى يرسلها أعضاء الجماعات اليهودية فى العالم. وقد كان العيش فى فلسطين يعد عملا من أعمال التقوى لا عملاً من أعمال الدنيا[1].

لذا فإن مفهوم الصهيونية لم يرتبط بالاستيطان، وخصوصا أن اليهودية الحاخامية (الأرثوذكسية) تحرم محاولة العودة الجماعية الفعلية إلى فلسطين وتعتبرها هرطقة وضربًا من ضروب التعجيل بالنهاية. فاليهودية تؤمن بأن أرض الميعاد ستتم فى الوقت الذى يحدده الرب وبطريقته، وأنها ليست فعلا بشريًا يتم على يد أى من البشر.

والنزعة الصهيونية الدينية فى المفهوم الدينى اليهودى لا تعنى الاستيطان الصهيونى الفعلى والمادى فى فلسطين، أما الصهيونية بمعناها الفعلى اليوم والذى يعنى الاستيطان القهرى لليهود فى فلسطين وسلب العرب أراضيهم ومدنهم وبيوتهم بالقوة ثم سلب أرواحهم ابتغاء مرضاة الرب كانت وليدة اتحاد قوى الشر الصليبى الصهيونى مع اليهود ليستأصل شأفة المسلمين الذين أعانوهم بغفلتهم عما يكيده الشيطان وأعوانه لهم، ثم أعانوهم بتخلفهم العلمى الذى كانوا من قبل رواده وأعلامه، ثم أعانوهم بعدم تمسكهم بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها، ثم أعانوهم باعتناق ما دسه الأعداء من أفكار ومفاهيم براقة فى مظهرها ومسمياتها التنويرية وهى تحمل فى جوهرها ظلامًا يخدم مصالح الصهيونية.

الأصول اليهودية للنصرانية:

ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام - حسب كتابهم المقدس - فى الناصرة من أصل يهودى، فهو مبعوث لهم، وشجرة نسبه وضعها متّى فى مقدمة إنجيله، وقد اتصل نسبه فيها من عيسى عليه السلام حتى خليل الله إبراهيم عليه السلام، بينما يمتد

---

(١) د. المسيرى (المرجع السابق) ص ١٠٤ جـ ٢ بتصرف.

النسب فى إنجيل لوقا حتى أول البشر آدم عليه السلام، وتخبرنا الأناجيل أن يسوع الناصرى كان يذهب إلى الهيكل، وأنه حفظ مقاطع كثيرة من الناموس ومن أنبياء اليهود، وأنه كان يلجأ إليها فى تعاليمه، ويقولون بأن يسوع قال بأن تعاليمه تكملة لتعاليم موسى عليه السلام. ولذا قال إنه جاء ليكمل لا لينقص، وأن المحبة هى تكملة الناموس، هكذا كانت تعاليمه فى موعظة الجبل ، حيث انتقد الفريسيين، وهم طائفة من طوائف اليهود ظهرت بعد العودة من السبى البابلى، وكانوا حرفيين فى فهمهم للناموس والأنبياء، وظنوا أنهم أفضل من الآخرين، وأن الخلاص لهم وحدهم. فقال : « من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات. فإنى أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات. قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. . أما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم. . فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك. . فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك. . وحينئذ تعال وقدم قربانك. . إنجيل متى٥. ٢٤ : ٢١

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. . وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه. . « إنجيل متى،٢٨، ٢٧. ٥ .

كما جاء فى الموعظة أيضًا : « سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. . وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات. . » إنجيل متى ٤٥ : ٤٣ . ٥ .

هكذا فإن التعاليم استطرادية لما سبق قوله، كما يؤكد الإسلام ذلك، ونقول بأن الله سبحانه وتعالى قد بعث عيسى بن مريم عليه السلام و أرسله لبنى إسرائيل ليصلح ما أفسده اليهود فى ديانتهم، ليستقيموا على التوحيد الذى هو فطرة الأديان، وليصحح ما فسد من مفاهيم ومعتقدات تخالف أصل دين الله ومنهج عبادته[1]

---

(١) رضا هلال : المسيح اليهودى ونهاية العالم. مكتبة الشروق. القاهرة ٢٠٠١م .

ويا ليت من آمن بالنصرانية وبرسالة عيسى بن مريم عليهما السلام قد عمل بتلك التعاليم، إذ بدل النصارى الصهاينة فى دينهم وحرّفوا وغالوا فى فساد معتقداتهم، فالنصرانية كدين سماوى تدعو إلى المحبة، والنصارى الصهاينة لا يحبون (الآخر)، ويتهموننا نحن المسلمين أصحاب العقيدة السمحاء بما هم موصومون به، فترتفع صيحات أبواقهم التى ينفخ فيها عملاؤهم، وللأسف بعضهم منا، ويتحدثون بلساننا، وقد يعتبرهم البعض من مفكرينا، ذلك لأن القنوات الفضائية ووسائل الإعلام مسخرة ومذلّلة لهم، وهم يخدمون بقصد أو غير قصد مصالح أعداء الله وأعداء الأمة، بوجوب تعليمنا كيفية التعامل مع من يسمونه (الآخر)، فيحثوننا على أن نستكين لما يوجهه لنا الصهاينة من لطمات، وما يكيله لنا هذا الآخر من ضربات، حتى لا نوصف بالإرهاب، وحتى لا يقال بأن ديننا لا يأمر بالتسامح. فنكون كالميت بين يدى مغسّله، فيفعلون بنا ما خططوا له، فأيديهم تغوص فى دمائنا، فنذبّح ونقتّل، ونطلب الحوار، ونسعى لبناء جسور الثقة، وهم حطموا كل الجسور فى فلسطين وفى لبنان وفى الصومال وفى أفغانستان وفى الشيشان وفى البوسنة وفى العراق. وأما من يقاوم فيكون إرهابيًا مرفوضًا، ومن يحاول أن يستمسك بالعروة الوثقى فيجعل الإسلام دينه ومنهجه فى الحياة فيكون إسلامه كما يزعمون إسلاما راديكاليًا أى متطرفًا، وأما من أراد تطبيق الشريعة الإسلامية فى حكم البلاد فيتهمونه بأنه يحاول تدمير الحضارة الغربية إحياءً لحضارته الإسلامية البائدة، وهم لن يستمعوا لنا مهما كان حديثنا هادئا ومتزنا ورزينا، فقد صم الحقد آذانهم وتملك الشيطان من جوارحهم، فشنوا حرب إبادة، حربًا صليبية منطلقها معتقداتهم الصهيونية الفاسدة، وصار استئصال شأفتنا قربانا يقدمونه للرب ابتغاء مرضاته، تحقيقا لأساطيرهم الباطلة ببناء الهيكل المزعوم استدعاءً لمخلّص، والتمهيد لنزول المسيح على جثثنا، والمسيح منهم براء.

النصرانية كانت خلفًا لليهودية، بيد أن تأسيس النصرانية كفكرة جديدة، جوهرها « الصلب والفداء »، لم يكن عليها عيسى بن مريم عليه السلام، ولم يقل بها، بل بدأ تشكيل هذه العقيدة على يد يهودى من أكبر مضطهدى النصرانية والنصارى الأوائل، ومن ألد أعدائهما وهو (شاؤل أو شاول) الذى أصبح بعد ذلك معروفا باسم القديس

بولس، وقد ولد شاؤل هذا فى بلدة طرسوس[1] من أعمال كليكيا[2]، فى شرق آسيا الصغرى، وهى مدينة على ساحل متسع يبعد ١٢ ميلا عن كل من البحر الأبيض وجبل طوروس، ولم تزل تدعى طرسوس إلى اليوم، وهى مدينة تركية، وكانت آنذاك من الحواضر الرومانية، وقد كان يهوديًا فريسيًا، وقصد أورشليم ليتعلم الناموس فى مجمع أورشليم، وعندما فر النصارى هربا من ملاحقة الفريسيين والصدوقيين[3] إلى دمشق وما وراءها، طلب شاول من رئيس الكهنة رسائل يحملها إلى مجامع دمشق لتلقى القبض على أتباع يسوع، وتعيدهم مكبلين بالأصفاد إلى أورشليم، لتعذيبهم والتنكيل بهم، « وفى ذهابه حدث أنه اقترب من دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا يقول له : شاول، شاول، لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى أنت تضطهده . . فقال وهو مرتعد ومتحير : يا رب، ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل »[4] .

وبعد ذلك عاد بولس إلى دمشق معلما نصرانيًا، ينشر ما أفرزته خيالاته و أوهامه فى رؤياه ـ إن صحت ـ فصار قائداً للنصرانية فى دمشق وأنطاكيا، ثم استهل رحلاته التبشيرية وأنشأ جماعات فى كل من : قبرص، ومدن آسيا الصغرى، ومقدونيا، والمدن اليونانية مثل أثينا، وكوزنثوس، وأفسس، وأيونيا . وقد ركزت الدعوى التى نشرها بولس، وهى ما عرفت باسم (تعاليم بولس) على ثلاثة أفكار أساسية هى :

ـ ألوهية المسيح : أى أن عيسى بن مريم هو الله فى ذاته الألوهية، وابن الله فى هيئته البشرية .

ـ الصلب والفداء : أى أن تجسد الله سبحانه و حاشاه فى شكل بشرى، ونزوله إلى الأرض كى يُعذّب ويصلب فداءً لبنى آدم ولتخليص البشر من خطيئة آدم .

---

(١) اختلفت المراجع فى تاريخ مولده والشائع أنه قد عاصر المسيح، ولكن من المؤرخين والمفكرين من أنكروا ذلك فيقول اسبينوزا الفيلسوف اليهودى المتنصر أن بولس كان يونانيا مع اليونانيين ويهوديًا مع اليهود، ولم ير المسيح، ولم يكن معاصراً له، وكان تحوله إلى الدين الجديد متأخراً .

(٢) طرسوس عاصمة كليكيا فى شرق آسيا الصغرى (تركيا حاليا) .

(٣) الصدوقيون : هم طائفة من كهنة اليهودية ظهرت بعد العودة من السبى ببابل، وقد أصبحت جماعة الكهنة (صدوقيم) المتحكمة فى الشعب عن طريق تحكمها فى العبادة .

(٤) أعمال الرسل ٩ : ٣ـ٦ .

- أممية النصرانية : أى عدم قصرها على اليهود وحدهم ولكنها للناس كافة .

وسرعان ما انتشرت دعوة بولس انتشار النار فى الهشيم، مطيحة فى طريقها بالنصرانية التى أتى بها عيسى بن مريم عليه السلام وانتصرت انتصاراً فاق أمنيات شاؤل نفسه أو بولس كما أسمى نفسه .

و فى هذا الموضع لابد من الالتفات إلى قوله تبارك وتعالى :

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ④ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ⑤ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ⑥ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ⑦ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ⑧﴾

[الإسراء ٤ - ٨].

وعند الوقوف على ما ورد بمأثور التفاسير لهذه الآيات، نجدها قد اتفقت فيما أوجزه مما ورد فى تفسير القرطبى : أى قضينا وحكمنا على بنى إسرائيل بالكتاب أى اللوح المحفوظ . (لتفسدن) وقرأ ابن عباس « لَتَفْسُدُنَّ ». عيسى الثقفى « لتفْسدُنّ ». والمعنى فى القراءتين قريب، لأنهم إذا فسدوا أفسدوا، والمراد بالفساد مخالفة أحكام التوراة . (فى الأرض) يريد أرض الشام وبيت المقدس وما وليها . واللام فى « لتفسدن ولتعلن » لام قسم مضمر كما تقدم . (علوا كبيرا) أراد التكبر والبغى والطغيان والاستطالة والغلبة والعدوان . (فإذا جاء وعد أولاهما) أى أولى المرتين من فسادهم . (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) هم أهل بابل، وكان عليهم بختنصّر فى المرة الأولى حين كذبوا إرمياء وجرّحوه وحبسوه، قاله ابن عباس وغيره . وقال قتادة : أرسل عليهم جالوت فقتلهم، فهو وقومه أولو بأس شديد . وقال مجاهد : جاءهم جند من فارس يتجسسون أخبارهم ومعهم بختنصّر فوعى حديثهم من بين أصحابه، ثم رجعوا إلى فارس ولم يكن قتال، وهذا فى المرة الأولى، فكان منهم جوس خلال الديار لا قتل،

ذكره القشيرى أبو نصر. وذكر المهدوى عن مجاهد أنه جاءهم نبوخذنصّر فهزمه بنو إسرائيل، ثم جاءهم ثانية فقتلهم ودمرهم تدميرا. ورواه ابن أبى نجيح عن مجاهد، ذكره النحاس. وقال محمد بن إسحاق فى خبر فيه طول: إن المهزوم سنحاريب ملك بابل، جاء ومعه ستمائة ألف راية تحت كل راية مائة ألف فارس فنزل حول بيت المقدس فهزمه الله تعالى وأمات جميعهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه، وبعث ملك بنى إسرائيل واسمه صديقة فى طلب سنحاريب فأخذ مع الخمسة، أحدهم بختنصّر، فطرح فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وإيلياء ويرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، ثم أطلقهم فرجعوا إلى بابل، ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين، واستخلف بختنصّر وعظمت الأحداث فى بنى إسرائيل، واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا، فجاءهم بختنصّر ودخل هو وجنوده بيت المقدس وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم.

وقال ابن عباس وابن مسعود: أول الفساد قتل زكريا. وقال ابن إسحاق: فسادهم فى المرة الأولى قتل شعيا نبى الله فى الشجرة، وذلك أنه لما مات صديقة ملكهم مرج[1] أمرهم وتنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم، فقال الله تعالى له قم فى قومك أوح على لسانك، فلما فرغ مما أوحى الله إليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها، وأدركه الشيطان فأخذ هدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها. وذكر ابن إسحاق أن بعض العلماء أخبره أن زكريا مات موتا ولم يقتل وإنما المقتول شعيا.

وقال سعيد بن جبير فى قوله تعالى: « ثم بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار » هو سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك بابل. وهذا خلاف ما قال ابن إسحاق، والله أعلم. وقيل: إنهم العمالقة وكانوا كفارا، قاله الحسن. ومعنى جاسوا: عاثوا وقتلوا، وكذلك جاسوا وهاسوا وداسوا، (ثم ذكر فيها قراءات مثل قراءة ابن عباس « حاسوا » بالحاء المهملة) وقال الطبرى: طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين، فجمع بين قول أهل اللغة. (وكان وعدا

---

(١) مرج الأمر: فسد واختلط والتبس المخرج فيه.

مفعولا) أى قضاء كائنا لا خلف فيه. وقوله تعالى: ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنكم بأمول وبنين وجعلنكم أكثر نفيرا [1].

(ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى الدولة والرجعة، وذلك لما تبتم وأطعتم. ثم قيل: ذلك بقتل داود جالوت أو بقتل غيره، على الخلاف فى من قتلهم. حتى عاد أمركم كما كان. (وجعلناكم أكثر نفيرا) أى أكثر عددا ورجالا من عدوكم. والنفير من نفر مع الرجل من عشيرته، يقال: نفير ونافر مثل قدير وقادر ويجوز أن يكون النفير جمع نفر كالمعيز والعبيد، والمعنى: أنهم صاروا بعد هذه الوقعة الأولى أكثر انضماما وأصلح أحوالا، جزاء من الله تعالى لهم على عودهم إلى الطاعة.

وأقول بعد اطلاعى على ما ورد فى كتب التفاسير لهذه الآيات، فإنى أجتهد بإضافة وجه من وجوه المعانى والمقاصد التى قصدتها الآيات، والقرآن حَمّال أوجه: إن فساد اليهود فى الأرض لم ينقطع يوما، وهو يشمل عموم المعمور من الأرض، ورغم المفاسد اليومية لليهود فى الأرض، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وإثارة الفتن والحروب بين بنى البشر، فإن القرآن يشير إلى أكبر مفسدتين اقترفهما اليهود على الأرض وعلى مر التاريخ، أولاهما نبعت من الكفر برسالة نبى الله عيسى بن مريم علية السلام وإفسادهم لصحيح عقيدته وتحريفهم لها وتحويلها من التوحيد إلى التثليث والصلب والفداء. . . . وهل هناك مفسدة أكبر من إفساد العقيدة السماوية ؟؟!!

والمفسدة الثانية هى كفرهم برسالة النبى الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومحاولاتهم لإفساد عقيدته التى اهتدى بها الناس واعتنقوها دينا، وذلك بتضامنهم مع النصارى الصهاينة واختراع الماسونية والقاديانية والبهائية وغيرها من الملل التى ابتدعوها لهدم عقيدة المسلمين كما سنوضح ذلك فى فصل معاول هدم العقيدة فى اللاحق من صفحات هذا الكتاب.

وهل هناك مفسدة أكبر من الكفر برسالات السماء التى أرسلها رب العزة سبحانه وتعالى إلى عباده، والدين الذى ارتضاه الله كى تستقيم الفطر على ما فطرها الله عليه؟. فإفساد العقيدة أكبر من قتل الأنبياء عند الله وأعظم.

---

(١) تفسير القرطبى-الجزء العاشر ص ٢١٧ .

وإفساد اليهود فى الأرض مرتين، بينما العلو مرة واحدة، و العلو ليس مرتبطا بصلاح بنى إسرائيل وطاعتهم لله، فمنذ متى كان اليهود فى طاعة الله حتى تكون سببا فى علوهم، ولكن مكائدهم وإفسادهم لعقيدة نبى الله عيسى بن مريم قد عاقبهم الله عليها بعث الله عليهم عبادا قد يكونون أكثر من قوم فى أكثر من زمان قد خربوا بيوتهم، ولا يفيد كثيرا معرفة أولئك الأقوام بعينهم، بل المقصود هو أنهم لما أكثروا من المعاصى سلط عليهم بذنوبهم أقوامًا يقتصون منهم ويوسعوهم قتلاً.

ثم أعيدت الكرّة على هؤلاء الذين جاسوا خلال الديار، أى أصابهم الوهن لارتكابهم المعاصى، إذ أعيدت الكرة عليهم وليست لكم يا بنى إسرائيل، ومع عودة الكرّة أمدّ الله بنى إسرائيل من خلال انتشار العقيدة الصهيونية بمقومات القوة من مال وبنين وأصبحوا أكثر عددا وعدّة[1]، وهذه القوة قد تجعلهم أكثر إفسادا فى الأرض ولكن الدعوة مازالت موجهة إليهم، إن أحسنوا بالإيمان بالإسلام وكفوا أيديهم عن معاداته ومحاربته فيكونوا قد أحسنوا وقدموا الخير لدنياهم ولآخرتهم (وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان). وإن زادت عداوتهم لدين الله فإن الله غالب على أمره ومنجز فيهم وعده.

حتى إذا جاء وعد الآخرة، وهو من أشراط الساعة، سيكون دخول المسلمين المسجد الأقصى الأسير، وأظنه سيكون بقيادة المهدى المنتظر عجل الله قدومه، فيدخل المسلمون الأقصى منتصرين مثلما دخلوه فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وسيكون الصهاينة مدحورين بإذن الله منكسرين فى الدنيا، ولهم فى الآخرة عذاب السعير.

هذا ما وعدنا الله وكان وعدا مفعولا، إلا أن لنا عود إلى الأسباب التاريخية لانتشار الفكر الصهيونى الذى أمد اليهود أذلة الشتات بالقوة التى جعلتهم أكثر نفيرا، إذ أن تزايد معدلات العلمنة[2] فى المجتمعات الغربية، قد عمل على ظهور وانتشار

(١) حقيقة إن اليهود أقلية فى كل مجتمع يعيشون فيه وهم على مستوى العالم أقلية فعددهم أقل بكثير جدًا من النصارى والمسلمين، ولكن منذ حرب ١٩٤٨ التى خاضها الصهاينة من اليهود بمساندة الصهاينة من النصارى وعدد الجيش الإسرائيلى أكبر من عدد الجيوش العربية التى تحاربه مجتمعه وأكثر عتادًا، أما إذا حملت معنى (أكثر نفيرًا) على أنهم الأعلى صوتًا فأبواق الإعلام والدعاية اليوم فى يد اليهود والصهاينة وهم الأقوى إعلاميا.

(٢) العلمانية: مصطلح العلمانية فى الفلسفة الغربية يعنى عدم الانتماء إلى طائفة دينية محددة أو كنيسة معينة.

نزعات ومفاهيم صهيونية فى أوساط الفلاسفة النصارى والمفكرون السياسيون والأدباء وغيرهم، تنادى بإعادة توطين اليهود فى فلسطين باعتبار أنهم شعب عضوى منبوذ تربطه علاقة عضوية بها استنادا لأسباب تاريخية وسياسية. ويطلق اليهود على هذا الضرب من الصهيونية اسم (صهيونية غير اليهود) أو (صهيونية الأغيار).

ويلاحظ أن استعمال كلمة الصهيونية كان متداولا رغم أن مصطلح الصهيونية نفسه لم يكن قد تم صكه بعد، ومع هذا كان مفهوم الصهيونية مفهوما متداولا على نطاق واسع بين الفلاسفة والمفكرين والشعراء والمهووسين دينيا، ومع تبلور الهجمات الإمبريالية الغربية على الشرق الإسلامى، وتبلور الفكر المعادى لليهود فى الغرب، ومع تصاعد معدلات العلمنة بدأ مفهوم الصهيونية نفسه فى التبلور والتخلص من كثير من أبعاده الغيبية الدينية أو الرومانسية وانتقل إلى عالم السياسة والمنفعة المادية ومصالح الدول الاستعمارية.

وليس من الغريب إذن أن نجد أن نابليون بونابرت أول غاز غربى للشرق الإسلامى فى العصر الحديث، وواحد من أهم دعاة العلمانية الشاملة هو أيضا صاحب أول مشروع صهيونى حقيقى إذ دعا اليهود إلى الاستيطان فى بلاد أجدادهم أثناء حملته الصهيونية الصليبية على الشرق. وسنوضح هذا الأمر لاحقا.

فى البدء كانت الصليبية:

عندما بزغ نور الهداية على البشرية إذ بعث الله تبارك وتعالى نبيه ومصطفاه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فما لبث النور أن عمّ أنحاء الجزيرة العربية كلها، وفى سنوات معدودات قرابة الثمانين سنة كان سلطان الإسلام مبسوطا على الشام ومصر وشمال أفريقيا وأرض الأندلس، وتقوَّض فجاءة سلطان االكنيسة النصرانية وانحسر عن هذه الرقعة الواسعة المتراحبة وزال زوالا سهلا، وتقوّض أيضا سلطانها على نفوس الجماهير الغفيرة من رعاياها، ودخلوا دخولا سهلا يسيراً فى الإسلام طوعًا بلا إكراه، بل أعجب من ذلك، صاروا هم جند الإسلام وحماة ثغور عواصمه، وقارعوا النصرانية وحصروها فى الشمال الأوروبى[1]، بل أعجب من

(١) محمود محمد شاكر : رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا. الهيئة المصرية العامة للكتاب. طبعة ٢٠٠٢م.

ذلك أن دخلوا فى العربية دخولا غريبا، وصار لسانهم لسانها، وقد منَّ الله عليهم بأن أخرج من أصلابهم كثرة كاثرة من العلماء الكبار الذين يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وبالعلم والسيف. صارت دار الإسلام كلها ديار ثقافة وعلم وخُلُق وحضارة تبهر الأنظار والعقول، وتدبر قادة النصرانية أمرهم وهم رجال الكنيسة وملوك الإقطاع، فرأوا أن يتجهوا إلى الشمال، ليدخلوا فى النصرانية، فانطلق الرهبان يجوبون شمال أوروبا، ليدخلوا الهمج الهامج فى النصرانية، ويعدوهم إعدادا عظيما لخوض المعركة العظمى بين الإسلام والنصرانية، وكان جزءاً من هذا الإعداد: تبشيع الإسلام فى عيونهم، وأن أهل الإسلام وثنيون، وأن رسول الإسلام كان وكان... فلم يتركوا بابا من الكذب والتمويه والبشاعة إلا دخلوه، ليقروا معانيه فى قرارة نفوس أتباعهم من الهمج الهامج ليكون حقا محضًا قد نطق به راهب أو ناسك أو قسيس، فهو منزة لا ينطق إلا بالحق، فهذا الحق إذن، هو عندهم قسيم الدين الذى آمنوا به واعتنقوه. دين ربَّى عندهم رغبة فى استئصال شأفة المسلمين.

إذا كانت الصهيونية قد نشأت كحركة استعمارية مستندة على ركيزة دينية من نصوص نبوءات وردت بالعهدين القديم والجديد، فإن الحركة الصليبية كان لها السبق فى هذا المضمار، فلم يعرف التاريخ الإنسانى ظاهرة تاريخية حملت مصطلحا مناقضا لحقيقتها مثل الحركة الصليبية، فهذا مصطلح مضلل ومربك، لقد بدأت أحداث الحركة الصليبية الفعلية فى السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٠٩٥م بالخطبة التى ألقاها البابا أربان الثانى (١٠٨٨-١٠٩٩م) فى حشود المستمعين الذين اجتمعوا فى حقل فسيح فى (أوفرينى) بكليرمون جنوب فرنسا [١]، وكانت هذه الخطبة الشهيرة خاتمة مجمع دينى عقده البابا، وجمع الأساقفة لمناقشة أحوال الكنيسة الكاثوليكية المتردية، وكانت الدعوة التى وجهها البابا بشن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين فى فلسطين بمثابة إذن الدخول إلى رحاب التاريخ. إذ ظلت الحركة الصليبية تحكم الأفكار والمشاعر فى الغرب الأوروبى فيما بين سنة ١٠٩٥ وسنة ١٤٠٠م بصورة شاملة، كما ظلت

---

(١) د. قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية. عالم المعرفة. الكويت. ١٩٩٠

للحروب الصليبية جاذبيتها فى أوروبا الغربية حتى القرن الثامن عشر. فبالنسبة لخمسة عشر جيلاً من أبناء الغرب الأوروبى كانت الحروب الصليبية تشكل جزءًا حيويا من عالمهم، إذ إن مئات الألوف منهم قد شاركوا بأنفسهم فى حملة أو أكثر من هذه الحملات الصليبية، كما أن آلافًا عديدة من أبناء الغرب الأوروبى ساهموا بأموالهم فى تمويل حملة أو أكثر من هذه الحملات. ومن ناحية أخرى، كانت أحداث الحروب الصليبية تشغل بال الكثيرين ممن لم يشاركوا بالنفس أو بالمال.

أما العالم العربى فقد كان الطرف الذى وجهت إليه أوروبا الكاثوليكية عدوانها تحت راية الصليب. وقامت عدة مستوطنات صليبية على التراب العربى فى فلسطين وأعالى بلاد الشام والجزيرة. وتعيّن على سكان هذه المنطقة العربية أن يدفعوا ثمنًا فادحًا لكى يقضوا على الكيان الصليبى من جهة، ويتصدوا للمشروعات والغارات الصليبية المتأخرة من جهة أخرى. لقد كانت (الحروب الصليبية) أو حروب الفرنج كما سماها العرب الذين عاصروها، سببا رئيسيًا من أسباب تعطل قوى الإبداع والنمو فى الحضارة العربية الإسلامية.

وبعد نهاية النضال ضد الصليبيين دخلت المنطقة العربية المنهكة القوى فى منحنى التدهور والأفول الذى أدى بدوره إلى سقوط العالم العربى تحت السيادة العثمانية. وهذا ما أحدث بدوره انخفاضا فى معدل التنمية الحضارى، بينما كانت أوروبا تقوم بنوع آخر من الحرب، وهى حرب الاستشراق، فقاموا بترجمة العلوم العربية المدونة، ونقل الخبرات والمعارف العربية الإسلامية من خلال الجنود الذين جابوا بلاد الشرق، واطلعوا على حضارته، وذلك مع بعض العوامل الأخرى التى جعلت لأوربا يدا تستطيع أن تنتزع بها مشعل الحضارة من المنطقة العربية الإسلامية، وما أسموه بعصر النهضة الذى أتى بأيدلوجية وأوصلتنا إلى حال الاستعمار والتبعية التى لا نزال نعانيها حتى اليوم، إذ أن أحدًا لا يمكن أن يتجاهل ما جرى منذ عدة قرون بما هو حادث اليوم، كما أن أحدًا لا يستطيع أن يغض الطرف عن حقيقة أن (الحملات الصليبية) ضد الشرق العربى الإسلامى كانت أول المشروعات الاستعمارية الأوروبية من ناحية، وأنها كانت (السبقة) أو (التجربة) التى سبقت مرحلة الاستعمار الحديث. فضلاً عن أنها كانت إلهامًا للتجربة الصهيونية ذات الأهداف الاستيطانية من جهة ثالثة.

وعلى الرغم من الفشل الذى منيت به الحركة الصليبية إلا أن المثال الصليبى تحول بمرور الوقت تحت تأثير وسائل الإعلام التى عملت فى خدمة الأهداف الاستعمارية الأوروبية إلى مثال براق يوحى بالشجاعة والتضحية بالنفس فى سبيل المثل العليا. واستقر فى الوجدان الشعبى الأوروبى (والأمريكى) أن (الحملة الصليبية) لابد أن تكون بالضرورة حملة خيرّة، نبيلة القصد والهدف، نزيهة الغرض مثل : رعاية المرضى أو مساعدة المنكوبين أو جمع التبرعات أو قتل المسلمين إلى آخر الأعمال الخيرية التى غرستها الصهيونية فى وجدان الغرب.

إن هذا الموروث الشعبى الذى حملته الأغنيات الشعبية عن الحروب الصليبية ربما كان وراء هذه الصورة الأخاذة التى ترتسم فى أذهان عامة الناس فى أوروبا وأمريكا حين ترن فى آذانهم عبارة (الحروب الصليبية) فقد تخلت الأغنيات والحكايات عن الحقيقة التاريخية لصالح التعويض النفسى والتفسير الشعبى لتلك الظاهرة التى كانت تمثل فى حينها حلمًا من أحلام الفقراء. ولذلك كثيرًا ما نرى قادة الرأى والأدباء والساسة الغربيين يستخدمون مصطلح (الحملة الصليبية) بهذا المفهوم النبيل والخاطئ، فيعبرون عن الأعمال ذات الأغراض النبيلة والمقصود بها مرضاة ربهم باسم الحملات الصليبية. ولقد سمعنا كما سمع العالم الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن وهو يصف حملته العسكرية على العراق باسم الحملة الصليبية.

بيد أن المؤرخين الماركسيين فى الكتلة الشرقية لا يشاطرون أبناء الغرب الأوروبى هذا الموقف من (الحروب الصليبية) فقد عانت بلاد البلقان من وحشية الصليبيين وكان ماركس وإنجلز ولينين يرون - ولهم كل الحق فى ذلك - أن الحملات الصليبية كانت مشروعات استعمارية استيطانية تهدف إلى استعباد الشعوب تحت راية الصليب. لقد كانت الأفكار التى تدور حول نهاية العالم بعد الألف الأولى من معاناة المسيح على الصليب، والأفكار التى تتعلق بالعالم الآخر، أحد ينابيع الفكرة الصليبية. فقد شاعت فى أوروبا الغربية قرب نهاية القرن العاشر الميلادى وفى بداية القرن الحادى عشر الميلادى أفكار وحكايات وقصص أساطير تتحدث عن قرب نهاية العالم مع اكتمال الألف الأولى بعد ميلاد المسيح.

بين النصرانية والصليبية

إن النصرانية التى أتى بها نبى الله عيسى بن مريم ديانة سماوية أنزلها رب العزة وارتضاها لعباده، تحمل لليهود عقيدة التوحيد ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السليم، جاءت سمحة تنقى العقيدة مما شاب اليهودية من شوائب، ونسخ بعض شرائعهم السابقة، ولم يكن الحج إلى بيت المقدس فريضة دينية أو شعيرة من الشعائر أو الطقوس الدينية التى جاء بها المسيح، ولكن كانت هناك رحلات نادرة فى أيام النصرانية الأولى إلى فلسطين وذلك لأن السلطات الرومانية لم تكن تشجع الحج إلى هناك، فالقدس نفسها قد دمرها القائد الرومانى تيتوس عام ٧٠م[١]، ثم زادت حركة الحج النصرانى إلى فلسطين بعد اعتراف الإمبراطور قسطنطين الكبير بالنصرانية كديانة عام ٣١٣م، وكان النصارى يزورون القدس وفلسطين لكى يقتفوا آثار خطوات المسيح وحوارييه، وخطوات الأنبياء، ورؤية الأماكن التى تجسد فيها المسيح ولمسها، أى يحجون لاستعادة أفضل ذكريات العهدين : القديم والجديد.

تخبرنا نصوصٌ كثيرة بأن بعض الحجاج (قبل الحروب الصليبية) كانوا يحرصون على الأكل فى كهف أكل فيه المسيح مع حوارييه، كما كان بعضهم يستحم فى نهر الأردن[٢]. وأضيف أن هذه الرحلات المنظمة كانت بها رحلات تجسسية، أوطلعات استكشافية للبلاد وما استحدث فيها من دروب ومسالك، ولمعرفة أحوال البلاد والعباد، وللإجابة على السؤال الذى لم يزل يحير الغرب إلى الآن : أى عصى سحرية جعلت هؤلاء الشرقيين يخلعون عباءة النصرانية، وينسلخون من ديانتها، ويعتنقون عقيدة العرب، ويقاتلون فى سبيل إعلاء كلمتها، ويحولون لسانهم إلى اللغة العربية، فيحفظون القرآن فيتلونه آناء الليل وأطراف النهار، باللغة العربية ويأخذون بتلابيب العلم، فيبرعون فى شتى فنون الحياة، ويصنعون حضارة اجتاحت غرب أوروبا، وباتت تهدد النصرانية فى كل ربوعها.

كانت العقيدة الكاثوليكية عشية الحروب الصليبية لا تزال بعيدة عن تحديد إطارها بشكل متكامل، وكان الدين لدى سكان الغرب الأوروبى فى ذلك الحين مزيجا من

---

(١) د. قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية. المرجع السابق

(2) Runciman, A History of The Crusades,vol.1.pp39- 44

الخرافة، وطقوس عبادة الطبيعة، وبعض تعاليم النصرانية[1] ، وقد أرست الكنيسة الاعتقاد بأن رحلات الحج هى طريق الخلاص فتزايد إقبال الناس على المشاركة فيها منذ القرن العاشر الميلادى، كما كانت الكنيسة ترغم المجرمين وأصحاب الذنوب ومن أضروا بمصالح الكنيسة (من ينتهكون سلام الرب) على الحج بقصد التوبة والتكفير عن الذنوب، وفى القرن الحادى عشر زادت رحلات الحج التكفيرية من غرب أوروبا وحتى العقدين الأخيرين، كانت مجموعات الحجاج تصل فى بعض الأحيان إلى عدة آلاف من كل عمر ومن كل طبقة، وما كان لهذه الأعداد أن تتزايد ما لم يكن المسلمون قد مهدوا الطرق لهؤلاء الحجيج وأمنوها لهم، فالعرب حتى قبل الإسلام كانوا يحترمون رحلات الحج ويحرّمون القتال فى أشهر السفر له (الأشهر الثلاثة المتصلة من الأشهر الحرم ذو القعدة وذوالحجة والمحرم)، وكان بوسع الحجاج الأوربيين أن يتنقلوا فى فلسطين بحرية كاملة وأمان دائم لأن السلطات الإسلامية سواء كانت من العباسيين أم الإخشيديين أو الفاطميين كانت ترحب بهم، وتحسن وفادتهم، بينما كانوا يدعون عليهم صفات سوء كالهمجية والوحشية والوثنية، وهم أبعد ما يكونون عن هذه الخصال الذميمة والشيم الوضيعة، ذلك لأنهم مسلمون، قد سمت بهم عقيدتهم وهذبت نفوسهم.

ولكن الكنيسة كانت تزرع فكرة أن الأرض التى شهدت قصة المسيح، وفيها ضريحه، لابد أن تكون تحت سيطرة أتباعه، فالكنيسة رأت أنها أولى من المسلمين بالأموال الأوروبية المتدفقة نحو الشرق، وراحت الدعاية الكنسية تصور المسلمين فى صورة الكفار المتوحشين [2]، فقد ورد فى خطبة البابا أربان الثانى عن المسلمين ما نصه : « جنس غريب على الرب تمامًا، فقد غزا أرض أولئك النصارى، وأخضع الناس بالسيف، والتدمير والحريق، كما حمل بعضهم أسرى إلى بلاده، وذبح البعض الآخر بوحشية، وسوى الكنائس بالأرض، لقد أجروا عمليات الختان للنصارى، وكانوا يصبون دماء الختان على مذابح الكنائس أو فى أوانى التعميد، وقد شقوا بطون أولئك

(١) قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، الكويت ١٩٨٨.

(٢) النص الكامل لخطبة البابا أربان الثانى فى كليرمون قد أوردها مترجمة للعربية د قاسم فى كتابه : الحروب الصليبية نصوص ووثائق. نقلا عن رواية كل من فوشيه دى شارتر وروبير الراهبوجيوبرت دى نوجنت وبلدريك دى دول.

الذين اختاروا تعذيبهم بالموت البطيء المثير للاشمئزاز، فينزعون معظم الأعضاء الحية، ثم يربطون ضحاياهم إلى العصى المدببة ويسحبونهم».

هكذا كذب ممثل الرب على الأرض - كما يزعمون - ووضعت الكنيسة فكرة عسكرة الحج، وأضفت طابع القداسة على هذه الممارسة العدائية، فكان الصليبي حاجا من طراز خاص تعده الكنيسة بغفران لجميع الذنوب، والسيف الذى يحمله الصليبي مباركًا من الكنيسة باعتباره جنديا فى جيش المسيح، وكانت تسمية الصليبي بهذا الاسم استنادا لنص من إنجيل متى يقول: «إن أراد أحد أن يأتى ورائى، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى».

ثم حدث تطور جديد وهام. فقد صارت البابوية تمنح الغفران لمن يرسلون المحاربين بدلا منهم، ولمن يساهمون بأموالهم فى تمويل إحدى الحملات الصليبية عوضًا عن المشاركة بأنفسهم. ونتيجة توسع البابوية فى الاستخدام السياسى للحملة الصليبية، أى استخدام الفكرة الصليبية فى شن حروب ضد خصومها داخل أوروبا الكاثوليكية نفسها، فتح الباب على مصراعيه أمام فكرة شراء الغفران بالمال. وهذا ما أدى إلى ظهور مشكلة صكوك الغفران التى ثار عليها وعلى الكنيسة كلها مارتن لوثر فيما بعد. وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل فى الفصول القادمة إن شاء الله.

***

الفصل الثانى

نشأة النصرانية الصهيونية

أحوال النصارى مع اليهود فى أوروبا قبل القرن الرابع عشر:

قد يَسأل سائل عن سبب اختيار هذا التوقيت لنبدأ منه، والحقيقة أن الملامح الفكرية للعالم الذى نحياه اليوم قد بدأت فى التشكُّل فى هذه الفترة، ويقول الغربيون أنفسهم: أواخر القرن الخامس عشر والقرنين السادس عشر والسابع عشر هى السنوات التى شهدت تطور ثقافتنا الغربية الحديثة [1]، ولا يمكن الجزم بوجود تاريخ محدد لميلاد مصطلح الصهيونية الذى يحدد ملامح الفكر الغربى و منهجه اليوم، ولكن الصهيونية كمصطلح ظهر فى القرن التاسع عشر كما سبق الذكر، ولكنها كفكرة كان النصارى فيها أسبق من اليهود فى إيجادها إذ يعود تاريخها إلى ثلاثمائة عام قبل مؤتمر الصهيونية اليهودية الأول الذى عقد فى بازل و دعا له هرتزل فى أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩٧م حيث التفت مجموعة من اليهود الأوربيين حول اللواء الصهيونى بعد عام من تأليف كتابه « الدولة اليهودية »، إذ أن الصهيونية اليهودية بدأت كحركة أقلية يهودية، وكان الفكر اليهودى حتى فى القرن التاسع عشر ـ وإلى اليوم ـ معاديًا للصهيونية بشكل عام، ويركز على الإصلاح الدينى. وكانت الصهيونية بعدم ربطها بين الدين والقومية تعارض الرأى التلمودى القائل: « إن القوانين التى يجب إطاعتها هى قوانين البلاد

---

(١) كارين أرمسترونج و د. فاطمة نصر و د. محمد عنانى: معارك فى سبيل الإله (الحركات الأصولية الدينية فى اليهودية والمسيحية والإسلام). القاهرة. الطبعة الأولى ٢٠٠٠م. ص ١٧

التى يعيش فيها اليهود»، وكانت اليهودية التقليدية تعارض علمانية الصهيونية السياسية[١].

عندما قرر قسطنطين جعل النصرانية الدين الرسمى للدولة الرومانية، أصبح اليهود مضطهدين فى أرجاء الإمبراطورية. وفى عام ٣٣٩ م أصبح التحول إلى اليهودية جريمة يعاقب عليها القانون. وعندما أعلن البابا أربان الثانى بابا الفاتيكان بدء الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٥م لتخليص القدس من أيدى المسلمين، وأصبح اليهود أو كما أطلقوا عليهم (الخونة) محل اضطهاد من الصليبيين الذين قتلوا آلافا من اليهود الذين رفضوا المعمودية (التحول إلى المسيحية).

ومنذ الحملة الصليبية الأولى، وهناك ضغط متزايد فى المجتمعات الأوروبية النصرانية لطرد اليهود منها أو فرض القيود على أنشطة التجمعات اليهودية بها. فاليهود كانوا قد أقاموا مبكرًا داخل حدود الإمبراطورية الرومانية وأسسوا تجمعات ومؤسسات فى أوروبا، بما فى ذلك مراكز دينية مهمة على نحو ما حدث فى فرنسا[٢]. وهذا عهدهم دائمًا يستوطنون فى الدول ذات الاقتصاد القوى الناهض ليكونوا تجمعات وتكتلات صغيرة فى البداية ثم يبدءون فى الانتشار كالورم السرطانى داخل حياة هذا المجتمع ناخرين كالسوس فى العظم فيصيبون النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية ويدسون السم بالدسم والعسل فيقومون بإثارة القلاقل وإلقاء بذور الفتن والبغضاء بين عناصر المجتمع ثم إشعال نارها حتى يستفيدوا من هذه الفتن ويحققا مصالح جمة لهم إذ لا يصلح عملهم فى جو صاف أبدًا فنكد زرعهم لا ينبت إلا فى الماء العكر. وهذا من أهم أسباب نبذهم وعمل الشعوب على طردهم ونفيهم وتصديق الناس لأكاذيب حرقهم. وبنهاية القرن الحادى عشر دُمرت التجمعات اليهودية فى أوروبا، إذ وجه لليهود اللوم على كل أذى لحق بالنصرانية، واتهموا بكل المساوئ الاجتماعية وبالمسؤولية عن كل وباء، وبشرب الدم المسيحى فى عيد الفصح اليهودى.

---

(١) ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ الغربى. ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز. سلسلة عالم المعرفة العدد ٩٦, الكويت ١٩٨٥

(٢) رضا هلال : المسيح اليهودى ونهاية العالم. المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا. مكتبة الشروق. القاهرة. الطبعة الثانية ٢٠٠١م. ص ٥٩

وقاد كل ذلك إلى طرد اليهود من بريطانيا عام ١٤٩٢م، وحرق التلمود في باريس في منتصف القرن الثالث عشر، وبنهاية القرن الرابع عشر طرد اليهود من فرنسا.

أحوال النصارى مع اليهود في أوروبا قبل القرن السادس عشر:

كان قيام الأسبان بإعادة فتح الأراضي الإسلامية القديمة في الأندلس بمنزلة كارثة لليهود في شبه جزيرة أيبيريا. أما في الدولة الإسلامية فقد كانت الأديان السماوية جميعها (اليهودية والنصرانية مع الإسلام) تعيش في تناغم نسبي في ظل عدل الإسلام وسماحته على مدى ما يربو على ستمئة عام، وكان اليهود بصفة خاصة، يتمتعون بنهضة ثقافية وروحية في إسبانيا، ولم يتعرضوا لما تعرض له اليهود في سائر أوروبا من ألوان الاضطهاد. وهذا ما يشهد به التاريخ الأوربي، وتذكره مراجعه، وفيما بين عامي ١٣٨٧ و ١٣٩١ م تعرضت الجاليات اليهودية في كل من أراجون وقشتالة للعدوان على أيدي النصارى الذين كانوا يجرون اليهود جرًا إلى مياه التعميد ويرغمونهم على اعتناق النصرانية وإلا كان الهلاك هو عقابهم. وفي أراغون كانت المواعظ التي يلقيها الكاهن الدومينيكاني فنسنت فيرير (١٣٥٠-١٤١٩) تؤدي بانتظام إلى اندلاع أعمال الشغب المعادية للسامية، كما كان فيرير يقوم بتنظيم مناظرات عامة بين الحاخامات والنصارى بقصد التشكيك في الدين اليهودي، وحاول بعض اليهود تفادي الاضطهاد بالتحول إلى اعتناق النصرانية طوعًا، وكان يطلق عليهم رسميًا تعبير (المتحولون) "Conversos"[1] وإن كان المسيحيون ينعتونهم بلفظ (المارانو) « "Marranos" أي الخنازير، وهو لفظ سباب تعلق به بعض المتحولين باعتباره سمة من سمات الفخر.

وكان الحاخامات يحذرون اليهود من التحول، ولكن (النصارى اليهود) أو (النصارى الجدد) - وهو ما أصبح يطلق على كل من اعتنق النصرانية من اليهود - تمكنوا في البداية من تحقيق الثراء والنجاح في التعايش مع المجتمع. بيد أن هؤلاء المتحوّلين قد

---

(١) كارين أرمسترونج: مرجع سابق من ص ٢٤ : ٢٦.

تباينت استجاباتهم للنصرانية، فمنهم من كانوا نصارى من الخارج وهم يضمرون يهوديتهم من الداخل (يهود المارانو)، والبعض كان نصارى جزئيا، بمعنى أنهم تخلوا عن جانب من المعتقدات وقبلوا ببعض الطقوس النصرانية. وآخرون منهم قاموا بعملية (توفيق) بين الممارسات النصرانية ومعتقداتهم اليهودية الأصلية.

وما بين عامى ١٤٤٩و ١٤٧٤م قامت ثورات شعبية فى شبه الجزيرة الأيبيرية ضد المارانو فتعرضوا للقتل أو تدمير ممتلكاتهم أو الطرد، كما بلغ الملك فرديناند والملكة إيزابيلا أنباء عن ارتداد بعض النصارى الجدد إلى دينهم القديم، وعودتهم إلى العيش يهودًا فى السر، وقيل إنهم شكلوا حركة سرية تهدف إلى اجتذاب المزيد من المتحولين إلى حظيرة اليهودية القديمة. ولهذا صدرت التعليمات إلى رجال محاكم التفتيش بالبحث عن هؤلاء اليهود المتخفّين، وكان المشتبه فيهم يتعرضون للتعذيب حتى يدلوا باعترافهم بالخيانة والكفر وبالمعلومات عن دعاة اليهودية فى السر. وكان من نتيجة ذلك أن قتلت محاكم التفتيش فى السنوات الاثنتى عشرة الأولى من عملها نحو ١٣٠٠٠ ممن رأتهم من المتحولين.

وعندما سقطت غرناطة من أيدى المسلمين عام ١٤٩٢م، وجد فرديناند وإيزابيلا أنهما قد ورثا جالية كبيرة وجديدة من اليهود فى تلك المدينة الدولة، ولإيجاد حل نهائى للمشكلة اليهودية وقّع العاهلان مرسومًا بطرد اليهود من أسبانيا، وتمزق شمل اليهود فى أسبانيا، كما تحول نحو ٧٠٠٠٠ إلى اعتناق النصرانية، وظلوا فى البلد ليُبتلوا بمحاكم التفتيش، واتجه الباقون وهم حوالى ١٣٠٠٠٠ يهودى إلى الشتات، والواقع أن طرد اليهود من أسبانيا عام ١٤٩٢م كان ختاما لمسلسل طرد اليهود من أوروبا إذ بدأ من فيينا ولينز عام ١٤٢١م ومن كولونيا فى عام ١٤٢٤م ومن أوجسبرج فى عام ١٤٣٩م ومن بافاريا عام ١٤٤٢م ومن المدن التابعة للتاج فى مورافيا فى عام ١٤٥٤ م. ثم طرد اليهود من بيروجيا فى عام ١٤٨٥م ومن فيشنزا ١٤٨٦م وبارما ١٤٨٨م ومن ميلانو ولوكا عام ١٤٨٩م وتوسكانيا ١٤٩٤م، وانتقل اليهود تدريجيا إلى الشرق، وشرعوا يقيمون ما ظنوه موقعا حصينا لهم فى بولندا [١] . ولجأ بعض اليهود بعد طردهم من أسبانيا التى كانوا يسمونها سفاراد إلى ولايات الإمبراطورية

(١) كارين أرمسترونج : مرجع سابق ص ٢٤ : ٢٦.

العثمانية فى شمال إفريقيا وشبه جزيرة البلقان فقد اعتادوا العيش فى المجتمع الإسلامى، وخشى هؤلاء السفارديون على أنفسهم من الانقراض وقد لجأوا إلى الدين كملاذ ومنقذ، ولكن التغيير الذى أصابهم أرغمهم على محاولة التوصل لأشكال جديدة للعقيدة، واتجه بعض منهم للمشيحانية التى تؤمن - كما سبق ذكره - بالماشيح المخلص الذى سوف ينهى آلام اليهود وعذابهم.

ولم يكن فى الفكر الكاثوليكى التقليدى قبل ما يسمى بعهد الإصلاح الدينى وظهور البروتستانتية أدنى مكان لاحتمال عودة اليهود إلى فلسطين، وكان القساوسة الأوائل يرفضون التفسير الحرفى للعهد القديم، ويضعون التفسيرات المجازية التى أصبحت الأسلوب الرسمى لتفسيرات العهد القديم (التوراة) كما وضعته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وكان يعتقد أن الفقرات الواردة فى العهد القديم التى تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم لا ينطبق على اليهود بل على المؤمنين بالكنيسة المسيحية مجازا. أما اليهود فإنهم طبقا للعقيدة الكاثوليكية الرسمية اقترفوا إثما عندما لم يؤمنوا بالمسيح (عيسى بن مريم) ولم يعتنقوا عقيدته فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم فى بابل، وعندما أنكروا أنه هو المسيح المنتظر الذى سيعود فى آخر الزمان نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهى وجود ما يطلق عليه اسم (الأمة اليهودية) إلى الأبد. وعلى هذا فليس لليهود مستقبل قومى جماعى، ولكنهم كأفراد يستطيعون أن يجدوا الخلاص الروحى باعتناقهم للكاثوليكية[1].

ويعد ما كتبه الأب أوغسطين فى القرن الخامس الميلادى من أبرز ما كتب عن مملكة الله الألفية السعيدة وهو يعتبر تحفة أدبية فى الأدب اللاهوتى الكاثوليكى، إذ تؤول النبوءات المتعلقة بعودة اليهود على أنها عودة الإسرائيليين من المنفى فى بابل وهو ما تحقق فى القرن السادس قبل الميلادى حين أعادهم قورش إلى فلسطين، أما الفقرات الأخرى التى تتنبأ بمستقبل مشرق لإسرائيل فكانت تفسر على أنها تنطبق على (إسرائيل الجديدة) أى التى تؤمن بالعهد الجديد والتى تُعتبر (أى الكنيسة الكاثوليكية) إسرائيل الحقيقية والوريث المباشر للديانة العبرية، كما أرسى مفاهيم العقيدة التى كانت الكنيسة بموجبها تجسد مملكة الله الألفية السعيدة.

ونتيجة لذلك كانت فترة العصور الوسطى تميل إلى الفصل بين اليهود المعاصرين

(١) ريجينا الشريف (مرجع سابق)

المنبوذين والعبرانيين القدامى، ويبقى هذا هو الإيمان الراسخ لدى الفكر المسيحى الأوربى حتى القرن السادس عشر. وعلى هذا الاعتقاد اعتبرت فلسطين هى الوطن المقدس الذى أورثه المسيح إلى أتباعه المؤمنين، ووصفت القدس بأنها مدينة العهد الجديد وبسبب هذا الإرث مدينة صهيون (كما أسماها اليهود) كانت الرحلة للأرض المقدسة تتغلغل فى حياة ووجدان كاثوليك أوروبا، وكان الحج إليها مطمحًا وحلمًا لكل مسيحى مؤمن، إلا أن اهتمام الكنيسة نفسها بفلسطين قد تضاءل منذ منتصف القرن السادس أى بعد عام ٩٥٠م حين أصبح عرش البابا جريجورى العظيم هو مركز السلطة المسيحية، وأصبحت لروما الحظوة على القدس، وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة فى السلسلة الهرمية لهيئة الكهنوت الكاثوليكية.

لم تعد فلسطين والقدس محور اهتمام الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى حتى رفرفت عليها مرة أخرى راية الإسلام الوارفة عندئذ تضامنت البابوية مع النبلاء فى حملات صليبية لاستعادة الأرض المقدسة ممن تعتبرهم الكنيسة كفارا سواء أكانوا من المسلمين أم من اليهود الذين عاشوا أزهى فترات الحرية فى ظل عدالة الإسلام بينما كانوا يعيشون أسوأ فترات الذلة والازدراء فى أوروبا على يد النصارى، ويذكر المؤرخون أن العداء كان أشد ما يكون عمقا إبان الحملات الصليبية وأن المحاربين الصليبيين هم أول من بدأ المذابح اليهودية وهم فى طريقهم إلى فلسطين، ولم تكن أوروبا عن بكرة أبيها تعتبر اليهود الشعب المختار الذى قدر له أن يعود للأرض المقدسة، وإن كان اليهودى مختارا لأمر ما فإنه اللعنة، ولا شىء غير اللعنة.

وكان النصارى يعتبرون اليهود مارقين، ويصمونهم بأنهم قتلة المسيح (إذ عذبوه بلا هوادة ثم صلبوه) فلم تكن هناك ذرة من حب للجنس العبرى، كما لم تكن بارقة أمل فى إعادة بعث اليهود روحيا أو قوميا، ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لأرض فلسطين وكانت إسرائيل تعنى مجرد اسم لديانة بل وديانة دنيا[1] يدين بها حثالة البشر.

---

(١) ريجينا الشريف: مرجع سابق (بتصرف).

تكون الصهيونية فى رحم النصرانية بالقرن السادس عشر:

ظهرت حركة الإصلاح الدينى البروتستانتية أى المعارضة على يد الراهب مارتن لوثر الذى أعلن الثورة على الكنيسة وعلق اعتراضاته الخَمسة والتسعين على أبواب كاتدرائية (وتنبرج) فى آخر أكتوبر عام ١٥١٧م، وباسم الإصلاح الدينى والثورة على سيطرة الكنيسة والبابا شخصيا والاعتراض على هيمنتهما على جوانب الحياة جميعها ليس الدينية فقط، وإساءة استغلال تدين البسطاء والعامة وبيع صكوك الغفران وما إلى ذلك من بواعث قيام البروتستانتية أو دوافعها، وجعل الصدارة فى تلقى التعاليم والمفاهيم التى تبنى عليها العقيدة والعبادة من فهم نصوص الكتاب المقدس، وليس من تعاليم البابوات وتقاليدهم، ومن أجل مخالفة هذه التعاليم والتقاليد الكاثوليكية نهجت منهجا لا يعتمد فى إقامة العقيدة الدينية على أساس شروح المتبحرين فى العلوم اللاهوتية وأساطينها، ولكن على أساس حرفية النصوص، ومفاهيمها المباشرة بلا تأويل أو ترميز أو تمثيل، وأصبح الكتاب المقدس متاحا للتداول، كما أصبح الفهم الشخصى له حرا مباحا بلا أى قيود على التفسيرات التوراتية التى كانت تتطلب التأويل الكاثوليكى، وأمسى كل بروتستانتى حرًا فى دراسة كتابه المقدس واستنتاج معنى النصوص التوراتية بشكل فردى، وهكذا فتح باب الاجتهاد الحر بغير علم باب البدع فى اللاهوت النصرانى على مصراعيه، وأصبح التأويل الحرفى هو الأسلوب الجديد فى فهم وتفسير النصوص الدينية بعد أن هجر المصلحون البروتستانتيون الأساليب التقليدية الرمزية والمجازية.

حقيقة يعتبر مارتن لوثر كمؤسس وزعيم لحركة البروتستانت مسئولا إلى حد بعيد عن تشكيل المناخ الدينى والروحى بالقرن السادس عشر فقد أوجد أرضًا خصبة للأفكار الصهيونية الأولى، وذلك لأنه أعاد اكتشاف التوراة (العهد القديم) التى جعلها العنصر الأساسى فى الحركة البروتستانتية، فالعهد القديم يشكل الجزء الأكبر من الكتاب المقدس بعهديه، وقد جاء الإنجيل (العهد الجديد) مكملا له، فاعتبره أصل الدين وميراث العقيدة، ومن هذا المنطلق أوجد لدى نصارى أوروبا الرغبة فى تعلم اللغة العبرية، لغة التوراة باعتبار أن فهم التوراة صار مطلبا شخصيا بعيدا عن تأويلات الكنيسة التى تم الاعتراض عليها وعلى البابا الذى كان مسئولا عن الدين نفسه، كما أن العهد القديم هو السجل التاريخى الوحيد عندهم لما يسمى بالدولة اليهودية القديمة بما

تشـمله من الأساطير والخرافات والقصص التاريخية والأشعار والعبارات النبوية المشترك قال بن جوريون الذى أعلن عام ١٩٤٧م قيام دولة إسرائيل وتم تنصيبه رئيسا لوزرائها عن الكتاب المقدس للنصارى أنه « صك اليهود » المقدس لملكية فلسطين والذى يرجع تاريخه إلى ٣٥٠٠ عام.

إعادة النظر فى المسألة اليهودية (من التدنيس إلى التقديس):

أظهر مارتن لوثر مؤسس وزعيم حركة الإصلاح البروتستانتى ميوله اليهودية بحماسه الشديد لدراسة اللغة العبرية وتفضيله المبادئ اليهودية على معتقدات اللاهوت الكاثوليكى. وأوضح ذلك فى كتابه الذى وضعه فى عام ١٥٢٣م (عيسى ولد يهوديا) الذى أعيدت طباعته سبع مرات فى عام واحد وهو عام نشره، وقد شرح فى هذا الكتاب المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود محتجا بأن النصارى واليهود من أصل واحد، وقد بالغ فى علو قدرهم ورفعة شأنهم وطهارتهم حتى قال فيهم :

شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم، إنهم هم أبناء الرب ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا بأن نكون كالكلاب التى تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، تماما كالمرأة الكنعانية.

وقصة المرأة الكنعانية أرويها كما وردت بالإنجيل ليتابع القارئ الكريم أبعاد ما يقال: (ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيداء، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : «ارحمنى، يا سيد، يا ابن داود! ابنتى مجنونة جداً». فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : «اصرفها، لأنها تصيح وراءنا». فأجاب وقال : « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». فأتت وسجدت له قائلة : «يا سيدى أعنّى». فأجاب وقال : « ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب». فقالت : « نعم، يا سيد! والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها!». حينئذ أجاب يسوع وقال لها : « يا امرأة، عظيم إيمانك! ليكن لك كما تريدين». فشفيت ابنتها من تلك الساعة). ١٥ متى ٢١ : ٢٨

والمتأمل فى قصة المرأة الكنعانية تلك - إن صحت - يجدها تعطى العديد من المفاهيم

والدلالات حيث أن إحجام المسيح عليه السلام عن حتى مجرد الرد على استجداءات المرأة الكنعانية التى ظلت تتابع المسيح بإلحاح كى يتدخل لشفاء ابنتها، ينافى أخلاقيات الأنبياء والصالحين وبالتالى ينافى منطق وفكرة أن الله تجسد فى الشكل البشرى (المسيح) ليتعذب ويصلب من أجل أن يخلص الإنسان من خطيئة آدم، إذ كيف يكون مخلّصا للبشرية وهو يعرض عن تلك المرأة الكنعانية وعن مساعدتها وتخليص ابنتها من المرض ؟!. إذن فهو لم يأت مخلّصا للناس كافة، ومن قوله: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». وهذا دليل على أنه نبى مرسل لبنى إسرائيل دون غيرهم وليس للبشر كافة، ولا يمكنه التصرف إلا فيما أرسل به، أما إذا كان إلها قادرا فإن قراره سيكون بيده وليس بيد من أرسله. ثم إن قوله : «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب». تأكيدٌ لمعنى خصوصية رسالته وليس عمومها، فإن بركاته ومعجزاته، وما أرسل به (طعام البنين) قاصر على بنى إسرائيل وليس للكنعانيين منه شيء، فإذا ما بلغتهم نكون كمن ألقى طعام أبنائه للكلاب، ولم تعط المرأة الكنعانية بركات المسيح - وفقا لهذه الرواية - إلا بعد إقرارها بالذل وقبولها أن تكون كالكلاب التى تأكل من فتات موائد أسيادها، ولا أعرف كيف يمكن أن يكون هذا هو تصرف يسوع المخلص ؟!! وأى دين هذا الذى يحمل مذلة بشر لبشر يكون سماويًا ؟!!

ولكن هذا ما قَبلَه بل وأكد عليه مارتن لوثر، وجعل هذا هو محور عقيدته، مثلما آمن بنبوءة التوراة حول إنقاذ إسرائيل كأمة وأنها سوف تتحقق، وكان يلقى باللوم على البابوية لتحريفها للمسيحية ونبذها لليهود وصدهم عن اعتناقها. بينما على الأمم أن تعترف وتقر بأنها لن تنال رضا الرب إلا بإقرار بنيها بأنهم كالكلاب أمام أسيادهم اليهود، كما راح يدلل اليهود ويستميلهم أملا فى اعتناقهم البروتستانتية فيقول فى إحدى الفقرات الأخيرة من كتابه المذكور :

إننى أنصح وأرجو كل شخص أن يكون لطيفا فى تعامله مع اليهود وأن يعلمهم الكتاب المقدس، وعندها نتوقع منهم أن يأتوا إلينا. أما إذا استعملنا العنف الوحشى وألحقنا بهم الإهانات قائلين إنهم بحاجة لدعم المسيحيين للتخلص من نتنهم وغير ذلك من السخافات، وإذا بقينا نعاملهم كالكلاب فأى خير نتوقعه منهم؟ كيف نتوقع منهم

أن يكونوا أفضل مما هم إذا كنا نحول بينهم وبين العمل معنا ونرغمهم بذلك على الربا؟ إذا أردنا أن نجعلهم خيرا مما هم فعلينا أن نعاملهم حسب قانون المحبة المسيحى، لا قانون البابا. علينا أن نحسن وفادتهم وأن نسمح لهم بالتنافس معنا لكسب عيشهم لتتاح لهم الفرصة لمشاهدة الحياة والعقيدة النصرانية وإذ أصر بعضهم على عناده فما الضرر فى ذلك؟ نحن لسنا جميعا نصارى صالحين.

ولأن شيم الخسة متأصلة فى أبناء القردة والخنازير، وسوء الطبع سابق للتطبع، فقد ركب اليهود موجة اللوثرية وراحوا يستغلون الموقف ويسعون لتهويد الحركة بدلا من أن يدخلوا فى البروتستانتية كما كان يخطط مارتن لوثر، كما علم بأن اليهود يجمّعون الأنصار لعقيدتهم من خلال حركة المسيحيين المتشددين فى مورافيا.

وهذا ما دعا لوثر إلى تحويل أفكاره حول اليهود وتدليلهم، وألف كتابه الثانى عنهم عام ١٥٤٤م (فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم) الذى راح يبث فيه غضبه بألفاظ عدائية، والمأثور عن مارتن لوثر أنه لم يكن مهذبا فى ألفاظه وبخاصة حين يهاجم أعداءه وخصومه، فاللجوء للتعابير الفظة، بل والقذرة كانت سمة مميزة لأسلوبه وشخصيته البذيئة[1] وقد كانت عباراته العامية المعادية للكاثوليكية وللفرق البروتستانتية المنافسة له تفوق فى ضراوتها عباراته اليهودية. ثم دعا أيضا فى هذه الفترة إلى التخلص من اليهود بردهم إلى أرض الميعاد فيقول : من الذى يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم فى يهودا ؟ لا أحد. إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم لا لشىء إلا لنتخلص منهم. إنهم عبء علينا ثقيل وهم بلاء وجودنا.

البروتستانتية والمفاهيم الأوروبية الجديدة بالقرن السادس عشر

١ـ كانت المبادئ البروتستانتية والتى وضعتها حركة الإصلاح الدينى ـ كما أطلقوا عليها فى القرن السادس عشر مبادئ مغايرة تماما للمبادئ الكاثوليكية السابقة. وتوصف هذه الحركة بأنها بعث (عبرى) أو يهودى قد تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن

(١) ريجينا الشريف : المرجع السابق.

الماضى والحاضر اليهودى وعن مستقبله بشكل خاص .

٢ ـ ان اهتمام الإصلاح البروتستانتى منصبا على العالم القادم ، وكان ينظر إلى الحياة بمنظار الأبدية ، كما ساد الاعتقاد بالمسيح المنتظر وبالعهد الألفى السعيد اللذين هما من مقومات المبادئ اليهودية .

٣ ـ ومع أن النصرانية كانت نتاجا لليهودية إلى حد بعيد ، وكانت تشتمل على بعض العناصر اليهودية القوية إلا أن التغيرات اللاهوتية التى جاءت بها الحركة البروتستانتية هى التى روجت لفكرة أن اليهود أمة مفضّلة ، وأكدت على عودتهم إلى أرض فلسطين . بل وساد الاعتقاد بين البروتستانتيين أن اليهود المشتتين حاليًا سيجمعون من جديد فى فلسطين للاستعداد لعودة المسيح المنتظر .

٤ ـ أصبح العهد القديم هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد وسرت الأفكار الصهيونية فى عصب الفكر الأوروبى وشكلت ملامحه . وأصبحت اللغة العبرية اللسان المقدس واللغة التى أوحى الله بها لشعبه ، ويعد هذا اللسان ذا أهمية كبرى فى تطور الصهيونية النصرانية ، إذ كان تعلم العبرية فى نظر الكثيرين بدعة يهودية .[(١)] وقد اتخذت خطوات عنيفة لاجتثاث العبرية فى عهد الفلسفة النظرية السائدة فى القرون الوسطى ، ولكن الأمر اختلف وسرعان ما أصبحت معرفة العبرية جزءًا من الثقافة الأوروبية العامة .

٥ ـ كان الإعجاب الجديد باللغة العبرية يقترن فى كثير من المجموعات والفرق البروتستانتية بالإعجاب بالمبادئ اليهودية فازداد التسامح فى الأراضى الواقعة تحت النفوذ السياسى البروتستانتى كما يتضح من حالة الأراضى المنخفضة التى كانت تحت حكم أسرة ناسو أورانج . لقد كانت أمستردام فى القرنين السادس عشر والسابع عشر تعرف بين يهود أوروبا بأنها القدس الجديدة .

٦ ـ تسربت الروح العبرية الجديدة كذلك إلى الفنون والآداب وتركت بصماتها الخالدة على الحضارة الأوروبية ، فقد أصبح الفنانون يرسمون ويحفرون مناظر من الكتاب المقدس ، وبخاصة العهد القديم . وفى مجال الأدب حل نوع جديد من

(1) Robert W .Stookey , The Rebirth and Destiny of Israel (New York) 1954 p 24

الدراما المبنية على قصص وتفسيرات العهد القديم محل المسرحيات التى كانت تمثل حياة القديسين، وأصبحت الشخصيات التى ورد ذكرها بالعهد القديم والأسفار الأربعة عشر الملحقة بالعهد القديم شخصيات بطولية يُحتذى بأخلاقها.

٦ـ كان لكتابات (القبّالاه) المكان الأول من بين النصوص العبرية التى كانت تدرس بعناية، والقبّالاه تطلق على التصوف اليهودى كأفكار وحركات، وهو فكر تراكمت فيه أفكار الشعب المختار وأمة الروح والأرض المقدسة وهناك تاريخ طويل للقبّالاه لسنا بصدد ذكره الآن إلا أن القبّالاه بمعناها الحالى ظهرت فى فرنسا، وكان من أهم العارفين بها أبراهام بن داود وابنه اسحق اللذان آتداولا كتاب (الباهير) الذى ظهر بفرنسا فى القرن الثانى عشر وهو من أهم كتب القبّالاه، ثم انتقل مركز القبّالاه من فرنسا إلى أسبانيا حيث نشأت حلقات عديدة للمتصوفة.

ومن أهم القبّاليين أبراهام بن شموئيل أبو العافية المتوفى ١٢٩١م، إلا أن الحركة القبّالانية قد بلغت ذروتها وقمتها بظهور كتاب (الزوهار) الذى وضعه موسى بن دى ليون المتوفى عام ١٣٠٥، ثم أنشأ القباليون مركزا لهم فى صفد بفلسطين عام ١٤٢١م، وانتشرت التقاليد القبّالية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر فى أسبانيا ثم إيطاليا وبولندا. وقد زاد الاهتمام بالقبّالاه بعد طرد يهود أسبانيا وتصاعد الحمى المشيحانية، وظهور إسحق لوريا الذى طور المفاهيم القبّالانية فيما أطلق عليه اسم (القبّالاه اللوريانية) التى سيطرت على الفكر الدينى اليهودى بما فيها المؤسسة اليهودية الحاخامية نفسها.

***

الفصل الثالث

النصوص التى تشكل معتقدات النصارى الصهاينة

نصوص الكتاب المقدس .. مصادر جمعها وتقديسها :

وقبل البدء بسرد النصوص الدينية للكتاب المقدس التى اعتمد عليها الصهاينة فى بناء فكرهم وتشكيل معتقدهم يجب البدء بالتعريف بهذا الكتاب المقدس ومصادر هذه النصوص، إذ يحتوى الكتاب المقدس على عهدين : العهد القديم وهو التوراة والعهد الجديد وهو الإنجيل، وكلمة العهد لا تعبر عن فترة زمنية ولكن كلمة العهد يراد بها الميثاق وتعود التسمية إلى رش دم الذبيحة التى ذبحها موسى على بنى إسرائيل : «وقال هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال» خروج ٢٤-٨. ويحتوى العهد القديم على تسعة وثلاثين سفرًا (كتابًا)، وهى على النحو التالى : التوراة أى الشريعة أو القانون ويحتوى على (أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية) ثم أسفار الأنبياء وهى كتب أنبياء بنى إسرائيل بالإضافة إلى المكتوبات أو الأسفار التى تسجل التقاليد اليهودية والأحداث التاريخية، وهناك مجموعة أخرى من الأسفار اسمها (الأسفار الخفية) وهى حوالى اثنى عشر سفرا، وهى موجودة بالترجمة اليونانية التى تسمى الترجمة السبعينية وهى أقدم ترجمة من الأصول العبرية، وقد تمت بالأسكندرية بناءً على أمر بطليموس فيلالفيوس حاكم مصر سنة ٢٨٢ق.م، وسميت بالسبعينية لأن الذين قاموا بالترجمة سبعون أو اثنان وسبعون حبرا من أحبار اليهود [١] .

---

(١) محمد حسنى يوسف : الصفحة السوداء للكتاب المقدس. دار الكتاب العربى. دمشق. القاهرة. ٢٠٠٦م

إن أولى الترجمات هى الترجمة السبعينية ثم توالت منها ومن النص العبرى العديد من الترجمات اللاتينية القديمة ومعظمها لا يتطابق مع الأصول العبرية واليونانية (السبعينية) سواء فى عدد الأسفار أو فى المحتوى، والنسخة التى تمت ترجمتها لبقية اللغات المعاصرة رغم تضاربها فقد أخذت من نسخة لاتينية مسماة بالفولجاتا (VUL gate) قد ترجمها للاتينية القديس (جيروم) عام ٤٠٤ بتكليف من البابا ويموسوس الأول.

أما العهد الجديد (الإنجيل) فيتكون من سبعة وعشرين سفراً أقرتها المجامع المسكونية من بين عشرات الكتب والأناجيل المماثلة لها فى القرن الخامس الميلادى، وتنقسم إلى الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) وليس بينهم طبعا إنجيل عيسى بن مريم عليه السلام، ثم أعمال الرسل وهو يحكى تاريخ نشأة الكنيسة وظهور بولس المدعو بالرسول، ثم الرسائل المقدسة وهى بمنزلة مواعظ وإرشادات للكنائس، ثم سفر الرؤيا (مشاهدات يوحنا المنامية). وهناك أيضا أناجيل ورسائل لم يعترف بها من المجامع المسكونية مثل إنجيل بطرس وإنجيل مريم وإنجيل برنابا الذى يخالف الأناجيل الأربعة، وإنجيل توما ,وإنجيل يعقوب وغيرها من الأناجيل، وكذلك رسالة برنابا ورسالة أرانيوس وترنيمة العذراء وغيرها.

وقد يتصور الإنسان أن الكتب والأسفار قد اعتمدت دفعة واحدة، أى أصبحت قانونية القدسية، أو أنها على درجة سواء من القداسة، فالحقيقة غير ذلك فمعظم هذه الأسفار والأناجيل كان مشكوكا فى قداستها وصحتها، فمجمع لوديسيا الذى اجتمع عام ٣٦٤م أقر بوجوب تسليم بعض الأسفار مثل رسالتى يوحنا الثانية والثالثة، ورسالة يهوذا وقرر إبقاء رؤيا يوحنا مشكوكا فيها، وغير مسلم بها إلى أن اعتمدت من مجمع قرطاج سنة ٤١٩م مع بعض الأسفار الأخرى مثل باروخ الذى ضموه إلى أرميا والمكابيين الأول وغيرها.

وهذا هو حال الكتاب الذى قدسوه وأسموه المقدس وهو لم ينل قدسيته من السماء بل من الكنائس والمجامع ذات الآراء المختلفة والمتباينة. هذا ليس ما جاء به أنبياء الله ورسله. والسؤال الذى أطرحه على النصارى الصهاينة الآن : هل هذه نصوص إلهية تبنى عليها عقيدة ويرتكز عليها دين يسمى دينا سماويا ونباد كأمة من أجل هذه النصوص التى كانت لقرون مشكوكًا فى صحتها ؟؟؟؟!!!!

مكانة نصوص الكتاب المقدس عند النصارى الصهاينة :

إن الاعتقاد بمجيء المسيح أو الماشيح وبعث اليهود هو أحد الأركان الأساسية في العقيدة الصهيونية، وهي تعتمد أو تستند على أهم المبادئ التي قامت عليها البروتستانتية وهي عصمة الكتاب المقدس بعهديه فهو كلمة الله المعصومة من كل عيب ونقص والتي لا ينالها تحريف أو نقد، وهو المصدر السامي الذي تستمد منه كل مجالات الحياة، ولا يجب تفسير نصوصه بالتأويل، ويقول د. عبد الله بركات عنهم: إنهم يعطون النص الإنجيلي السلطة العليا فوق الجميع، ويصفونه بالعصمة الحرفية، ويرفضون كل ما يعارض النص هذا ولو كان علمًا أو واقعًا. فحتى الواقع الملموس الذي بطبيعته يخالف نصوصهم يكون مرفوضا لديهم[١]، ويؤكد ذلك المعنى د. محمد عمارة إذ يقول[٢] إن الموقف الفكري الذي ميز ويميز هذه الأصولية هو التفسير الحرفي للإنجيل، وكل النصوص الدينية الموروثة، والرفض الكامل لأي لون من ألوان التأويل لأي نص من النصوص- حتى ولو كانت كما هي حال الكثير منها مجازات روحية صوفية- ومعاداة الدراسات النقدية التي كتبت للإنجيل والكتاب المقدس.

هكذا يرفضون التأويل ويأخذون بحرفية النصوص وإن خالفت الواقع الملموس أو العقل والمنطق البدهي للأشياء، وما كان ظهور هذه النزعات التي أطلق عليها اسم الأصولية كما سبق القول إلا تمردًا على سلطة الكنيسة الكاثوليكية وهيمنتها على جوانب الحياة الأوروبية.

وإذا ما تأملت أيها القارئ هذه النصوص، وما بها من رموز لوجدتها بحاجة ماسة إلى التأويل وإعادة الرموز لدلالاتها المقصودة في الحقيقة، ولو أخذنا النصوص على علّاتها لوجدناها ملئت بأشياء وصور خيالية كمن يحمل في كفه سبعة كواكب، و حيوانات مملوءة عيونًا من قدام ومن وراء، ولكل منها ستة أجنحة، والخروف الذي يفك سبعة ختوم، وسنسوق هذه النصوص لندع الحكم بعدها للقارئ اللبيب.

---

(١) د. عبد الله بركات: مفهوم الأصولية الإسلامية عند الغربيين (عرض ونقد). طبعة المؤلف. القاهرة.
(٢) د. محمد عمارة: الأصولية بين الغرب والإسلام. دار الشروق. القاهرة. ١٩٩٨.

نصوص إقامة دولة اليهود بفلسطين وعودة المسيح ونهاية العالم :

كما سبق القول بأن النصارى الصهاينة يعتقدون أن إسرائيل القديمة المذكورة فى التوراة هى إسرائيل الحالية، ووجد ذلك الاعتقاد بالعهد القديم من خلال عدة نصوص، منها ما يشير إلى موضع اليهود السابق فى فلسطين كما هو وارد فى سفر التكوين عند ذكر نبى الله إبراهيم عليه السلام، ومنها ما هو يبشر بعودة اليهود إلى إسرائيل كما هو فى سفر دانيال وسفر حزقيال وهما من أنبياء العهد القديم وقد عاشا ورويا سفريهما خلال فترة السبى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد. وينبئ السفران الأخيران اليهود بالتكفير عن خطاياهم والعودة إلى أورشليم.

ورد فى سفر التكوين : « وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك. فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. » التكوين ١٢/ ١-٣

وورد فى سفر التكوين أيضًا : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. : التكوين ١٥/ ١٨

وورد فى سفر أرميا : « بل حى هو الرب الذى أصعد بنى إسرائيل من أرض الشمال، ومن جميع الأراضى التى طردهم إليها. فأرجعهم إلى أرضهم التى أعطيت آباءهم إياها. » أرميا ١٥/ ١٦ (١).

وورد فى نفس السفر : « هأنذا أجمعهم من كل الأراضى التى طردتهم إليها بغضبى وغيظى وبسخط عظيم وأردهم إلى هذا الموضع وأسكنهم آمنين ». أرميا ٣٢/ ٣٧.

وجاء فى سفر حزقيال : ثم قال لى يا ابن آدم : هذه العظام هى كل بيت إسرائيل ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا. لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال

---

(١) سفر إرميا ٥٢ إصحاحًا، ويتضمن نبوءات عن يهوذا، وقسما تاريخيا عن كيفية حدوث الخراب الذى حل بالمملكة، وما انتهى إليه باقى أفراد الشعب من مذلة، وكلمات تحذير من أرميا النبى إلى تلميذه باروخ بن نيريا، و نبوءات عن باقى الأمم، وأحداث السبى الأخير، وكاتب السفر هو إرميا النبى وذلك من ٦٢٦ إلى ٥٨٦ ق. م ولغة السفر العبرية.

السيد الرب . هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم شعبى وآتى بكم إلى أرض إسرائيل » . حزقيال ٣٧/ ١١-١٢

وورد فى نفس السفر : « وقل لهم : هكذا قال السيد الرب : هأنذا آخذ بنى إسرائيل من بين الأمم التى ذهبوا إليها أجمعهم من كل ناحية وآتى بهم إلى الأرض، وعلى جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكًا عليهم كلهم، ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين : . حزقيال٣٧/ ٢١-٢٢ .

كما ورد فى نفس السفر أيضًا : «وكان إلىّ كلام الرب قائلاً : يا ابن آدم، إخوتك إخوتك ذوو قرابتك، وكل بيت إسرائيل بأجمعه، هم الذين قال لهم سكان أورشليم : ابتعدوا عن الرب . لنا أُعطيت هذه الأرض ميراثًا . لذلك قل : هكذا قال السيد الرب : وإن كنت قد أبعدتهم بين الأمم، وإن كنت قد بددتهم فى الأراضى، فإنى أكون لهم مقدسًا صغيراً فى الأراضى التى يأتون إليها . لذلك قل : هكذا قال السيد الرب : إنى أجمعكم من بين الشعوب، وأحشركم من الأراضى التى تبددتم فيها، وأعطيكم أرض إسرائيل » . حزقيال الإصحاح ١١ - ١٧ : ١٤ .

وفى حزقيال أيضًا : « هكذا قال السيد الرب : الآن أرد سبى يعقوب وأرحم كل بيت فى إسرائيل وأغار على اسمى القدوس . فيحملون كل خزيهم وكل خياناتهم التى خانونى إياهم أيام كانوا ساكنين فى أرضهم مطمئنين ولا من يخيفهم » . ٣٩ - ٢٥ : ٢٦ .

وفى سفر دانيال : « سبعون أسبوعا كتب على شعبك وعلى أورشليم بسجن المعصية، وختم الخطيئة، والتكفير عن الإثم والإتيان بالصلاح الدائم، ولختم الرؤية والرائى ولمسح قدس الأقداس . فاعلم وافهم أنه سوف تنقضى ما بين خروج كلمة يهوه الآمرة بعودة اليهود إلى المسيح الرئيس بتجديد أورشليم وبنائها سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا يعود ويبنى سوقًا وخليجًا فى ضيق الأزمنة » . الإصحاح ٩ - ٢٤، ٢٥ .

أما نصوص العهد الجديد فيستدل الصهاينة بها على ضرورة عودة اليهود لفلسطين إيذانا بعودة المسيح وبداية الألفية المزعومة، ومن هذه النصوص ما ورد فى إنجيل متى : « فمن شجرة التين تعلموا المثل : متى صار غصنها رخصًا وأخرجت أوراقها، تعلموا أن الصيف قريب . هكذا أنتم متى رأيتم هذا كله، فاعلموا أنه قريب

على الأبواب، الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله ». نتى ٢٤/ ٣٢-٣٤.

ويفسرون شجرة التين بدولة إسرائيل رغم رفضهم للتأويل !!! ويعلق صموئيل مشرقى رئيس المجلس العام للكنائس الخمسينية بالقاهرة على فقرات إنجيل متى بقوله : وتتوج هذه النبوءات كلها بما جاء فى حديث المسيح النبوى، عن هذا الرجوع بتمثيله بأفراخ شجرة التين، وخروجها من موت الشتاء إلى حياة الصيف. لقد حدثت نهضة بين اليهود، شكلت قوميتهم من جديد، ولم تكن لها نظير منذ ألفى عام، وهاهم قد رجعوا إلى فلسطين واليوم ولأول مرة فى التاريخ نجدهم راجعين منذ خراب أورشليم وتشتتهم، ها هى شجرة التين قد أفرخت قدام عيوننا، ويكفى أن اليهود الآن، أصبح لهم كيان سياسىٌ ودولة تسمى باسمها القديم (إسرائيل). معترف بها من هيئة الأمم وصار لها حكومة، ومنظمة، ووزراء ومركز فى المحيط الدولى. ولكونها أخرجت أوراقها فقط، فإن ذلك يعنى أن رجوعهم رجوع سياسى لا دينى وهو رجوع جزئى بدليل أن غصنًا واحدًا لها هو الذى صار رخصًا [1]، وليس كل الأغصان، وأنها أوراق فقط دون ثمار. أى فى عدم إيمان وفى غير اكتمال. ويشار إلى ذلك بتجميع العظام اليابسة قبل أن تهب عليها الروح، كما يعلق مايك إيفانز أحد قادة النصارى الصهاينة على نفس النص ويبين فيه أن قيام دولة إسرائيل هو علامة من علامات قرب مجىء المسيح ثانية، ويصف مقاومة الشعب الفلسطينى بأنها حربٌ إرهابية مستمرة[2].

ومثلما ورد فى متى ورد فى إنجيل مرقص : « فمن شجرة التين تعلموا المثل : متى صار غصنها رخصًا وأخرجت أوراقها تعلموا أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضًا، متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أنه قريب على الأبواب، الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله : مرقص ١٣/ ٢٨، ٢٩.

ونجد رؤيا دانيال ورؤيا حزقيال عن مجىء المسيح وبعث اليهود فى العهد القديم وفى رؤيا يوحنا التى يختتم بها العهد الجديد تجسيداً للاعتقاد النصرانى بالمجىء الثانى للمسيح وبداية الألفية السعيدة، رغم أن التشكيك بقدسية الرؤية وصحتها ظل مئات

(١) أى رَطْبًا طريًا.

(٢) محمد إبراهيم الشربينى صقر : مرجع سابق ص ١١٢.

السنين كما أوضحنا سابقا، وقد عاصر يوحنا (صاحب هذا المنام) اضطهاد الإمبراطورية الرومانية للنصارى على يد نيرون. إذ كان النصارى يتعرضون للتعذيب والآلام فى كل أرجاء الإمبراطورية، وكان كثيرون منهم يقدمون على تلك الخطوات من أجل إيمانهم بالمسيح ويتقبلون الموت بلا تذمر إلا أنه وجد بين النصارى أيضا أناسا مستعدين للتبرؤ من المسيح حفاظًا على حياتهم وممتلكاتهم، وآخرين مترددين.

وفى تلك السنوات، راح كتاب يتنقل بين أيادى النصارى فى مدن آسيا الصغرى اليونانية، وهو مؤلف باللغة اليونانية وسمى فيما بعد بالكلمة اليونانية « "Apocalypse" - الرؤيا، إذ كان الكتاب يبدأ بعبارة (إعلان يسوع المسيح الذى أعطاه إياه الرب ليرى عبيده ما لا بد أن يكون عن قريب وبينه مرسلا بيد ملاكه لعبده يوحنا). رؤيا ١ : ١.

وينبئ يوحنا إخوته فى الإيمان بنبأ عظيم يغريهم : « طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب » الرؤيا ٣ : ١. وقد رأى يوحنا أن نهاية العالم قريبة، ومن ثم ستحل نهاية الآلام، ولكن قبل ذلك ستقع أحداث عجيبة ومرعبة. ويخبرنا يوحنا عن نفسه أنه كان فى جزيرة بطمس، وهى جزيرة صغيرة فى بحر إيجا، وذلك «من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح » ١ : ٩. وفى يوم أحد كان يوحنا فى « الروح» (حالة النشوة والانجذاب)، فانشقت أمامه السماء وشاهد سبعة منابر ذهبية، وبين المنابر شبه « ابن إنسان » يسوع المسيح، رأسه وشعره أبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون، وصوته كصوت مياه كثيرة، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب، وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه، ووجهه كالشمس وهى تضيء فى قوتها ١٣-١ : ١٦. وعندما رأى يوحنا « ابن الإنسان » هذا سقط عند رجليه كميت، ولكن ذاك هدأ من روع يوحنا : «لا تخف أنا هو الأول والآخر والحى وكنت ميتًا وها أنا حى إلى أبد الآبدين ولى مفاتيح الهاوية والموت. فاكتب ما رأيت وما هو كائن وما هو عتيد أن يكون بعد هذا » ١ - ١٧ : ١٩

ورأى يوحنا فى رؤياه عرشًا فى السماء جالسًا عليه الرب، وفى وسط العرش وحوله أربعة حيوانات مملوءة عيونًا من قدام ومن وراء، ولكل منها ستة أجنحة، تقول ليلاً ونهارًا قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء والذى كان والكائن والذى

يأتى. وحول العرش أربعة وعشرون شيخًا، وأمامه سبعة مصابيح نار متقدة هى سبعة أرواح الرب، وعلى يمينه كتاب كان مكتوبًا من داخل ومن وراء ومختومًا بسبعة ختوم.

وفى تلك الأثناء، قال أحد الشيوخ ليوحنا : إن أحد الحيوانات الأربعة قد غلب، وهو الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود، ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة، وهنا رأى يوحنا أنه قد اقترب من العرش « خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون و سبعة أعين هى سبعة أرواح الرب المرسلة إلى كل الأرض ». والخروف هنا هو تصوير ليسوع المسيح كان محببًا جدًا لدى النصارى، وأما القرن فكان يعد رمزًا للجبروت لدى العبرانيين. ويبدأ الخروف فى فك الختوم السبعة وعندما يصل إلى نزع الختم الرابع، تكون قد ظهرت أربعة خيول هى النذير على الكوارث العظيمة التى تسبق نهاية العالم إيذانا باقتراب حلول تلك النهاية. وعند نزع الخروف الختم الخامس، رأى يوحنا أمام المذبح أرواح الذين ماتوا لأجل دين المسيح « وصرخوا بصوت عظيم قائلين: حتى متى أيها السيد القدس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض. فأعطوا كل واحد ثيابًا بيضًا وقيل لهم أن يستريحوا زمانًا يسيرًا أيضًا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضًا العتيدون أن يُقتلوا مثلهم » ٦ ـ ١١ : ٨. وحين ينزع الختم السادس، « إذا زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من شعر والقمر صار كالدم ونجوم السماء سقطت إلى الأرض. . . ، والسماء انفلقت. . . ، وكل جبل وجزيرة تزحزح من موضعهما. ويتم ختم ١٤٤ ألف شخص أى ١٢ ألفًا من كل سبط من أسباط إسرائيل الاثنى عشر »، ورأى يوحنا الذين تلقوا الموت لأجل المسيح واقفين أمام العرش والمسيح يمسح دموعهم.

وأخيرًا ينزع المسيح الختم السابع، ويرى يوحنا سبعة ملائكة يمسكون بأيديهم سبعة أبواق، وملاكا ثامنًا بيده مبخرة ملأها من نار المذبح وألقاها إلى الأرض فحدثت زلزلة ورعد وبرق. ويبوق الملائكة فتنهال على الدنيا الكوارث، ويهجم جيش أجنبى عظيم يأتى من جهة نهر الفرات. وتعطى المدينة المقدسة أورشليم للوثنيين الذين سيدوسونها ٤٢ شهرًا، وعندما يبوق الملاك السابع يكون ذلك إيذانًا بأن ممالك العالم ستصبح للرب ومسيحه. وتظهر فى السماء آية عجيبة « امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها،

وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكبًا وهى حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد». . . . « فولدت ابنًا ذكرًا عتيدًا أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد » يوحنا١٢ . ويظهر « تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون يقوم بابتلاع الطفل .

ويظهر وحش طالع من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى قرونه عشرة تيجان، وله شبه نمر وقوائم دب وفمه كفم أسد يعطيه التنين سلطانًا عظيمًا، ويظهر وحش آخر طالع من الأرض له قرنان شبه خروف ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول. يوحنا١٣ ، وفى يوحنا ١٤ يظهر خروف واقف على جبل صهيون، ومعه مئة وأربعة وأربعون ألفًا، لهم اسم أبيه مكتوبًا على جباههم.

لكن الطفل اختطف إلى الرب وعرشه ودخل الملاك ميخائيل على رأس جيش فى معركة مع التنين المدعو إبليس والشيطان. وسمع يوحنا صوتًا ينبئ بسقوط إبليس وملوك زمن الخلاص وبداية مملكة المسيح وسلطانه ».

ولكن الشيطان سيجمع بعد ذلك كل قوى الشر ضد قوى الخير عند هرمجدون. ويظهر المسيح « ومن فم يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد. . وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب : ملك الملوك ورب الأرباب » ١٩ـ١١ : ١٦ .

ويجتمع ضده الشيطان والملوك الخاضعون له ولكن المسيح ينتصر ويهبط ملاك من السماء فيمسك بالتنين (الشيطان) ويلقى به إلى الهاوية، ويختم عليه ليختفى ألف عام. ٢٠ ١ : ٣.

وهكذا تحل مملكة الرب لألف سنة. وبعد مرور ألف عام، سيطلق سراح الشيطان، « ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض جوج وماجوج »، ويحاصرون المدينة الحبيبة أورشليم، لكن نارًا من السماء ستسقط وتلتهمهم. وعندئذ تحل مملكة الحياة والنعمة الأبدية وتنزل من السماء أورشليم الجديدة لها اثنتا عشرة بوابة عليها أسماء الأسباط الإسرائيلية الاثنى عشر. ولن يدخل المدينة إلا الذين ظلوا أوفياء للمسيح.

«ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر، فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر

القديسين وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عند الرب من السماء وأكلتهم، وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين » رؤيا ٢٠ ـ ٧ : ١٠ .

وهكذا، فإن رؤيا يوحنا مثلها مثل رؤيا دانيال ورؤيا حزقيال، نبوءة حول نهاية العالم. كما أن أوصاف يوحنا للمسيح هى أوصاف المسيح اليهودى لدى دانيال و حزقيال. والحيوانات الأربعة « المملوءة عيونًا فى الإصحاح الرابع من رؤيا يوحنا انتقلت مع بعض التعديلات من سفر حزقيال. و جوج و ماجوج و هرمجدون ورد ذكرها عند حزقيال.

وقد كان يوحنا الإلهى مرتبطًا باليهودية أكثر من كل الرسل الآخرين، فخلافًا لبولس الرسول المزعوم الذى وقف ضد طقوس مهمة فى اليهودية مثل حفظ السبوت والختان، والذى أعلن أنه لا فرق لديه بين هيلينى ويهودى وغيرهما، كان يوحنا أقرب إلى من سموا (اليهود النصارى) أو (النصارى اليهود)، والحق أن رؤيا يوحنا عكست أول الأطوار فى النصرانية. فلا أثر للثالوث المقدس، بل العكس من ذلك يظهر أمامنا الإله الواحد القادر على كل شىء وفى الدينونة العظيمة الأخيرة يجلس على العرش هذا الإله ذاته وليس المسيح، فيسوع أدنى مرتبة، وهو الذى » ذبح « كالخروف أضحية للتكفير عن خطايا العالم. وفى الكتاب المقدس يرمز الخروف إلى التضحية. كما يرمز به بالمسيح ففى إنجيل يوحنا : يسمى المسيح » حَمَل الله « . »وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم « يوحنا ١ : ٢٩[1] .

النصوص التى تبين ضرورة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى :

كلمة الهيكل كلمة استخدمتها لغات عدة، وهى كلمة عربية أصيلة، وتعنى الحصان عالى الظهر أى الضخم عظيم البنية، قال امرؤ القيس :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(١) رضا هلال : المسيح اليهودى ونهاية العالم. المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا. مكتبة الشروق. القاهرة ٢٠٠٠ .

كما تطلق على البناء المرتفع، والنبات العظيم العالى، واسم لرجل، والهيكلة من النساء عظيمة الخلقة البدينة، والدَّير، وبيت الأصنام، والكنيسة فيها صورة العذراء ومنه قول عنترة :

تمشى النعام به خلاءً حوله مشى النصارى حول بيت الهيكل

كما تعنى كلمة هيكل فى اللغة السومرية البيت الكبير، وهو مكان للعبادة، ولكن الصهاينة لا يطلقون اسم الهيكل إلا على مكان واحد بالقدس حيث بنى نبى الله سليمان عليه السلام هيكله، وقد ورد تاريخ الهيكل بالكتاب المقدس على عدة هياكل، الأول هيكل سليمان الذى ظل منذ ٩٦٧ق. م. إلى أن أسقط نبوخذ نصر مؤسس الإمبراطورية الكلدانية الإمبراطورية الأشورية عام ٥٨٦ق. م، فاجتاح أورشليم القدس ودمر أبنيتها وهيكلها وساق اليهود إلى بابل التى زينها بالحدائق المعلقة. ثم هيكل زروبابل الذى بدأ بناءه ٥٣٧ق. م فى عهد مؤسس المملكة الفارسية قورش الذى سمح لليهود بالعودة لأورشليم كما أغدق عليهم وسمح لهم ببناء الهيكل مكان الأول، وكان أقل روعة من حيث البناء المعمارى من الأول، وقد بقى هذا الهيكل خمسة قرون [1] إلى أن حل عليه الخراب فرممه هيرودوس وجدده سنة ٢٠م وعرف باسم هيكل هيرودوس الكبير وهو الذى كان موجوداً أيام المسيح عيسى بن مريم، وقد هدم هذا الهيكل سنة ٧٠م، وقد ورد خبر هذا الهدم بإنجيل متى الإصحاح ٢٤ علامات نهاية الزمان :

« ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل، فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : إنه لا يتراكم ههنا حجر على حجر لا ينقض !. وفيما هو جالس على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ؟ وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟. فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا ! لا يضلكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين : أنا هو المسيح ! ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. أنظروا لا ترتاعوا لأنها لا بد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن.

(١) أخبار هذا الهيكل تجدها مدونة فى أسفار عزرا وحجى وزكريا.

ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى . وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضا . ويقوم أنبياء كذبة ويضلون كثيرين . ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين . ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم . ثم يأتى المنتهى . فمتى نظرتم (رجسة الخراب)[1] التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس - ليفهم القارئ - فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال . . . إلى آخر الإصحاح .

ونبوءة دانيال المذكورة فى إنجيل متى هنا هى ما ورد بسفر دانيال ٩/ ٢٦، ٢٧ : «وشعب رئيس آرت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرَب قضى بها . ويثبت عهداً وكثيرين فى أسبوع واحد، وفى وسط الأسبوع يبطل الذَبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضى على المخرب»[2]

ثم يأتى بعد ذلك هيكل الضيقة العظيمة وهو الهيكل الذى يعد الآن لبنائه عن طريق شركة مقاولات أمريكية وأضيف إلى القارئ عدداً من الصور الفوتوغرافية الوثاقية التى توضح الاحتفال بالبدء فى البناء وحجر الأساس القائم الآن، وبعض الأحجار التى يدعى البعض أنها من المبانى القديمة وسوف تكون من الأحجار الأولى التى تستخدم، وكذلك صور الحفريات والأنفاق التى يدعى أنها للبحث عن بقايا الهيكل الأول، وهى تحطم فى القواعد التى تربط أعمدة المسجد الأقصى أسفل الأرض . ولا أدرى أأيقاظ حكام هذه الأمة أم نيام ؟!!! .

وإذا كانت غفلة الأمة عن انتهاك حرمة أولى قبلتيها وثالث حرميها ومسرى رسولها الكريم وتعرضه للهدم عجيبة، فالأعجب منها موقف حكامنا الذين ينادون بالسلام ختياراً استراتيجيًا وحيداً لا ثانى له مع من هدموا من قبله قدسنا وسفكوا دماء أهلها واستباحوا حرماتها، فهل انهار الأقصى من الوجدان حتى يسقط البنيان ؟

---

(١) رجسة الخراب : ويقصد بها العبادة الوثنية . وأتساءل أليست عبادة الصليب عبادة وثنية؟

(٢) رئيس آرت : الذى هو الوحش الطالع من البحر (أى من الأمم).

ثم آخر هيكل هو هيكل الملك الألفى الذى يشير إليه سفر زكريا : « هكذا قال رب الجنود قائلا : هو ذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت ويبنى هيكل للرب ». زكريا ٦/ ١٢، ١٣

وفى سفر حزقيال : « وقال لى ابن آدم هذا مكان يحرس، ومكان باطن قدمى حيث أسكن فى وسط بنى إسرائيل إلى الأبد، ولا ينجس بعد بيت لإسرائيل اسمى القدوس لا هم ولا ملوكهم لا بزناهم ولا بجثث ملوكهم فى مرتفعاتهم ». حزقيال ٤٣/ ٢٧

وعلى هذه النصوص التى قدسها الصهاينة النصارى اعتقدوا فى ضرورة بناء الهيكل فى مكانه القديم (ويدعون أنه مكان المسجد الأقصى) وذلك بعد قيام دولة إسرائيل للتعجيل بعودة المسيح ثانية، حيث سيمارس اليهود عبادتهم وطقوسهم الدينية بالهيكل، حتى يأتى النبى الكذاب وبمساعدة (الوحش) وهو مجموعة من الدول وفقا لتفسيرهم تشكل حزاماً للشر، فيبطلون عبادة اليهود ويفرضون عبادة الوحش إذ يعبدون صورته التى فى الهيكل وهى صورة ناطقة متكلمة، وهذه هى العبادة الوثنية وتسمى فى الكتاب (رجسة الخراب) ويقومون باضطهاد البقية التقية من اليهود والأمم الذين يؤمنون بإنجيل الملكوت، وهذا هو وقت الضيقة العظيمة، وقد ورد نص دانيال ٩/ ٢٤ـ ٢٥ سابقًا.

وهناك تفسير صهيونى يقول بأن الوحش الأول يأتى إلى الأمة الإسرائيلية ليعدهم بالحماية والنصرة، وإقامة الشعائر فى الهيكل ويلقى قبول معظم الشعب اليهودى (يثبت عهداً مع كثيرين). وتحتفى إسرائيل بهذا الرئيس أو الزعيم باعتباره حامى حماها، إلا أنه فى الأسبوع السبعين يكشف عن حقيقته فينقض عهده ويأمر بإبطال الذبيحة والمحرقة وباقى الشعائر اليهودية ليدخل بدلا منها عبادة النبى الكذاب وهى عبادة وثنية، وسوف يقوم باضطهاد البقية التقية من اليهود ومن الأمم الذين يؤمنون بإنجيل الملكوت، وسيهربون من هذا الاضطهاد وينتظرون مجىء المسيح لينقذهم ويخلصهم من النبى الكذاب.

ويقول القس إكرام لمعى [1] : توقع المجىء الثانى للمسيح من أهم موضوعات الإنجيل فلا يخلو سفر من أسفاره من الحديث عن المجىء الثانى للمسيح، وكل نصارى

---

(١) عن إكرامى لمعى : الاختراق الصهيونى للمسيحية. مرجع سابق (بتصرف).

العالم تقريبًا يؤمنون بهذه العقيدة إلا أن الاختلاف يقع فى كيفية وتفاصيل هذا المجىء.

وهذه الاختلافات كانت هى الثغرة التى نفذت منها الصهيونية لتقنع بعض النصارى بأن إسرائيل كدولة علمانية عسكرية إحدى علامات المجىء الثانى للمسيح.

آلية عودة المسيح وفقًا لعقيدة النصارى الصهاينة:

يرى النصارى الصهاينة أن عودة المسيح الثانية ستكون على مرحلتين :

الأولى وهى الاختطاف، حيث يأتى المسيح - حسب اعتقادهم - لاختطاف المؤمنين المولودين ثانية [1]، والراقدين الأتقياء بين الأموات ويخطفهم جميعًا إلى بيت الرب فى السماء. وذلك لما ورد برسالة بولس إلى كورنثوس : « هو ذا سر أقول لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين، عند البوق الأخير، فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير، لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. متى لبس هذا الفاسد عدم فساد، ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبه. أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية ؟. كو١٥/ ٥١-٥٥ .

وفى الرسالة الأولى لأهل تسالونيكى : « ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين، لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون يسوع سيحضرهم الله أيضًا معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب: إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجىء الرب، لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعًا معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام ». تس٤/ ١٣-١٨ .

---

(١) المولودون ثانية : مصطلح يطلق على العصاة العائدين إلى حظيرة الإيمان الكنسى أمثال بوش الإبن حيث كان سكيراً وفاشلا إلى أن ولد من جديد على يد بيلى جراهام القس التليفزيزنى الصهيونى الشهير.

ويلى الاختطاف الذى سيستمر - وفق زعمهم - سبعِ سنين تنصب فيها ضربات الله وجامات غضبه على الأرض، وهذه الفترة تنقسم إلى قسمين متساويين : القسم الأول هو (مبتدأ الأوجاع) والثانى : وهو (الضيقة العظيمة) التى تقع فيها الويلات الشديدة على الأرض لتأديب شعب الله القديم ودينونة الزانية العظيمة (الكنيسة المرتدة) ويظهر فى هذه المدة الوحش والنبى الكذاب[1] . بينما يهيئ للمؤمنين مائدة بالسماء ويخدمهم بالسعادة والمسرات لما ورد فى سفر الرؤيا : « بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح فى السماء والصوت الأول الذى سمعه كبوق يتكلم معى قائلا : اصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا، وللوقت صرت فى الروح، وإذا عرش موضوع فى السماء، وعلى العرش جالس، وكان الجالس فى المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش فى المنظر شبه الزمرد، وحول العرش أربعة وعشرون عرشًا ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخًا جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب ». رؤيا ٤/ ١ _٥ .

المرحلة الثانية : الظهور أو الاستعلان حيث يأتى المسيح ظاهرًا للجميع ليخلص إسرائيل ويدين الوحش والنبى الكذاب ويدين الأمم فى هرمجون وليقيم ملكه الألفى .

وهكذا نجد أن الأفكار الدينية قد خلقت اتجاهات وتيارات سياسية وصراعات، وهذه هى النصوص التى سقناها للقارئ والتى قامت عليها الأفكار والمعتقدات الصهيونية، مجموعة من النبوءات و الرؤى وحديث للرب قيل منامًا مملوءٌبالرموز والصور المجازية والتخيلية رغم رفضهم للتأويل إلا أن هذه النصوص لا يمكن إدراكها إلا بالتأويل، وعلى هذه التصورات سلبت أراضينا وطردنا منها، وبسببها نقتل وتستباح أعراضنا، ونحيا فى صراع فيتكالبون علينا ويكيدون لنا، ويخططون ويتآمرون علينا بهدف إضعافنا وإذلالنا أحياءً ثم إبادتنا تصديقًا لهذه الأساطير المتوهمة ممن أقر بأنه كان فى حالة انجذاب امتلأت بتهيؤات رؤيا فيها حيوانات ملئت عيونا وخروف بسبعة قرون وامرأة أكليلها من الكواكب، وقصص وحكايات يأبى العاقل الذى يعمل عقله فى دينه أن يجعلها معتقده ودينه الذى يعبد الله تبارك وتعالى والمنزه

(١) ناشد حنا : الاختطاف - الضيقة العظيمة - الظهور . كنيسة الإخوة. القاهرة .

عن الخرافات والأوهام به، وقد يتساءل المرء : أهؤلاء هم أصحاب التقدم التكنولوجى والعلمى الفائق ؟! أيكون معتقدهم بهذا الشكل ؟، ويجعلون تقدمهم هذا وتقنياتهم هذه فى خدمة هذه الأساطير، وأقول : إنه لا عجب فهناك من يحملون علمًا دنيويا ونوويًا فائقًا وتكون ديانتهم قائمة على عبادة البقر وتقديس الحيوانات كالأفاعى، أو يصلون لجذوع الأشجار كالديانة الطوطمية، أو الكواكب وغيرها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* * *

الفصل الرابع

أثر البروتستانتية على
(تنامى الصهيونية النصرانية)

أثر المارانو على الفكر الدينى بالقرن السابع عشر:

إن الدور التاريخى الذى لعبه المارانو (اليهود المتحولون إلى النصرانية) يتمثل فى أنهم مع بداية القرن السادس عشر أدخلوا ضمن السجالات الدينية، والاعتقاد بأن العناية الإلهية متضمنة فى حضور الرب فى التاريخ الإنسانى، وأنه سرعان ما سيبدأ التاريخ الإلهى بمجىء المسيح مرة أخرى لتكون بداية الألف عام السعيدة (الألفية السعيدة) كما يطلقون عليها اصطلاحا. فظهرت بين اللاهوتيين والمفكرين الدينيين تفسيرات جديدة لسفرى دانيال و حزقيال (بالعهد القديم) وسفر الرؤيا (بالعهد الجديد)، تتصور تحول اليهود إلى النصرانية، وعودة ظهور القبائل الإسرائيلية المفقودة، باعتبارها الخطوات الأخيرة لنهاية التاريخ الإنسانى.

ومن ثم أصبحت الأحداث العظمى المرتبطة بذلك هى عودة اليهود المتحولين إلى أرض صهيون، وإعادة بناء المعبد، وإعادة تأسيس الحكم الإلهى للأرض من أورشليم. ولذلك رأى النصارى الصهاينة والنصارى اليهود (المارانو) الذين يعتقدون بقرب الألفية أن اليهود الموجودين شركاء لا غنى عنهم فى الأحداث العظمى المقبلة قبل مجىء المسيح.

وفى هذا الإطار، استعد الفرنسيسكان مدعو الإصلاح فى أسبانيا مع بداية القرن السادس عشر - بقيادة الكاردينال زيمنس - للألفية بتعليم العبرية والآرامية فى جامعة

آلاكالا التى كانت قد أنشئت حديثًا. كما جرى تنظيم وإعادة كتابة الكتاب المقدس، وراجت أيضا فكرة أو مشروع البحث عن قبائل إسرائيل المفقودة فى العالم الجديد (أمريكا) والحفاظ عليها وتحويلها إلى ما أطلق عليه اسم النصرانية النقية أو التطهرية (البيوريتانية)[1].

وقبل سنوات معدودة، كان كريستوفر كولمبس قد اكتشف أمريكا، يدفعه اعتقاده بأن رحلاته هذه جزء من سيناريو الألفية السعيدة، سوف يقود فى النهاية إلى تحرير القدس من المسلمين وإعادة بناء المعبد وإقامة الهيكل. وذكر فى كتابه الذى ألّفه (كتاب النبوءات) أنه قال للملكة إيزابيلا بأنه سوف يستخدم الذهب الذى يجده فى العالم الجديد فى إعادة بناء الهيكل لكى يكون هذا الهيكل مركزا للعالم.

ليس هذا فحسب، بل إن دراسات تاريخية أوضحت أن يهود المارانو (اليهود النصارى فى أسبانيا) هم الذين تبنوا مشروع كريستوفر كولمبس ودعموه بالتمويل وأمدوه بالخرائط، وأنهم (يهود المارانو) كانوا مع البيوريتانيين من أوائل المستوطنين فى أمريكا[2]، كما سنبين لاحقًا الأهداف الدينية التى كانت وراء هجرة النصارى الصهاينة إلى أمريكا. وكيف ترعرعت تلك الأفكار الصهيونية فى الأرض الجديدة، فكانت خرابًا على سكان البلاد الأصليين الذين أبادوهم وشبهوهم بالكنعانيين، ورفضوا أن يعلموهم أصول حضارتهم وهذا ما يثبت أنهم ليسوا دعاة حضارة، ولم يدعوهم للدخول فى دينهم، ولم يقدموا لهم الخلاص الروحى المزعوم، فهم لا يدينون إلا بدين الصهيونية الدموية، وها هى ذى مجازرهم عايناها ببلادنا على يد اليهود الذين يساندونهم ويقدسونهم فى تحقيق ذلك ولم تجف دماء شهدائنا فى دير ياسين بفلسطين وبحر البقر بمصر وصبرا وشاتيلا وقانا الأولى وقانا الثانية والكثير والكثير من مخرجات الغل الدفين والحقد الصهيونى الأسود على الإسلام والمسلمين وعلى العرب، ونسأل الله العلى القدير ألا يمكنهم من المزيد من هذه المجازر، وهو نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) نمط من أنماط النصرانية الصهيونية وسيأتى ذكرها بشكل مفصل فى الصفحات المقبلة.

(٢) رضا هلال: المسيح اليهودى ونهاية العالم. مرجع سابق.

البيوريتانية (التعصب الصهيونى النصرانى بإنجلترا) :

كان إحياء النهضة العبرية بأفكارها المتداخلة المؤيدة للصهيونية كجزء أساسى من قوامها الفكرى قد بلغت ذروتها فى عهد الثورة البيوريتانية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر. وكانت البيوريتانية تمثل أشد أشكال البروتستانتية تطرفًا، فقد غالى البيوريتانيون (المتطهرون) فى إجلال الكتاب المقدس فجعلوه محور حياتهم، مع إعطاء الأولوية للعهد القديم.

وكان البيوريتانيون يجمعون بين نزعة حب اليهود والانطباع بأنهم هم خلفاء العبرانيين القدامى، وكان إكبارهم للعهد القديم وأهله ناجمًا عن الاضطهاد الدينى الذى قاسوه على يد الكنيسة الكاثوليكية. وكانت معلوماتهم عن الحياة اليهودية ضحلة لأن الملك إدوارد الأول الصليبى كان قد أبعدهم رسميا على الأقل عن إنجلترا عام ١٩٢٠م. بل كانت معلوماتهم مستقاة من التوراة العبرية. ولكن لماذا كانت إنجلترا حقلا خصبا لنمو البروتستانتية المتطرفة المسماة بالبيوريتانية ؟ وما الدور الذى لعبته فى نشر الأفكار والمعتقدات الصهيونية النصرانية فى العالم؟

وللإجابة عن هذين السؤالين نتناول حجم التقلبات التى شهدتها الحياة الدينية فى انجلترا بأفعال البلاط الملكى وكيف تتحكم المصالح والأهواء والرغبات الملكية فى تشكيل المعتقدات والمفاهيم الدينية والتلاعب باختلاف الكنائس وفقا لنزوات البلاط، فلقد زوج الملك هنرى السابع ولده آرثر بكاترين ابنة فرديناند وإيزابيلا (ملك وملكة أسبانيا) ليكون حلفًا مع أسبانيا إلا أن آرثر قد مات بعد ستة شهور دون إنجاب، فأراد هنرى السابع ألا يفقد حلفه وكذلك لا يفقد المهر الكبير الذى دفعه، فزوج كاترين من ابنه الثانى هنرى الثامن، ورغم معارضة بعض الأساقفة إلا أنه حصل على مرسوم من البابا يوليوس الثانى بمباركة الزواج، ثم أنجب هنرى الثامن من كاترين عدة أبناء لم يعش منهم سوى مارى، فأراد هنرى طلاق كاترين والزواج من آن بولين التى شغف بها، وقد كان خائفا من أن يكون حرمانه من إنجاب ولد عقابًا من الله له لأنه استخدم محللاً باباويًا لزواجه، واقسم ليقودن حملة صليبية ضد المسلمين الأتراك إذا أنجبت له الملكة ولدًا، غير أن كاترين لم تحمل بعدها أبدًا [١].

---

(١) ديورانت : قصة الحضارة الجزء ٢٥.

أرسل هنرى للبابا طالبًا منه أن يعلن عدم شرعية زواجه من كاترين بعد مكثه معها ما يقرب من عشرين سنة بحجة أنها كانت زوجة أخيه ولا تحل له، ولم يستجب البابا لهذا المطلب، فانتظر هنرى عدة سنوات وأعلن انفصال كنيسة انجلترا نهائيًا عن روما، بل وأعلن نفسه رئيسًا للكنيسة، ولكن دون اختلاف عن قانون الإيمان الكاثوليكى. وتزوج هنرى الثامن من آن بولين عام ١٥٣٣م بعد أن أعلن رئيس الأساقفة بطلان زواج الملك بكاترين لمخالفته للشريعة.

كانت مشيئة الله أن لا تنجب آن بولين لهنرى وريثًا ذكرًا كما أراد، وإنما أنجبت له بنتًا أسمتها (إليزابيث). ورأى هنرى فى جين سيمور وصيفة الملكة آن أمله فى إنجاب الوريث الذكر، فما كان منه إلا أن اتهم الملكة آن بولين بالزنا من عدة رجال منهم محارم، ومن ثم قطع رءوسهم مع رأس الملكة، ثم تزوج من جين سيمور سنة ١٥٣٦م، وأنجبت له إدوارد السادس، وماتت بعد الولادة باثنى عشر يومًا. وبعد ذلك تزوج الملك للمرة الرابعة فى يناير ١٥٤٠م من آن أخت زوجة أمير ساكسونيا بناءً على نصيحة واختيار وزيره كرومويل الذى علق آمالا على هذا الزواج ليجذب الملك إلى البروتستانتية، ولكنها لم ترق له ولم يصفح عن وزيره فأبطل زواجه بحجة أنه لم يدخل بها قط، ثم قطع رقبة وزيره كرومويل فى يوليو ١٥٤٠م، وفى نفس اليوم تزوج من كاترين هيوارد الكاثوليكية التى أعلن أن ما بلغه عنها جعله يحاكمها هى وعشاقها فقطع رأسها وحكم على المتهمين بعشقها بالسجن مدى الحياة، ثم تزوج لآخر مرة عام ١٥٤٣م من كاترين الثالثة التى راعت صحته وصالحته على ابنته إليزابيث.

أسفر تعدد زيجات هنرى الثامن عن ورثة تقلبوا بين البروتستانتية الصاعدة والكاثوليكية الآفلة، فجاء إدوارد السادس الذى تحمس للبروتستانتية بشدة وحكم انجلترا سبع سنوات طبع خلالها الكتاب المقدس إحدى عشرة طبعة، ثم جاءت مارى تيودور ابنة كاترين الكاثوليكية فحكمت ست سنوات قلبت فيهما الكفة نحو الكاثوليكية، فاضطهدت البروتستانت وعذبتهم وأحرقتهم أو قطعت رءوسهم، ومات كثيرون منهم فى السجون من الجوع وسوء المعاملة. ثم ماتت مارى فى بداية عقدها الخامس عام ١٥٥٨م، وجاءت بعدها الملكة إليزابيث ابنة آن بولين، وهى ذات الخمسة والعشرين ربيعا، فعينت وليم سيسل الداهية السياسى سكرتيرا ومستشارًا لها، وقد

رأى أن مصلحة البلاد تقتضى أن تكون الدولة بروتستانتية، فصارت الكنيسة الإنجليزية كنيسة بروتستانتية تسيطر عليها الملكة، بل وتسيطر حتى على لبس الأساقفة وخدمتهم.

هكذا أصبحت إنجلترا فى القرن السابع عشر بعد العهد الإليزابيثى بيئة ملائمة جداً لانتشار الأفكار الصهيونية بين النصارى البروتستانت، خاصة أفكار (جون كلفين) المتشددة، التى ترى أن الحكومة المثالية هى حكومة رجال الدين، والدولة والكنيسة مقدستان، وعلى الكنيسة أن تضع قواعد العقيدة للعبادة والأخلاق، والدولة تدعمها.
ولد جون كلفين فى فرنسا (١٥٠٩-١٥٦٤)، درس القانون ثم الآداب ثم تحول لدراسة الدين بعد أن استهوته عظات مارتن لوثر، وأصدر كتابه الأول « مبادئ الدين المسيحى » وقال أن استخدام الصور والتماثيل انتهاك صارخ للوصية الثانية من الوصايا العشر، وقد طبق تلك الأفكار عندما استدعته مدينة جنيف فأسس بها (مدينة الله) التى حكمها بمساعدة رجال الدين، وقد أعاد نظم تأسيس وتنظيم الكنيسة، وصاغ قانونًا كنسيًا جديدًا أجازه المجلس فى يناير ١٥٤٢م، ولا تزال الكنائس البروتستانتية و المشيخية فى أوروبا وأمريكا تقبل معالمه الجوهرية. وقد أقر بالفوائد الربوية فى المعاملات المالية. وقال كلفين : إن القانون الحقيقى لدولة نصرانية يجب أن يكون الكتاب المقدس.

ظهر داخل الكنيسة البروتستانتية الإنجليزية من يعترض على كل ما تريده الملكة إليزابيث، بدءاً من تدخل الدولة فى الكنيسة، إلى الصلاة الأشبه بالكاثوليكية. . . مروراً بالملابس والصور والتماثيل، وطالبوا بتطهير البروتستانتية للوصول إلى الديانة النقية، ورأى البيوريتانز أن المسيح عهد بالسلطة الكنسية إلى الإخوان الشيوخ من كبار السن، تنتخبهم كل قرية أو مدينة أو مقاطعة، وتنظم تلك السلطة المنتخبة الحياة وفقا لما جاء فى الكتاب المقدس[1]، ولها حكم القضاء، دون أن يكون للدولة أى سلطان روحى على الكنيسة بأى شكل من الأشكال[2].

---

(١) عادل المعلم : مقدمة فى الأصولية المسيحية فى أمريكا والرئيس الذى استدعاه الله. مكتبة الشروق الدولية. . الطبعة الثانية. القاهرة ٢٠٠٤م.

(٢) إن الديمقراطية هى أن يتولى الشعب حكم نفسه بنفسه فيسن القوانين ويتخذ الشرائع المناسبة، ولكن هذا الشكل البيوريتانى من الانتخابات هو جل ما يريده الغرب منا باسم الديمقراطية.

تم تأسيس أول كنيسة مشيخية في واندرورث سنة ١٥٧٢ ، ثم قامت كنائس مماثلة في المقاطعات الشرقية والوسطى فى إنجلترا. وتطورت أفكار البيوريتانز وتشددت ضد كنيسة إنجلترا البروتستانتية، ونادى بعضهم بالانفصال الكامل عنها لليأس من إصلاحها، وعندما أحست الملكة إليزابيث بخطر الحركة البيوريتانية، بدأت فى قمعها، وعادت عمليات الاضطهاد والاعتقال، والإعدام إذا لزم الأمر، ولكن فى أضيق الحدود.

بدأ البيوريتانز المتشددون التفكير فى الهجرة من إنجلترا، فهاجروا أولا إلى هولندا، ثم اتجهوا إلى القارة الجديدة أمريكا فى مطلع القرن السابع عشر، حيث أسسوا أكبر بؤرة للنصارى الصهاينة هناك منذ عام ١٦٢٠ م. وسوف نتناول تطورهم بها لاحقًا.

أما إنجلترا فكانت مرجلاً دينيًا فى حالة غليان، تتقلب فيها الأحوال، فقد نشبت حربها الأولى من ١٦٤٢ : ١٦٤٦ م، وانتهت بأن أنهى البرلمان الحكومة الأسقفية الإنجيلية، وأقر التنظيم المشيخى والمذهب الشيوخى، أى منع تعيين الأساقفة فى مجلس اللوردات والوظائف العامة الكبرى، وألغى أى تدخل للدولة فى شئون الكنيسة، وتم إعدام الملك شارل عام ١٦٤٩.

ثم اجتاحت انجلترا الثورة الثانية، بعد أن بدأ الملك جيمس الثانى (١٦٨٥ - ١٦٨٨ م) بالإفراج عن الكاثوليك المسجونين بسبب رفضهم تأدية قسم الولاء والسيادة وأحاط نفسه بالعديد من الكاثوليك. وظلت القلاقل والصراعات الدموية تتزايد حتى استقر الأمر فى يد البروتستانت ذوى العقيدة الصهيونية الراسخة بصورة نهائية منذ عام ١٦٨٩ م، ولم تزل سائدة بإنجلترا حتى الآن.

وجد البيوريتانيون المعتنقون لأفكار جون كلفين فى العهد القديم المثال السماوى للحكومة الوطنية بل منهم من طالبوا الحكومة بأن تعلن التوراة دستورا للقانون الإنجليزى . واستعاض البيوريتانيون بالعادات اليهودية عن المبادئ النصرانية، وجرى تعميد الأطفال فى الكنائس بأسماء عبرية بدلا من أسماء القديسين النصارى، كما تغير يوم الاحتفال الدينى بقيامة المسيح إلى يوم السبت اليهودى.

وكان طبعيًا أن يؤدى هذا الغزو العبرانى البروتستانتى إلى إطلاق حركة صهيونية نصرانية، تعتمد على نبوءات العهد القديم بعودة اليهود إلى فلسطين. ففى مطلع القرن السابع عشر فى منتصف عام ١٦٠٠ م بدأ البروتستانت كتابة معاهدات تعلن بأن على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين، وأعلن (أوليفر كروmويل) بصفته راعى الكومنولث البريطانى الذى كان قد أنشئ حديثًا أن الوجود اليهودى فى فلسطين هو الذى يمهد للمجىء الثانى للمسيح، وفى عام ١٦٢١م ظهر كتاب لهنرى فنش الذى كان حجة القانون فى عصره، تحت عنوان (البعث العالمى الكبير أو عودة اليهود ومعهم كل أمم وممالك الأرض إلى دين المسيح). ورفض فى كتابه، بشكل قاطع التفسير المجازى للقديس أوغسطين للنبوءات التوراتية حول إعادة اليهود إلى إسرائيل، وهو التفسير الذى قال بعودة اليهود إلى إسرائيل الروحية، أى الكنيسة المسيحية وليس إلى أرض إسرائيل.

وجاء فى الكتاب أيضًا : « حيث تذكر إسرائيل ويهودا وصهيون و أورشليم فى الكتاب المقدس، فإن الروح القدس لا تعنى إسرائيل الروحية، أو كنيسة الرب التى تتكون من النصارى أو اليهود أو منهما معاً، ولكنها تعنى إسرائيل التى انحدرت من صلب يعقوب. وينطبق الشىء نفسه على عودتهم لأرضهم وقواعدهم القديمة وانتصارهم على أعدائهم. . سيقيمون الكنيسة المجيدة فى أرض يهودا نفسها. . هذه التعبيرات وأمثالها ليست مجازات وأقوالاً للرب، ولكنها تعنى اليهود فعلاً وقولاً ».

جلبت البيوريتانية لإنجلترا اجتماعيا وفكريا الغزو العبرى الذى كان قد اجتاح أوروبا، وأصبح العهد القديم كتابهم الوحيد الذى ليس لهم كتاب سواه. كان أدبهم الوحيد وغذاءهم الروحى ومرشدهم وفيلسوفهم وصديقهم وحجتهم القانونية ومحكمة استئنافهم العليا، وكان جهل البيوريتانيين بحياة اليهود المعاصرين قد دفعهم إلى اتباع مواعظ العهد القديم التى هجرها اليهود أنفسهم منذ عهد بعيد، وقد اقترح (جون ميلتون) الشخصية الأدبية البيوريتانية البارزة، والكاتب المشهور، أن يتضمن منهج التعليم العام فى المدارس الثانوية دراسة اللغة العبرية.

وكان من المستحيل أن يتشرب المرء بتاريخ العهد القديم، وأن يسترجعه كوحى

سماوى، ويعيش معه كمرشد يومى ولا يحترم الشعب المسؤول عن ذلك كله. وهكذا أخذت فكرة الشعب اليهودى المختار تلعب دورًا مميزًا فى الفكر الإنجليزى البيوريتانى.

أصبحت فكرة ضرورة إعادة فلسطين لأصحابها العبريين شائعة فى إنجلترا فى أربعينات القرن السابع عشر. وكانت فلسطين قبل ذلك التاريخ تعيش فى أذهان النصارى على أنها أرضهم المقدسة التى دافع عنها الكثير من الإنجليز إبان حملاتهم الصليبية ضد المسلمين. أما وقد جردت فلسطين من دلالاتها النصرانية فقد أصبحت تعتبر وطن اليهود الذين كانت عودتهم إليها هى المقدمة الحتمية لعودة المسيح المنتظر تبعا لنبوءات العهد القديم.

ولم يمض وقت طويل حتى شهدت إنجلترا البيوريتانية حركة منظمة تنادى بعودة اليهود إلى فلسطين. وذلك عندما كتب المؤمنون بالعصر الألفى السعيد من أمثال فنش وكت وبرايتمان عن البعث اليهودى فى نهاية القرن.

فى سنة ١٦٤٩م أرسل كل من جوانا (Joanna) أذهان الال و أيبنز كارترايت (Ebenzer Cartwright) الإنجليزيين البيوريتانيين المقيمين فى أمستردام استرحامًا للحكومة الإنجليزية جاء فيه ما نصه :

« ليكن شعب إنجلترا وسكان الأراضى المنخفضة أول من يحمل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التى وعد بها أجدادهم لإبراهيم وإسحق ويعقوب لتكون إرثهم الأبدى ».

وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ البعث اليهودى التى يقدم فيها عمل من صنع البشر على أنه الطريق الوحيد لتحقيق الهدف الذى كان يعتبره اليهود وغيرهم أمرًا روحيًا لا يتحقق إلا بتدخل السماء وبرعاية العناية الإلهية.

كما أن هذا الاسترحام قد تضمن طلبًا بأن تقوم الحكومة الإنجليزية بإلغاء قانون طرد اليهود الذى وضعه الملك إدوارد، والسماح لليهود بدخول إنجلترا التى كانت قد تطهرت من وجود اليهود سنة ١٤٩٢ م، وسارت فكرتا البعث اليهودى مع فكرة السماح لليهود بدخول إنجلترا جنبا إلى جنب، وتذكر بربارة تخمان المؤرخة اليهودية أن هاتين الحركتين لم تكونا من أجل اليهود أنفسهم بل من أجل الوعد المعطى لهم. . فقد

كان ينظر إلى العودة على أنها اعتناق اليهود للنصرانية، لأن هذه هى علامة تحقيق الوعد.

كان بعض دعاة النصرانية اليهودية من اليهود، وأبرزهم مناسح بن إسرائيل كبير حاخامات أمستردام يؤيدون الدعوات البيوريتانية الإنجليزية لإعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا. وقد ربط كتابه (أمل إسرائيل) بذكاء بين بيوريتانية الإنجليز والنصرانية اليهودية الحقيقية، كما ربط بين التفكير اللاهوتى والسياسة العملية. وكان مناسح على اطلاع تام على تعاليم البيوريتانيين الذين فروا من إنجلترا إبّان الاضطهاد الذى لا قوه فى عهد الملكة مارى. ولم يكن يرى أن إعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا هدفٌ فى حد ذاته ولكنه خطوة نحو إعادة استيطانهم النهائى فى فلسطين.

وتذكر ريجينا الشريف فى هذا الموضع الدور البارز الذى لعبه أوليفر كرومويل الذى ظل عشر سنوات رئيسًا للكومنولث البيوريتانى (١٦٤٩ - ١٦٥٨) متعصبًا دينيًا وسياسيًا وقد سعى من أجل عودة اليهود إلى إنجلترا وقد دعا إلى مؤتمر وايت هول فى ديسمبر ١٦٥٥ لبحث شرعية وظروف تلك العودة، وقد قدم هو ومناسح بن إسرائيل حججا قانونية بليغة تؤيد العودة لإنجلترا، كما أقام حجته فى خطابه على حوافز دينية وحوافز نفعية، فأشار إلى المكاسب الاقتصادية الكبيرة التى ستجنيها انجلترا من استيطان التجار اليهود في إنجلترا، كما ركز على برهان عودة المسيح رابطًا بين السماح بإعادة اليهود ورحيلهم النهائى من إنجلترا إلى فلسطين.

وقد اعترف المؤتمر من حيث المبدأ بحق اليهود الشرعى فى الإقامة بأى بلد نصرانى، وأن السماح لهم بدخول دولة بروتستانتية ينبغى ألا يكون قانونيا فحسب، بل « أمرًا نفعيًا ».

وبعد وفاة كرومويل عام ١٦٥٨م واضمحلال سطوة البيوريتانيين فى أوروبا حتى قضى عليها نهائيا فى عهد الثورة المجيدة عام ١٦٨٨م ظلّت عقيدة العصر الألفى السعيد راسخة مؤيدة للصهيونية. وسيأتى لاحقا هجرة البيوريتانيين إلى أرض المعاد الجديدة بأمريكا، وكيف كان صنيعهم بالهنود الحمر السكان الأصليين للبلاد، وكيف أبادوهم ابتغاء مرضاة الرب، حيث اعتبروهم كالعرب الكنعانيين على أرض المعاد،

وهم بهذه الأفكار الخبيثة يبيدون العرب بفلسطين بأيدى اليهود الصهاينة، قطع الله دابر كل صنوف الصهيونية وأباد بقدرته كل حلفائها.

صهيونية الألفية السعيدة فى فرنسا وسائر أوروبا :

وكانت (الميللية) أو الألفية Milleniarism فى فرنسا هى نصيب الفرنسيين من النصرانية الصهيونية، والألفية مشتقة من الكلمة اللاتينية Mille وتعنى ألفًا وهى الألف عام التى يجىء المسيح بعدها أو قبلها حسبما جاء فى رؤيا يوحنا : «ويملكون معه الألف سنة». رؤيا ٢٠ : ٦ . فأتباع الميللية هم نصارى صهاينة وكان وجودهم فى فرنسا خاصة بالمناطق الجنوبية منها، وكان ممثلهم البارز هو (إسحق دى لا بيرير) الذى ألف كتاب (دعوة اليهود) الذى دعا فيه إلى إحياء إسرائيل بتوطين الشعب اليهودى فى الأرض المقدسة وقد عين سفيرًا لفرنسا فى الدانمارك عام ١٦٤٤ . وهناك عالم فرنسى آخر هو فيليب جنتل دى لانجلير تقدم بخطة من أجل توطين اليهود فى فلسطين على أن يعطى الخليفة العثمانى روما بدلا منها، وقد ألقى القبض عليه وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى.

وجدت فكرة البعث اليهودى منطلقًا لها فى القرنين السابع عشر والثامن عشر من خلال التعاليم الدينية المقترنة بأخلاقيات العهد القديم المتزمتة التى كان يبشر بها البروتستانت والكاثوليك. ومع أن فكرة البعث اليهودية لم تلق رواجا كالذى لقيته فى انجلترا خلال هذه الفترة إلا أن فرنسا وجدت نظيرًا لأوليفر كرومويل تمثل فى شخص جين بابتيست كولبرت Jean Baptiste Colbert كبير وزراء الملك لويس الرابع عشر الذى تحدث كسلفه كرومويل عن المكاسب الاقتصادية التى يمكن أن تجنيها فرنسا من اليهود نتيجة خبرتهم التجارية، وعلى ذلك كان متعاطفا مع وجود يهودى فى فرنسا.

عندما توطدت البروتستانتية فى الدول التى تعرف باسم الأراضى المنخفضة وبلجيكا والتى هى تحت حكم التاج الأسبانى قد رفضت تدخل الحكومة الأسبانية الكاثوليكية فى حرية الدين وقامت بثورة علنية عام ١٥٦٥م وقد كتب النصر فى نهايتها للقوات البروتستانتية عام ١٦٠٩م، وأسست جمهورية مستقلة تضم الأراضى التى

تشملها حاليا هولندا. وكانت الألفية البروتستانتية صفة مميزة للأيدلوجية الهولندية التى اعتنقت آراء كلفين فازدهرت الطوائف المتهودة خلال القرن السابع عشر[1].

كان لألمانيا والدول الاسكندنافية نصيبهم أيضا من الصهيونية التى تؤمن بالعصر الألفى السعيد، فقد كانت هامبورج الواقعة فى شمال ألمانيا مشهورة فى القرن السابع عشر بأنها الموطن الأسطورى لليهود فى القارة الأوروبية، وكان هذا الميناء ثالث مكان مهم بعد لندن وأمستردام يأوى إليه اليهود الأسبان والبرتغاليون الفارون من محاكم التفتيش. كما أن هامبورج كانت مركز الحركة التقوية الألمانية، وهى حركة صوفية روحية ترتكز تعاليمها الأخروية على عودة الشعب اليهودى إلى فلسطين. وقد استغل مؤسس هذه الحركة (فيليب جاكوب سبنر) كتابات مارتن لوثر الأولى حول المسألة اليهودية من أجل تعزيز حب السامية كوسيلة لإغراء اليهود بالتنصير قبل عودتهم لفلسطين. كما كان يدعو إلى احترام اليهود الذين يؤثرون التمسك بدينهم.

وفى عام ١٦٥٥ نشر (بول فلنجهارد) كتابه « أخبار سعيدة لإسرائيل» الذى أكد فيه أن عودة المسيح المنتظر ووصول المسيح اليهودى حدث واحد. وكانت علامة ظهور المسيح اليهودى المسيحى حسب اعتقاد المؤمنين بالألفية السعيدة هى عودة اليهود الدائمة إلى وطنهم الذى منحه الله لهم من خلال وعده لإبراهيم وإسحق ويعقوب.

وانتشرت هذه الأفكار الصهيونية عن عودة اليهود إلى فلسطين من شمال ألمانيا إلى الدول الاسكندنافية، ففى الدانمارك حث هولجر بولى ملوك أوروبا على القيام بحملة صليبية جديدة لتحرير فلسطين والقدس من الكفار المسلمين، وتوطين اليهود وارثيها الأصليين الشرعيين. وفى عام ١٦٩٦ قدم خطة مفصلة إلى ملك إنجلترا وليم الثالث طالبا منه أن يعيد احتلال فلسطين ويسلمها لليهود لإقامة دولة خاصة بهم. وقد خاطبه بأسلوبه وبلغته النصرانية قائلا : « أى قورش العظيم[2] يا أداة الإله العظيم الذى بفضله سيولد المعبد الأخير من بين رماد معبد هيرود».

---

(١) حتى اليوم والآراء الصهيونية متوغلة فى وجدان السياسة الهولندية، وقد تعجب البعض ولم يفطن للحقائق التاريخية وراء إعلان هولندا مساندتها لإسرائيل عام ١٩٧٣ وتحملها عقوبة منع البترول.

(٢) كان قورش هو الذى سمح للعبرانيين التوراتيين بالعودة من بابل إلى فلسطين.

وفى السويد أرغم أندرز بدرس كمب وهو ضابط سابق بالجيش تحول إلى اللاهوت على مغادرة السويد ستوكهولم بسبب دوره فى نشر حركة التبشير بالمسيح ، وقد استقر قرب هامبورج حيث نشر كتابه (أخبار إسرائيل السارة) عام ١٨٦٨م الذى كان هجومًا عنيفًا على النصرانية التقليدية إذ يقول : « أيها المسيحيون الوثنيون، أنكم تسمحون لمعلمين مزيفين، وبخاصة روما أم الفسق، بأن يقنعوكم بأن الله حرم اليهود من الميراث وطردهم، وإن الذين آمنوا بالنصرانية هم إسرائيل المسيحية صاحبة الحق فى امتلاك أرض كنعان إلى الأبد» . كما استحث اليهود على أن يفرضوا على الآخرين الاعتراف بأنهم شعب الله المختار وأن يتهيئوا للعودة الدائمة للأرض المقدسة .

أصداء الفكر الصهيونى فى الآداب الغربية:

لم تكن ثقافة القرن الثامن عشر إلا امتدادا طبيعيا لمفاهيم وأفكار القرن السابع عشر ، الذى كانت أبرز ملامحه قائمة على التأثر بأفكار البيوريتانيين بالتآخى الروحى مع اليهود أبناء إسرائيل وآرائهم المثالية فى التسامح حتى عن دم المسيح ـ ولا تسامح مع العرب أو المسلمين ـ ثم الآمال الصوفية فى التعجيل بالعصر الألفى السعيد، هذا بالإضافة إلى المصالح الاستعمارية التى كانت طاغية ومؤكدة لتلك الأفكار التى تستمد منها شرعية الاستعمار، وتبرر لنفسها زورًا الحق فى سلب موارد ومقدرات الشعوب المحتلة، حتى عند فتور المناخ الدينى فلأن الأفكار الصهيونية هى ذريعة المستعمر ومنهل ظلمه وبطشه .

وتقول ريجينا الشريف : والواقع أن الأفكار الصهيونية التى وضعها أشخاص غير يهود (تقصد النصارى الصهاينة) خلال القرن السادس عشر والتى ظهرت بشكل أكثر صراحة فى إنجلترا البيوريتانية فى القرن السابع عشر اشتدت شوكتها فى عهد سُمى بعصر العقل أو التنوير، على الرغم من المعارضة الرسمية لها .

ولأن الفن هو مرآة المجتمع والدال الحقيقى على ثقافته ومفاهيمه فيمكننا أن نتعرف على أثر الفكر الصهيونى على مفاهيم أوروبا وأفكارها من خلال عالم الأدب، والذين يتابعون الأدب الأوربى منذ القرن السابع عشرحتى أوائل القرن العشرين يكادون

يتفقون على أن أدباء أوروبا الكبار كانوا فى معظمهم يكرهون اليهود ويعتبرونهم عنصراً من عناصر الهدم فى التاريخ الإنسانى.

وتلك حقيقة - وإذا ما تناولنا المسرح على سبيل المثال لوقفنا عند كاتب من أهم كاتب مسرحى فى تاريخ البشرية وليم شكسبير الذى شهد القرنين السابع عشر والثامن عشر (١٥٦٤-١٦١٦)، نجده قد تناول الشخصية اليهودية بصورتها البشعة والجشعة وتتجلى هذه الصورة فى مسرحيته الشهيرة (تاجر البندقية) إذ رسم ملامح الشر الكامن فى الشخصية اليهودية (شايلوك) المرابى اليهودى رمز الشر، فمن خلال أحداث المسرحية اقترض منه التاجر الإيطالى (أنطونيو) مبلغًا من المال، وأصر شايلوك أن يكتب فى العقد الذى سجله مع التاجر أن يكون من حق شايلوك المرابى أن يقتطع رطلاً من اللحم من جسد أنطونيو التاجر إذا لم يقم التاجر بسداد الدين فى موعده. وعندما عجز التاجر عن تسديد القرض فى موعده لجأ شايلوك إلى القضاء وأصر على تنفيذ الشرط الوارد فى العقد، إلا أن بطلة المسرحية (بورشيا) الفتاة الذكية النبيلة قد أخفت أنوثتها وتخفت بالمحكمة فى زى أحد المحامين. وحاولت بفصاحتها الساحرة أن تحرك قلب المرابى اليهودى حتى يتخلى عن إصراره على تنفيذ الشرط، إلا أن غلظة قلبه ودناءة نفسه أبت الرحمة، ثم تعرض بورشيا على شايلوك سداد مبلغ الدين بكامله فى مقابل تنازله عن الشرط. ولكنه أجاب فى عناد: أقسم بدينى وما أعبد أنه لن تستطيع قوة على الأرض أن تغير من عزمى على تنفيذ العقد. وتمضى بعض الأحداث والحوارات، ثم تتصرف بورشيا بذكاء شديد فتطلب من شايلوك أن يأخذ رطل اللحم من أنطونيو دون أن يريق قطرة من دمه. ولكنه أجاب: إن هذا ليس منصوصًا عليه فى العقد. فقالت: ذلك صحيح ولكن يجب أن تصنع ذلك بدافع الرحمة. فقال شايلوك: لا أجد ذكراً للرحمة فى العقد. فقالت بورشيا: إن العقد وهو شريعة المتعاقدين ينص على اللحم ولكنه لا يمنحك قطرة واحدة من الدم. وانظر إلى عقدك جيداً فلن تجد فيه الرحمة، ولكنك لن تجد فيه أى ذكر للدم أيضًا. وأنت تعلم حكم القانون فى اليهودى [1] الذى يريق نقطة من دم المسيحى بغير حق فأراضيك وأموالك وكل ما تملك يتم مصادرتها كلها نظير تلك النقطة الواحدة من الدم، فتصبح ملكًا لدولة

---

(١) من خلال الأحداث المسرحية يمكننا أن نلاحظ القوانين التى كانت تحكم اليهود فى أوروبا.

البندقية. بنص القانون. ولما كان من المستحيل تنفيذ شرط العقد بدون إراقة نقطة واحدة من دم فقد تعذّر على اليهودى تنفيذه.

هكذا كان يجسد الأدب الأوروبى مقت الأوربيين لليهود، وتصوير دناءة نفوسهم و غلظة قلوبهم، ورفض المجتمع الأوروبى لهم، وخير شاهد على هذه الغلظة قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤] وقد عاينا هذه الغلظة الخالية من الرحمة فى أحداث الواقع الأليم بدير ياسين وفى صبرا وشاتيلا، و فى الأحداث اليومية التى تحدث على أرض فلسطين كل يوم وتطالعنا بها نشرات الأخبار اليومية، ولم يزل الشايلوكيون يقتطعون أطنانًا من اللحم الإسلامى ويريقون أنهارًا من الدم على مرأى ومسمع من العالم المتمدن، وعلى رأس كبار المشاهدين الحكام أولياء هذا الدم النازف.

أصبحت الروايات والمسرحيات التى كانت تتسم بالعنف أو الجنس أكثر هدوءًا وبساطة، وأخذت سيطرة العنصر الدينى تبدو واضحة فى جو المسرح، وغدت أفكار العهد القديم أكثر مصادر الإلهام لفنانى وشعراء القارة الأوروبية، وهذا ما زاد فكرة فلسطين اليهودية بكل مضامينها الصهيونية أكثر رسوخًا.

كانت أشهر القصائد الشعرية انتشارًا هى قصيدة جون ميلتون الأديب البيوريتانى (الفردوس المفقود) التى تتناول عودة إسرائيل: لعل الله الذى يعرف الوقت المناسب جيدًا سيذكر إبراهيم.. وسيعيدهم نادمين وصادقين.. وسيشق لهم البحر وهم عائدون مسرعين جذلين إلى وطنهم كما شق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم للأرض الموعودة.. إننى أتركهم لعنايته وللزمن الذى يختاره[1].

ويوضح ميلتون فى قصيدته كيف ستعاد إسرائيل لفلسطين بتدخل قوة خارقة، وبعد جيل واحد فقط جدد إلكسندر بوب هذه الفكرة عن المملكة اليهودية المستعادة فى

(1) John Milton : Paradise Regained , London ,1936.

قصيدته « المسيح» التى تضمنت أوصافًا حية لنهضة إسرائيل كشعب وأمر واقع. وقد تصور بوب قدسه الجديدة مأهولة باليهود العائدين. واستعملت الصور الصهيونية الرفيعة عن القدس اليهودية الجديدة فى ترانيم القرن الثامن عشر وأبرزها تلك التى كتبها تشارلز وزلى.

وفى نهاية القرن الثامن عشر كانت أبيات وليم بليك التى يخاطب بها اليهود هى أشهر ترانيم القرن الثامن عشر بانجلترا : استيقظى يا إنجلترا، استيقظى استيقظى. فأختك القدس تناديك. لماذا ينام المؤمنون كالأموات ويغلقونها عن جدرانك القديمة؟!.

أما الأدب الفرنسى فقد تأثر تأثرًا شديدًا ملموسًا بالعقيدة الميللية فظهرت موضوعات عبرية توراتية فى الأدب الفرنسى، وكان العهد القديم مصدرًا لموضوعات الأدباء أمثال راسين ولا تزال مأساته (استر) التى كتبها عام ١٦٨٩م تعد واحدة من روائع الدراما الفرنسية. ويصور معاصره جاك بناين بوسيه فى كتابه « دراسة فى التاريخ العالمى» إسرائيل (١٦٨١) على أنها الأمة التى تعلو على كل الأمم وأنها حجر الأساس فى تاريخ العالم.

وفى الأدب الألمانى تغلغلت الروح الشعرية الصهيونية فى الطقوس الدينية الألمانية خلال القرن الثامن عشر، وكانت فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين هى الفكرة المهيمنة فى معظم ترانيم حركة التقوية البروتستانتية الجديدة. وتناولت الكاتبة الألمانية كريستان وايز عام ١٦٨٣م فى كتابها (Der Verfolgte David) موضوعات تدور أحداثها من خلال التاريخ اليهودى، وكان للشاعر الألمانى جوتهولد إبهريم لسنغ المنزلة العليا بين أقرانه فيما أسموه بعصر التنوير الفلسفى فى أوروبا، وروايته ناثان الحكيم التى ألفها عام ١٧٧٩م إذ تنتقل بالقارئ مباشرة إلى القدس موطن بطل الرواية اليهودى ناثان، وتدور أحداث الرواية أثناء الحملة الصليبية الثالثة فى القرن الثانى عشر، وتصور الناصر صلاح الدين سلطان المسلمين على أنه الحاكم المسلم القاسى التافه الذى احتل القدس. وفى الرواية يظهر فارس الهيكل (المعبد) النصرانى المتعصب أدنى منزلة من ناثان اليهودى الحكيم الذى يطلب منه الجميع النصح والمشورة، باعتباره أصل

العقيدة ومنبع الحكمة وقد تحيز له كاتب الرواية أيما تحيز، وذلك لإثارة روح التسامح بين النصارى واليهود، ووقوفهم فى وجه العدو المسلم.

وفى عصرنا الحالى تناولت السينما الغربية، هذه الرواية ومثيلاتها كما تناولت هذه الفترة بكثير من المعالجات المختلفة، ولكنها اتفقت جميعها على إظهار صلاح الدين بصورة السلطان الهمجى، الذى انتصر بالخيانة تارة، وبالعلاقات النسائية المشبوهة تارة أخرى، ودأبت الأفكار الصهيونية على النيل من شخصية صلاح الدين الأيوبى، ولا عجب فى هذا فهو الذى أيده الله بالنصر على عدوه، فقد اقتص من عدو الله (أرناط) الذى هاجم قوافل المسلمين العزّل من السلاح والحاجّين إلى بيت الله تعالى فأثخنهم قتلا، فاقتص منه صلاح الدين إذ أقسم إن وفقه الله وأيده بالنصر عليه ليذبحنه بيديه قصاصًا لما فعل وأبرّ صلاح الدين بقسمه فذبح أرناط ذبح الخراف، وحرر القدس الأسيرة من براثن النصارى الصليبيين، ورد ملوك أوروبا وصناديدها لديارهم مهزومين مدحورين يجرون وراءهم أذيال الخزى والمذلة والعار، وعلى رأسهم ريتشارد قلب الأسد الملك الأوروبى الأسطورة.

وهكذا اجتاحت أوروبا موجات أفكار الصهيونية، وراجت النبوءات المتعلقة بنهاية العالم بين كل الطبقات الاجتماعية وفى كل الدول، وترسّخت أفكار الصهيونية النصرانية بمختلف اتجاهاتها البيوريتانية والميللية، ولم تعد عودة اليهود إلى فلسطين حقًا تاريخيًا فحسب، ولكنه أصبح شرطًا لعودة المسيح وبداية الألفية المزعومة ولم تعد مجرد أفكار يعتنقها بعض المهووسين دينيًا أو المتشددين والمتعصبين، ولكنها أصبحت ملمحًا أساسيًا من ملامح الفكر الغربى ومعتقداته التى لم تقف عند حد الاعتقاد بل بدأت فى اتخاذ الترتيبات العملية للبدء فى تحديد موعد عودة اليهود و كيفية إتمام هذه العودة، ولذا لا عجب من وجود ما يطلق عليه اسم صراع الحضارات، فهذا الملمح الهام من ملامح الفكر الغربى قد نشأ ونما حتى صار فى وجدان الغرب لا تتبناه كنيسة بعينها ولا دولة بعينها، وتناسى الغربيون أن فلسطين هى أرض إسلامية، وبلغت بهم الصفاقة والوقاحة مبلغها حين رددوا عبارة، شعب بلا أرض لأرض بلا شعب، وكأن هؤلاء المسلمين ليسوا شعبًا، كأنهم لا شىء، ثم يتهموننا بأننا لا نعرف كيف نتعامل مع الآخر، ويوهمون السفهاء منا أن نشأة صراع الحضارات إنما كانت لأن المتعصبين من

المتباكين على انهيار الحضارة الإسلامية إنما يسعون فى اتجاهين، الاتجاه الأول هو هدم حضارة الغرب كخطوة أولى لبناء الحضارة الإسلامية، أما الاتجاه الثانى فهو اتخاذ الشريعة الإسلامية منهجًا للحياة، فينادون بتطبيقها فى الحكم وفى جميع سبل الحياة.
وهكذا يصبح كل من ينادى بالإسلام منهجا، وبالشريعة دستوراً يكون إرهابيًا يسعى لتدمير الغرب، وعلى الغرب أن يبدأ الضربة الوقائية الأولى فإذا هم يستبيحون دماءنا، ويسلطون علينا طغاة يلجأون - ويا للأسف - إليهم لتثبيت قواعد عروشهم الهاوية وكراسيهم الفانية فوق جماجم المؤمنين بقضية الدعوة والمنادين بتطبيق الشريعة، فيخسرون الدنيا والآخرة، وها هو ذا الطاغية صدام حسين مثلاً أمام أعيننا، كان خادمًا أمينًا لمآرب الصهاينة، فراح بإيعاز منهم وبتأييدهم يذيق شعبه ويلات الظلم والقهر، ثم راح بأوامر الصهاينة يحارب جيرانه المسلمين لسنوات عديدة يستنزف خلالها قوى المسلمين ومواردهم وأموالهم، ثم انقلبوا عليه غدراً وهو ليس عليهم بغريب وأطاحوا بعرشه ودنسوا أرضه، وادعوا أنهم يريحون العالمين من شره وظلمه، ولبسوا ثوب الفضيلة وتباكوا على العدالة التى غيبوها ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)﴾ [الحشر: ١٦]. ولا يسعنا إلا أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

***

الفصل الخامس

النصرانية الصهيونية

والاستعمار الغربى للشرق (الصليبية الجديدة)

موقف اليهود من الاستيطان بالقرن التاسع عشر:

فى يناير ١٨٣٩م وجه هنرى إنّس (النصرانى الصهيونى وسكرتير البحرية البريطانية) مذكرة إلى كل دول شمال أوروبا وأمريكا البروتستانتية[1] عنوانها «نيابة عن الكثيرين ممن ينتظرون تحرير إسرائيل » وهى تطالب الحكام الأوربيين بأن يقتدوا بقورش وينفذوا إرادة الرب بالسماح لليهود بالعودة إلى فلسطين . وقد كتبت بإسلوب إنجيلى وتتضمن الكثير من العبارات التوراتية ولكنها كانت تظهر انتقال الصهيونية النصرانية من مرحلة الحلم البروتستانتى إلى مرحلة التدخل السياسى النشط . وحظيت هذه المذكرة التى رفعها بالمرستون حين وصلته إلى الملكة فيكتوريا ، وقد حظيت المذكرة باهتمام بالغ وبتغطية واسعة من الصحافة .

وعلى الرغم من أن النشاط النصرانى الصهيونى كان متزايداً إلا أن المشاركة اليهودية بقيت قاتمة الظلال ، وذلك أن قلة من اليهود الإنجليز كانت راغبة فى عمل شىء ما بالنسبة لمشروع الاستيطان بفلسطين . ولكن هذا لم يثن بالمرستون عن تنفيذ مخططاته الصهيونية ، إذ بعث برسالة مثيرة إلى سفيره فى القسطنطَينية بونسونبى فى ١١ أغسطس ١٨٤٠م جاء فيها :

---

(١) بالفصل القادم نتناول كيف نشأت أمريكا البروتستانتية وتحولها من أرض حديثة الاكتشاف إلى أرض الأمجاد الصهيونية تنفيذا لخطة الرب (التى يتمسحون بها ، والله منهم براء) .

«يسود بين اليهود الشرقيين فى أوروبا شعور جياش بأن الوقت الذى سيعود فيه شعبهم إلى فلسطين بات وشيكا، وبالتالى فإن شوقهم للذهاب إلى هناك كان عارما، وأصبح تفكيرهم موجها أكثر من قبل نحو وسائل تحقيق ذلك. ومن المعروف أن يهود أوروبا يملكون ثروة ضخمة، وأن أى بلد تختاره مجموعة كبيرة منهم لسكناها سيجنى فوائد جمة من الثروات التى سيجلبونها معهم... ومن المفيد للسلطان أن يشجع اليهود على العودة إلى فلسطين واستيطانها لأن الثروة التى سيجلبونها معهم ستضاعف موارد ممتلكاته. وإذا ما عاد اليهود بموافقة وحماية ودعوة السلطان، فإنهم سيحولون دون أية خطط شريرة قد يفكر بها محمد على أو خلفه فى المستقبل...»[1]

والواضح من هذه الرسالة حرص الصهاينة على وأد أية محاولة إصلاحية أو تقدمية فى المنطقة لأن قيام النهضة يحبط مخططاتهم ويجعل إبادة العرب والمسلمين بالمنطقة أمرًا عسيرًا، فالتخلف والبدائية والبعد عن الأخذ بتلابيب التقدم والتطور التقنى يجعلهم أمة لينة العريكة، سهلة الانقياد، سلسة الإبادة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يفرقون جمعنا ويشتتون شملنا ويثيرون الفتن بيننا، فيدعمون الخلاف بالسلاح ليقتل بعضنا بعضا، ثم ينقلبون على الباقى منا فيفتكون به، بعد أن تنهك قواه، ويقوم عملاؤهم من ذوى المناصب والنفوذ بتخريب الجبهة الداخلية وإضعافها بإبادة ذوى الرأى والعزم والإيمان بدعاوى مختلفة كمحاربة الإرهاب، أو مقاومة المارقين على النظام، أو بأى ذريعة يتذرعون بها كى تحقق مآربهم الخبيثة لتكون الأمة كالميت بين يدى مغسله.

كانت هذه الرسالة حاملة للعديد من الأكاذيب والأباطيل شأنها شأن ما تدعو إليه حتى إن المؤرخين الصهيونيين ٥٥ قد أكدوا أن جل محاولات النصارى الصهاينة وحماسهم لتوطين اليهود فى فلسطين لم تحظ بتأييد كبير من يهود بريطانيا، فقد رفض مجلس وكلاء لندن اليهودى التورط فى هذا الموضوع على الرغم من أن رئيس المجلس فى ذلك الوقت كان موسى مونتفيور أحد دعاة المستوطنات الزراعية فى فلسطين، كما

---

(١) من بالمرستون إلى بونسونبى، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية البريطانية ٨٧/ ٣٩٠ (رقم ١٣٤) ١١ أغسطس عام ١٨٤٠م.

Fraz Kobler, The Vision was there (London)

يشهد المؤرخون بأن اليهود الأوربيين كانوا أبعد ما يكونون عن الرغبة فى الانشغال بأية خطة للاستيطان فى فلسطين، وتكفى الإشارة إلى أن مؤتمر الأحبار الذى عقد فى فرانكفورت عام ١٨٤٥م رفض فكرة العودة تماما وأقر حذف جميع التوسلات للعودة لأرض الآباء أو إحياء دولة يهودية، وظلت اليهودية ترفض صهينة مستقبلها حتى عام ١٨٧٢م الذى اجتمع فيه ممثلون عن اليهود من دول إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا والولايات المتحدة لدراسة حال اليهود فى رومانيا ولم يتطرق إلى أى حل عن طريق الهجرة اليهودية إلى فلسطين[1].

وعلى الرغم من ذلك الموقف اليهودى ومعارضة السلطان العثمانى لمشروع بالمرستون الصهيونى إلا أنه فى رسالته المؤرخة فى ٤ سبتمبر ١٨٤٠م كتب لسفيره فى القسطنطينية (وهو أحد معارضى المشروع الاستيطانى) يذكره بمهمته فيقول: « لا تتوان عن متابعة نصحى للباب العالى بدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين.

إنك لا تدرك مدى ما سيثيره مثل هذا الإجراء من اهتمام المتدينين فى هذا البلد بقضية السلطان. إن نفوذهم كبير واتصالاتهم واسعة. فضلاً عن ذلك فإن هذا الإجراء فى حد ذاته سيكون ذا فائدة كبيرة للسلطان إذ انه سيجلب إلى ملكه عددا كبيرا من الأثرياء الرأسماليين الذين سيوظفون الناس ويثرون الإمبراطورية.

مما لا ريب فيه أن المعتقدات والأفكار الصهيونية كانت حتى منتصف القرن التاسع عشر مقتصرة على النصارى وليس اليهود. وتذكر ريجينا الشريف أن أولئك الذين اختاروا مناصرة الشعب اليهودى وحقه المزعوم فى العودة إلى فلسطين يفعلون ذلك بدافع شخصى وليس بالتعاون مع الشعب اليهودى. ويشير المؤرخون الصهيونيون المحدثون إلى أن النصارى أمثال بالمرستون ومتفورد وتشرشل كانوا يؤذنون بمجىء الحركة الصهيونية الحقيقية، وتشرشل الذى تذكره ريجينا الشريف هو تشارلس هنرى تشرشل وهو من الرعيل الأول من النصارى الصهاينة السياسيين، فقد عمل ضابطا فى الحملة البريطانية التى أرسلت إلى سورية وساعدت السلطان على الإطاحة بمحمد على. وكان تشرشل ينتقد سياسة بالمرستون التى ترمى إلى إبقاء الإمبراطورية العثمانية ـ

---

(١) ريجينا الشريف: مرجع سابق.

بضعفها - على قيد الحياة قدر المستطاع، ويدعو بدلا من ذلك إلى وضع سورية وفلسطين تحت الوصاية البريطانية، ولأن تشرشل كان يدرك أن اليهود الأوربيين ليس لديهم نية صادقة للعودة إلى فلسطين فبدأ يروج لهذه الفكرة بينهم. وفى ١٤ يونيو عام ١٨٤١ كتب لموسى مونتفيور رئيس مجلس الوكلاء اليهودى فى لندن :

لا أخفى عنك؛ رغبتى الجامحة فى أن أرى قومك يحاولون استعادة وجودهم كشعب، وأرى أن الموضوع ميسور تماما. لكن هناك شرطين ضروريين لذلك : أولهما أن يتولى اليهود أنفسهم الموضوع عالميًا وبالإجماع، وثانيهما أن تساعدهم القوى الأوروبية على تحقيق أهدافهم.

وأثناء المؤتمر المركزى للحاخامين الأمريكيين الذى عقد عام ١٨٨٥م فى مدينة بتسبرج، قرر ممثلو اليهودية الإصلاحية "Reform Judaism" أن اليهود لا يشكلون قومية و إنما فئة دينية، وهذا القرار يخالف فكرة الصهيونية وينسفها نسفا من أساسها، فالصهيونية تقوم على اعتبار اليهودية قومية لها أرضها الموعودة التى يجب استردادها من أيدى سكانها لإقامة دولة يهودية تكون مهدًا لعودة المسيح، وفى عام ١٨٩٧م خلال المؤتمر المركزى للحاخامين الأمريكيين (عام المؤتمر الصهيونى فى بازل)، خطب الحاخام بتسحاق وايز واصفًا مؤتمر الصهيونية ببازل بالمؤامرة - وهذه حقيقة فهو بداية تنفيذ الحملة الصليبية الصهيونية - إذ قال : إن مكيدة بازل لم تكن سوى وهم طائش، لأن مشروع الدولة يتناقض مع رسالة اليهود الدينية ذات النطاق العالمى[(١)] .

من خلال كل ما سبق نرى أن الصليبيين الجدد أو النصارى الصهاينة أكثر إخلاصًا وحماسًا للصهيونية وأحرص من اليهود أنفسهم على توطين اليهود فى فلسطين، وتوحيد الشعب اليهودى فى الوطن الذى ذكرته نبوءات الكتاب المقدس، حسب فهمهم للنصوص، وذلك الإخلاص للصليبية الدموية هو الذى أوجد الصهيونية اليهودية كحل لمشكلة الشتات التى كان يتبناها قلة من اليهود أمثال وايزمان وهرتزل فقد كانت قضيتهم الأولى هى جمع الشتات فى أى وطن، ولكن هؤلاء رغم نشاطاتهم وتفانيهم فى قضيتهم كانوا أقل إيجابية فى تحقيق المآرب الصهيونية من النصارى

---

(١) ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية. مرجع سابق

الصهاينة الذين كانوا أكثر نشاطا من اليهود وأسبق منهم فى التكوين بعشرات السنين، ولم يرضوا عن فلسطين بديلا.

النصرانية الصهيونية وأيدلوجية الاستعمار الغربى:

إن جميع الاتجاهات السياسية والمخططات الاستعمارية والمطامع الاقتصادية لها ركيزة عقائدية تستند إليها، وتجند كل من يمكن تجنيده لتخلق رأيا عاما مؤيدا لأفكارها وأيدلوجياتها وتحث الجموع للمساهمة فى تنفيذ مآربها، وكان مأرب الاستعمار منذ بَدء الحملات الصليبية على الشرق المسلم أن يقسم جسد الأمة الإسلامية ويفصل بين شقَيها الآسيوى والإفريقى، فكانت فلسطين هى هدف الاستعمار الأول لخلق دولة صليبية تكون حاجزا بين شرق الأمة الإسلامية وغربها وشوكة فى قلب الأمة وركيزة ترتكز عليها القوى الاستعمارية الغربية الصليبية، وتستمد من الدين شرعية النهب والسلب لثروات العرب والمسلمين.

وعلى هذا الدرب سار النصارى الصهاينة، ونهجوا نفس المنهج، وإن تعددت الأساليب، واختلفت الأسباب المعلنة لنا عن مجيئهم، فقد ادعى نابليون بونابرت أنه أتى لينير الشرق بمشعل حضارة الغرب بينما كانت نواياه الصهيونية تكمن فى انتزاع أرضنا منا، فدائما كان الدين هو المحرك والدافع لجميع النزعات والاتجاهات، فبالدين كان الأوربيون يدفعون أبناءهم لاحتلال بلاد لا يعرفونها، فيقتلون أبناءها ويمتصون دماء شعوبها. فمثلما كانت الحملات الصليبية حملات استعمارية استيطانية ذات أهداف اقتصادية وصبغة دينية كانت حملات الاحتلال الغربى للوطن العربى ولبلاد العالم الإسلامى. ومثلما كان الاستعمار الفرنسى كان الاستعمار الإنجليزى وكذلك الاستعمار الإيطالى على أراضينا. والدليل على أن فكر الاستعمار الإيطالى لليبيا ليس مختلفا عن غيره، هذه الكلمات التى نجدها فى النشيد الذى كان يردده الجنود الإيطاليون بليبيا إذ يقول: يا أماه أتمى صلاتك، بل اضحكى... ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا.... لأبذل دمى كى أسحق الأمة الملعونة... لأحارب الديانة الإسلامية التى تجيز البنات الأبكار للسلطان...

سأقاتل بكل قواى لأمحو القرآن[1]. فلا عجب من أقوال بيرليسكونى عن الحضارة الإسلامية، فهى كلمات بغيضة تصدر عن شخص بغيض نشأ على مثل هذه الأناشيد التى علمته بغض الإسلام والمسلمين، ويا له من تدليس فلم يكن فى الحضارة الإسلامية مَن يهب البكارى للسلطان، بل كان ذلك فى حضارة الغرب، إذ كان للإقطاعى حق الليلة الأولى فينال الأبكار من فلاحات مقاطعته ليلة زفافهن، وهذه حقيقة تاريخية لا يستطيعون إنكارها لتواتر كتب تاريخهم بها.

من الأقوال المأثورة عن جلادستون وهو من مشاهير القادة الإنجليز فى القرن التاسع عشر أنه قال: لا نستطيع قهر المسلمين ما بقى فيهم القرآن والكعبة والأزهر[2]. لهذا يجب إعدام القرآن[3]. وسوف نذكر لاحقا خطتهم طويلة الأمد لتحقيق ذلك، والله غالب على أمره.

ومن المعروف أنه عندما انتصرت القوات البريطانية على قوات الخلافة العثمانية سنة ١٩١٨ قال اللمبى القائد الإنجليزى: الآن انتهت الحروب الصليبية. وعندما دخلت القوات الفرنسية دمشق وقف القائد الفرنسى جورو على قبر صلاح الدين قائلا: ها قد عدنا يا صلاح الدين. وتوجه فى يومه التالى إلى حمص قاصدا قبر سيف الله المسلول خالد بن الوليد قائلا: نحن هنا يا خالد[4].

يقول اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى بمصر فى أوائل القرن العشرين: لقد دخل الإنجليز إلى مصر لينشروا الحضارة الإنسانية وفقا لتعاليم الدين المسيحى. كما قال: لن يفلح الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن. وعندما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ أصدرت هيئة البريد فى فرنسا طابعا يحمل خريطة للجزائر يتهاوى فيها الهلال إلى البحر ويرتفع صليب ليغمر بسناه الأفق[5].

---

(١) ياسر حسين، محمد بسيونى: الحروب المقدسة (أمريكا والمسيحية الصهيونية). دار البروج للنشر. القاهره. ٢٠٠٣

(٢) فى القرن التاسع عشر كان الأزهر هو منارة علوم الشريعة، والمعلم الأول لجميع علوم الدين ومناهجه، وكان المعهد الذى يخرج علماء الأمة ومعلميها وقادتها الروحيين.

(٣) د. أحمد شلبى: صراع الحضارات فى القرن الحادى والعشرين..

(٤) د. يوسف راعى. الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية.

(٥) ياسر حسين ومحمد بسيونى: الحروب المقدسة (مرجع سابق)

فى تقرير لوزير المستعمرات الإنجليزى (أورمبسى جو)رفعه إلى رئيس حكومته فى ٩/ ١/ ١٩٣٨م ما يلى : إن الحرب العالمية الأولى علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية أن تحاربه، وفرنسا أيضا ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة، وأتمنى أن تكون لغير رجعة. إن سياستنا الموالية للعرب فى الحرب الأولى لم تكن نتيجة متطلبات تكتيكية ضد القوات التركية، بل كانت مخططة لفصل السيطرة على مكة والمدينة عن الخلافة العثمانية وللقضاء على الإسلام ذاته. ولسعادتنا فقد أدخل أتاتورك العلمانية وإصلاحات قوية أدت إلى نقض معالم تركيا الإسلامية ونتج عن ذلك إثارتنا للنعرات القومية والعنصرية فى تركيا ومصر. والوثيقة محفوظة بالمركز العام للوثائق بلندن تحت رقم ٣٧١/ ٥٥٩٥٦٣ [1].

الصهيونية والاحتلال الفرنسى:

على الصعيد السياسى بفرنسا نجد أن الأفكار الصهيونية النصرانية قد أفرزت أولى الخطوات العملية لتحقيق مآربها الخبيثة على يد أول نصرانى صهيونى بدأ بتنفيذ هذه الأفكار بمحاولة إقامة دولة يهودية فى فلسطين وهو (نابليون بونابرت) وذلك قبل وعد بلفور بحوالى ١١٨ عام، وها هو البيان الذى أصدره عام ١٧٩٩ م خلال حملته الفرنسية على مصر :

«من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين. أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذين لا تستطيع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومى، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط.

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدين - وإن لم تكن لهم مواهب المتنبئين مثل أشعيا ويوئيل - قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من دمار وشيك لمملكتهم ووطنهم : أدركوا أن عتقاء الله سيعودون لصهيون وهم يغنون، وسيولّد الابتهاج بتملكهم لإرثهم دون إزعاج فرحا دائما فى نفوسهم. أشعياء ٣٥/ ١٠

---

(١) د. محمود زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى.

انهضوا إذن بسرور أيها المبعدون، إن حربًا لم يشهد لها التاريخ مثيلا تخوضها الأمة دفاعًا عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التى توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغى أن تقسم بينهم حسب أهوائهم، وبجرة قلم من مجلس الوزراء تقوم للثأر وللعار تحت قيد العبودية والخزى الذى أصابكم منذ ألف عام. ولئن كان الوقت والظروف غير ملائمة للتصريح بمطالبكم أو التعبير عنها، بل وإرغامكم على التخلى عنها، فإن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل فى هذا الوقت بالذات، وعلى عكس جميع التوقعات.

إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية والذى يقوده العدل ويواكبه النصر جعل القدس مقراً لقيادتى، وخلال بضعة أيام سينقل إلى دمشق المجاورة التى لم تعد ترهب مدينة داود.

يا ورثة فلسطين الشرعيين.... إن الأمة التى لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب (٦ : ٤ يوئيل) تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم بل لأخذ ما تم فتحه والاحتفاظ به بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفًا لإسبرطة وروما، وإن معاملة العبودية التى دامت ألفى عام لم تفلح فى إخمادها.

سارعوا! إن هذه هى اللحظة المناسبة - التى قد لا تتكرر لآلاف السنين - للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التى سلبت منكم لآلاف السنين وهى وجودكم السياسى كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعى المطلق فى عبادة يهوه، طبقًا لعقيدتكم، علنًا وإلى الأبد. (٢٠ : ٤ يوئيل)»[(١)].

وبموجب هذا البيان كان وصف وايزمان لنابليون بونابرت بأنه (أول الصهيونيين الحديثين غير اليهود). وقد اتضح أن البيان الذى ادعى أنه صادر عن قيادة نابليون فى القدس لم يكن إلا زهواً عسكريًا، لأن نابليون بونابرت لم يقترب بفرقته من مدينة القدس قط، فقد أخزاه الله فى عكا بعد أن حاصرها، ثم عاد مهزوما مدحورا يجر إزار

---

(١) ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية. (مرجع سابق).

الخيبة والمذلة والعار فى شهر مايو ١٧٩٩م، ولم يكن هناك أى أمل فى أن يفى نابليون بونابرت بوعده الذى قطعه فى بيانه التاريخى المشئوم.

رغم ادعاء نابليون بونابرت بأنه أتى للشرق يحمل مشعل التنوير الحضارى الغربى[1] كما ذكروا لنا فى مناهجنا الدراسية التى وضعت بمعرفة النصارى الصهاينة الذين تدخلوا فى وضع مناهجنا الدراسية بدس عملاء ملعونين قد شربوا من مشربهم، قد ساهموا مع من غرر بهم بدعوى التطوير والتحديث للمناهج فى دس السم فى الدسم، فبدلوا المفاهيم كما هو الحال فى الحملة الفرنسية، وحجبوا عن أبنائنا بعض الأحداث التاريخية الهامة التى تظهر خسة اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق،، إلا أن نواياه الصهيونية كانت خبراً شائعا فى أوروبا وسارت كشائعات غير رسمية أطلقها تهيئة لظهور بيانه الصهيونى، حتى إن اليهود الإيطاليين قد اعتبروا نابليون محررهم العظيم، وكان دعاة النهضة الإنجليز يرقبون حملة نابليون والغيرة تملأ قلوبهم ويلقون بالتبعة على الساسة الإنجليز لإضاعة الفرصة من أيديهم، وقد جعل الله بأسهم بينهم، إذ خافت بريطانيا من قطع الخط الملاحى لمستعمراتها بالهند فقامت بضرب السفن البحرية التى جاء بها نابليون وهى راسية بأبى قير.

والجدير بالذكر أنه قد نشرت رسالة مطبوعة فى كل من إنجلترا وفرنسا، تشير إلى المخططات وبعض التفصيلات عن الأماكن التى سيتجمع فيها اليهود والمناطق التى ستترك لغيرهم، فهى أول خارطة للطريق يتم نشرها. فقد جاء فى الرسالة :

إن الدولة التى ننوى إقامتها ستشمل (بالاتفاق مع فرنسا) مصر السفلى بالإضافة إلى منطقة يحدها خط أو طريق يمتد من عكا إلى البحر الميت.. وهذا الموقع الذى يعد أكثر المواقع فائدة فى العالم سيجعلنا عن طريق السيطرة على ملاحة البحر الأحمر سادة تجارة الهند والجزيرة العربية وجنوب شرق إفريقيا والحبشة وإثيوبيا. ويشير المؤرخ اليهودى المعروف سالو بارون Salo Baron إلى أن اقتران الصيغ التجارية والتوراتية أمر له دلالته، وهو يرى أن للبيان أهمية كبرى على الرغم من عدم وجود نتائج آنية له.

---

(١) من العجيب أن هناك بعض العلمانيين دعاة الحضارة الغربية وأعداء الدين يروجون لفكرة أن الحملة الفرنسية لنابليون كانت حملة تنويرية، ويطالبون بإقامة احتفالات ابتهاجا بهذه المناسبة، ويروّجون لأفكار الغرب ويطلقون على أنفسهم دعاة التنوير وأنصار التقدمية وهى فى واقع الأمر إما أفكار إلحادية أو صهيونية.

لم تكن صهيونية نابليون بونابرت حدثا منفصلاً عن تاريخ الاستعمار الفرنسى، رغم افتقار الصهيونية الفرنسية إلى الاستمرارية والتدفق الذى تتميز به الأفكار الصهيونية البريطانية رغم أن الصهيونيتين تندرجان تحت تصنيف النصرانية الصهيونية.

انتعشت الصهيونية النصرانية بعد نابليون بونابرت أيام امبراطورية نابليون الثالث الثانية (١٨٥٢ - ١٨٧٠م) عندما تجددت النشاطات الاستعمارية على نطاق واسع، فقد ضم نابليون الثالث الجزائر فى شمال أفريقيا، وأقام محمية فرنسية فى الهند الصينية انطلاقًا من سياسته الخارجية العدوانية، كما كانت طموحاته فى الشرق الأوسط قائمة، وفى عام ١٨٥٤ أقحم نابليون الثالث فرنسا فى حرب القرم مع روسيا متذرعًا بحماية الرهبان الكاثوليك فى الامبراطورية العثمانية. وكان الممثل الرئيسى للنصارى الصهاينة فى هذه الحقبة هو (أرنست لاهاران) السكرتير الخاص لنابليون الثالث والذى كان يؤيد بشكل سافر خطط نابليون لاحتلال الشرق.

وفى عام ١٨٦٠م وضع لاهاران كتابًا بعنوان : « المسألة الشرقية اليهودية - الإمبراطورية المصرية والعربية وإحياء القومية اليهودية ». واستعرض فيه مناقشات البيوريتانيين المؤيدة للاستيطان اليهودى فى فلسطين، وأكد المكاسب الاقتصادية التى ستجنيها أوروبا إذا ما أقام اليهود فى وطنهم القديم (المزعوم) ، وتحدث بإعجاب شديد عن الشعب اليهودى الذى « شق طريقًا رئيسة وطرقا جانبية أخرى جديدة للحضارة الأوروبية. ولما كان من الممكن إنقاذ حضارة الشرق الأوسط المتداعية بحقنة من الحضارة الأوروبية فإن على أوروبا كلها أن تساعد على انتزاع فلسطين من الإمبراطورية العثمانية وإعطائها لليهود. »

ولكن دعوة لاهاران انتهت نهاية نابليون بونابرت، ولم تكن لها نتائج مادية ملموسة على الصعيد السياسى بيد أنها أثارت حمية النصرانية الصهيونية البريطانية التى كان من نصيبها تجسيد الحلم الصهيونى بالوطن القومى لليهود بفلسطين. فظهرت الصحوة الثانية للنصرانية الصهيونية وهى صحوة إيفانجيلية بيوريتانية متهودة، قد كان أبرز روادها اللورد إيرل شافتسبرى السابع، مبشر المبشرين.

علاقة صحوة النصارى الصهاينة الثانية ببريطانيا مع الاستعمار:

فى عام ١٨٣٩م حث اللورد شافتسبرى جميع اليهود على الهجرة لفلسطين فى مقال منشور له بعنوان : « الدولة وآفاق المستقبل أمام اليهود». وقد عارض فيها فكرة إذابة العنصر اليهودى فى مجتمعاتهم الإقليمية، وأنهم سيبقون غرباء فى كل الدول التى يعيشون فيها مع غير اليهود. ونظر شافتسبرى إلى اليهود على أنهم يلعبون دوراً رئيسيًا فى الخطة الإلهية للمجىء الثانى للمسيح وفسر نصوص العهد القديم بأن المجىء الثانى للمسيح سيتحقق فقط عندما يكون اليهود قد عادوا للعيش فى إسرائيل المسترجعة[1] . وانطلاقا من اعتقاده بأن عليه مساعدة الرب لتحقيق الخطة الإلهية بنقل جميع اليهود إلى فلسطين، جعل كل همه إقناع الإنجليز بأن اليهود هم حجر الزاوية من أجل الأمل النصرانى للخلاص، وذلك على الرغم من وصفه لليهود بأنهم « غلاظ وقلوبهم سوداء وغارقون فى المعصية ويجهلون اللاهوت »، وقد وجد شافتسبرى دعمًا لمشروعه لنقل اليهود إلى فلسطين من زوج حماته ونصيره السياسى (اللورد بالمرستون) الذى تولى وزارة الخارجية عام ١٨٣٠م، والذى قرر تحت إلحاح شافتسبرى افتتاح أول قنصلية بريطانية فى القدس عام ١٨٣٨م لتكون مركزا لرعاية مخططات الصهيونية اليهودية وتذليل عقبات تنفيذها.

بناءً على ما سبق قام بالمرستون بتعيين (وليام ينج) نائبًا للقنصل فى القدس، وهو إنجيلى صهيونى متدين وصديق للورد شافتسبرى، وكانت التعليمات التى تلقاها من وزارة الخارجية تنص بالتحديد على أن من بين مهامه حماية كل اليهود المقيمين فى فلسطين، كما طلب منه أن يبعث تقريراً لوزارة الخارجية البريطانية عن حالة السكان اليهود فى الأراضى الواقعة ضمن نطاق سلطاته القنصلية، وقد ورد فى التقرير الذى بعثه ينج فى مايو ١٨٣٩م : (إن عدد اليهود المقيمين فى فلسطين ٩٦٩٠ شخصًا، وأن وضعهم بائس، وأنهم يعتمدون اعتماداً كاملا على المساعدات الخارجية .) وهذا الوضع البائس الذى أورده التقرير لم يكن حال اليهود وحدهم فقد كان حال جل العرب المقيمين فى فلسطين، إلا أنهم لم يكونوا معتمدين إلا على العمل فى الفلاحة

(1) Franz Kobler : The Vision was there < London 1956.

فى أراض محدودة أو عمال مأجورين عند المستثمرين الأجانب الذين أتوا تحت جناح الاحتلال الإنجليزى وظله.

أما الخط السياسى أو الاستراتيجية التى نهجها الاحتلال البريطانى الصهيونى كما قدمها (إدوارد متفورد) من مكتب المستعمرات فى لندن عام ١٨٤٥م على شكل خطة للسياسة البريطانية التى يجب إتباعها، وتتضمن إيجاد أمة يهودية فى فلسطين كدولة محمية تحت وصاية بريطانيا العظمى أولاً، ثم توطين اليهود نهائيًا كدولة عندما تكتسب مؤسساتها القوة الكافية لإنهاء الوصاية (١) .

فى عام ١٨٦٥ أنشأ النصارى الصهاينة الإنجليز (صندوق استكشاف فلسطين) ليبرهنوا على مبادئهم الدينية من خلال دراسات تبدو علمية، مرتكزين على الأحوال التى آلت إليها البلاد بعدما كانت مزدهرة ذات يوم، وتكون خلاصة نتائجها مستوحاة من دافعهم الدينى وتؤكد أن صلاح هذه البلاد يكمن فى عودة اليهود وإدارة شؤونها.

وشاهد ذلك ما كتبه الجيولوجى (جون وليم دوسن) عام ١٨٨٨م فى أعقاب رحلته لفلسطين : لم تستطع أمة أن تقيم كيانًا لها فى فلسطين كأمة حتى الآن، ولم تكن هناك وحدة قومية أو روح وطنية. أما القبائل الفقيرة المؤلفة من عناصر شتى.. فقد أقامت فيها مجرد مستأجرين وأصحاب أرض مؤقتين فى انتظار أولئك المؤهلين لتملك الأرض بشكل دائم (٢) .

كان مصير الصهيونية مرتبطا مع مصير الاستعمار ومتشابكًا معها منذ البداية، فقد كانت المحاولات الأولى لتوطين اليهود كمستعمرين زراعيين مرتبطة بمكانة فلسطين فى المجالات السياسية والاستراتيجية، وكان صندوق استكشاف فلسطين واحدا من المنظمات الكثيرة التى ازدهرت فى انجلترا فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وكانت تقدم المساعدات المالية والاستشارات لمن يرغب من اليهود لامتلاك أراض زراعية فى فلسطين، وكان النصارى الصهاينة ينشرون مقالاتهم فى صحف يهودية وقد طالبوا بتشكيل (صندوق النقد القومى اليهودى) شركة ذات حقوق وامتيازات على

---

(1) Franz Kobler : The Vision was there > London 1956 .P77

(٢) ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية. مرجع سابق.

غرار شركة الهند الشرقية وذلك قبل ثلاثين عامًا من إنشاء هذا الصندوق الذى كان يعمل باستراتيجية يمكن تلخيصها فى الخطوات التالية :

- الأولى : شراء الأرض من أصحابها الحاليين وجعلها ذات قيمة للمستأجرين والفلاحين عن طريق إنفاق مبلغ من المال حتى تتحسّن أحوالها بزراعات تزيد من خصوبة الأرض ولا تجهدها، وقد لا تدر ربحًا ماديا لمستأجريها.

- الثانية : تأجير هذه الأراضى لمستأجرين يهود بشكل دائم وبأجور ثابتة.

- الثالثة : توجيه رأس المال لإقامة مصانع ذات طبيعة و أهمية قومية.

- الرابعة : توجيه هذه المصانع وغيرها لجعل البلد فى وضع مناسب للدفاع العسكرى بحيث تتمكن من المحافظة على استقلالها عندما يحين الوقت لاستخدام السلاح والعنف.

عجلت التطورات السياسية عام ١٨٨٠ م بغيير سياسة بريطانيا فى الشرق فلم تعد صديقة السلطان العثمانى وحاميته بعد أن اتخذت منه درعا فى مواجهة قيصر روسيا ومده الأوروبى، وبعد أن كان النصارى الصهاينة يتبعون سياسة الخطوة خطوة لتهويد فلسطين بشكل غير مباشر تحت السيادة التركية والحماية البريطانية، بدأوا فى اتباع الأسلوب المباشر، وتقديم العديد من التسهيلات لليهود الراغبين فى الهجرة إلى فلسطين.

كان الوضع السياسى الجغرافى المتميز يجعل بريطانيا تتخلى عن سياسة الحفاظ على وحدة أراضى الدولة العثمانية، وأصبحت أهمية فلسطين فى الخطة البريطانية الاستعمارية تنبع من قربها من مصر، وجعلها حلقة وصل برية مع الشرق. ولم تعد الصهيونية النصرانية متوافقة مع الاستعمار البريطانى فحسب بل أصبحت فرعًا منه، وأصبح الصهاينة ومن يساندونهم هم الذين يشغلون المناصب العالية و الهامة فى الدوائر الحكومية فى إنجلترا.

وخلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر أصبحت الحاجة الملحة للإمبراطورية البريطانية تتطلب قيام صهيونية سياسية، كأيدلوجية استعمارية مقبولة، وبخاصة بَعد أن قويت شوكة النصارى الصهاينة بعدما تنامت الانتماءات الصهيونية بين يهود أوروبا.

النصارى الصهاينة ووعد بلفور (بداية تنفيذ المؤامرة).

وجدت نزعتان متناقضتان فى أوروبا فى هذه الفترة، الأولى للنصارى الصهاينة التى تدعو لإقامة وطن قومى لليهود بفلسطين وضرورة ترحيلهم من أوروبا إليها، والثانية نزعة لا سامية ترى أن اليهود جسم غريب عن أوروبا وغير مندمج مع مجتمعها، وقد يرون أن الويلات الأبدية التى أصابت الحضارة الغربية نتيجة وجود هذا الجسم الغريب والمعادى، و لذا لابد من التخلص منه وترحيله خارج أوروبا.

عندما قامت الحكومة البريطانية عام ١٩٠٣م بأول عرض رسمى لها بإعطاء أرض لليهود وهى أوغندا، وكان رئيس الحكومة آنذاك اللورد آرثر جيمس بلفور، الذى كان خلفاً لعمه اللورد سالزبرى وكلاهما نصرانى صهيونى متعصب، ولكن هذا المشروع باء بالفشل لأنه غير صهيونى، ورغم قبول الصهاينة اليهود بقبول وطن قومى لهم شرق أفريقيا لحل المشكلة اليهودية (الشتات)، إلا أن النصارى الصهاينة اعتبروا أن هذا القبول خيانة للصهيونية.

وبعد أن فشل مشروع تشامبرلين لتوطين اليهود فى أوغندا، بدأ بلفور فى توجيه الدفة لدفع اليهود نحو فلسطين غير مبال بالعرب وشعورهم، فقد أوردت ريجينا الشريف[1] فى مذكرة له حول سوريا وفلسطين وما بين النهرين : « ليس فى نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع أن اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية. سواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة فإنها متأصلة الجذور فى التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية. وآمال المستقبل، فهى ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمئة ألف عربى الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة ».

وعندما تولى لويد جورج رئاسة الوزراء فى ديسمبر ١٩١٦م بدأت الحكومة البريطانية تدرس جديا موضوع إصدار بيان عام عن السياسة البريطانية فى فلسطين، وكانت فلسطين آنذاك محور مناورات الحرب العالمية الأولى السياسية المعقدة. ومع وجود لويد جورج فى رئاسة الوزراء وآرثر جيمس بلفور وزيراً للخارجية وكلاهما من

---

(١) ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية ، مرجع سابق.

النصارى الصهاينة المتحمسين وكلاهما أيضا نشأ وترعرع فى أحضان التقاليد البروتستانتية فبلفور نشأ على التعاليم التى أسقتها له والدته الإسكتلندية شديدة التعصب للصهيونية وعظيمة التقديس للعهد القديم، أما لويد حورج فقد كفله خاله الواعظ فى إحدى الفرق المعمدانية الويلزية (كامبلينش) أو حواريى المسيح، وكما قال : « نشأت فى مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادى، وبمقدورى أن أذكر أسماء ملوك إسرائيل ولكنى أشك إن كنت أستطيع ذكر أسماء بضعة ملوك إنجلترا أو مثل ذلك العدد من ملوك ويلز »[1] تغلغلت النصرانية الصهيونية فى أعماق دوائر القرار البريطانى(مثل المحافظين الجدد الآن بالولايات المتحدة الأمريكية) .

التقت المصالح البريطانية و الصهيونية وقام الصهاينة اليهود أمثال حاييم وايزمان وناحوم سوكولو بدورهم فى جعل مصالح الصهيونية متماثلة مع المصالح البريطانية والاستعمار الغربى، وصار احتلال فلسطين ضرورة استراتيجية لبريطانيا ووضعها تحت الوصاية، حيث إن الاحتلال المباشر لأى أرض صار يثير الرأى العام العالمى ضدها، وهذه الوصاية كانت من أجل أصحابها الذين ورد ذكرهم فى العهد القديم .

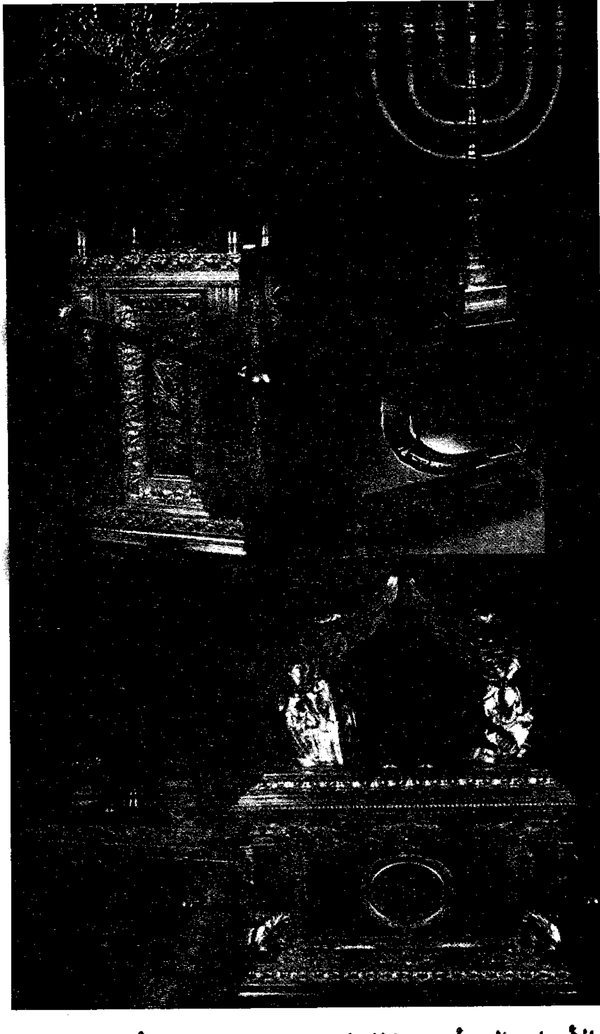
وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧م أصدر بلفور وعده بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وهو كما قيل : « أعطى من لايملك حقًا لمن لا يستحق» . وفى الحقيقة كان ما يردده النصارى الصهاينة من ادعاءات وأكاذيب تقول : «ليس لفلسطين فى الواقع وجود قومى أو جغرافى مستقل إلا ما كان لها من تاريخ اليهود القديم الذى اختفى مع استقلالهم ولذلك، فعندما أطلق عليها بلفور اسم وطن قومى لم يكن يعطى شيئًا يخص شخصًا آخر، إنها روح الماضى التى لم يستطع ألفا عام أن تدفنها والتى يمكن أن يكون لها وجود فعلى من خلال اليهود فقط . لقد كانت فلسطين هى الأرض المقدسة للنصارى أما بالنسبة لغيرهم فإنها تعتبر تابعة لمصر أو سوريا أو الجزيرة العربية، ولكنها تعد وطنًا قائمًا بذاته بالنسبة لليهود فقط . أما عرب فلسطين البدائيون فقد وصفوا بأنهم جنس أكثر ضعفا وتنوعًا من عرب اليمن أو الحجاز . إن وعد بلفور أنكر وجود الشعب الفلسطينى العربى فى الوقت الذى اعترف فيه باليهود كأمة، وقد أشار الوعد فى نصه

---

(١) نفس المرجع السابق

إلى سكان فلسطين باسم (الجاليات غير اليهودية الموجودة فى فلسطين) رغم كونهم أكثر من ٩٠٪ من سكان فلسطين، فهذه التسمية منافية للعقل والمنطق والقانون، فتجنب كلمة (عرب) كانت تهدف إلى إخفاء حقيقة أن فلسطين بلد عربى، وهنا تظهر حقيقة المؤامرة النصرانية الصهيونية التى تخالف الحقائق وليست المسألة فقط إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، ولكن تقسيم جميع الأراضى العربية، وجعلها مناطق مشتتة المساحة ومقسمة الموارد، فتقسيم المقسم وتجزئة المجزأ ليس بجديد، ومشروع التقسيم الذى أشارت إليه الصهيونية كوندليزارايس أثَناء الهجمة الصهيونية على لبنان، ما هو إلا تطوير لهذا التقسيم الذى يحول الأراضى العربية إلى مقاطعات صغيرة يملؤها الضعف والوهن، ولا يعود الكبير فيها كبيراً ولا الغنى غنيًا كما أخبرنا السيد حسن نصر الله (نصره الله)، فتنتزع خيراتها من أيدى أصحابها، ويتشتت فيها أهلها ليصبحوا غرباء فى ديارهم، كل ديارهم، فلا تقوم لهم أمام اليهود قائمة، وكذلك تسهل إبادتهم خاصة عندما تحين معركة هرمجدون، فهم بهذه المؤامرة يسهلون مهمة الرب فى معركته، وهكذا يفترون على ربهم مرة أخرى، فبعد أن جعلوه مهانا على الصليب وعاجزاً ـ اختياراً ـ حتى عن الدفاع عن نفسه، فيلقى الذل والمهانة والتعذيب والصلب فداءً للبشر، جعلوه مرة أخرى فى هرمجدون ذليلا ضعيفا غير قادرعلى خوض معركته هو وجنده الذين يختطفون من الموت، فيرونه بحاجة إلى مساعدتهم، فيحلون فتل أعدائه ـ حسب زعمهم ـ حتى لا تقوى شوكتهم عليه. يالهذه المهاترات والأفكار، و يالها من افتراءات على الله جلّ وتقدّس وتعالى عما يقول الكافرون علوا كبيرا.

❊ ❊ ❊



نماذج من الأدوات التى أعدوها للهيكل الذى سيقام على أنقاض المسجد الأقصى



تحطم منبر صلاح الدين الأيوبي بالمسجد الأقصى

مدخل إلى الأنفاق



انهيار جزء من أرضية المسجد الأقصى يكشف الأنفاق التي يحفرها الصهاينة لهدم المسجد



نموذج للهيكل المزمع إقامته وضعته شركة نصرانية صهيونية أمريكية للبناء تنوي بناءه على أنقاض المسجد الأقصى

الفصل السادس

الصهيونية النصرانية الأمريكية ونشأة الولاء لإسرائيل

اكتشاف الأرض الموعودة والهجرة إليها :

عندما أبحر كريستوفر كولومبس عام ١٤٩٢م - الإيطالى الأصل - لحساب ملك وملكة أسبانيا فرديناند وإيزابيلا للجنوب الغربى قاصدًا الهند، وصل إلى جزر البهاما وكوبا وهايتى بعد سبعين يومًا، وأطلق على سكانها الهنود الحمر، ولا يمكن أن ننسى أن مغامرة اكتشاف أمريكا كانت مغامرة دينية بالأساس إذ كان كريستوفر كولومبس يحمل رؤية دينية فى مغامرته، وهذا ما صرح به فقال بكلماته إن الله جعله رسولا للجنة الجديدة، والأرض الجديدة بعد أن حدثه بها يوحنا المقدس فى سفر الرؤيا، وأراه النقطة التى يجدها عندها، وكان يعتقد بأن مغامرته تأتى ضمن إرادة الرب وسوف تقود فى النهاية إلى تحرير أورشليم من المسلمين الكفار وإعادة بناء المعبد، وأنه سوف يستخدم الذهب الذى يجده فى العالم الجديد فى إعادة بناء المعبد لكى تكون أورشليم مركزًا للعالم [1] وهذه النظرة الدينية للأرض الجديدة كانت مع الرغبة فى الحصول على الذهب هناك بنفس القدر من القوة، فالعقيدة هى المحرك الأول لاكتشاف الأرض الجديدة، حتى الذهب قبل أن يكتشف كان موهوبًا لخدمة الغرض الدينى المقدس المتمثل فى بناء الهيكل وعودة المسيح.

---

(١) رضا هلال : المسيح اليهودى (مرجع سابق) .

تتابعت رحلات أوروبا البحرية الاستكشافية فى المحيط الأطلنطى مع نهاية القرن الخامس عشر، بدأت البرتغال وأسبانيا، ثم لحقت بهما فرنسا وبريطانيا، تعددت وامتزجت أسباب تلك الرحلات الدينية والدنيوية، وقد ساعد على قيام تلك الرحلات التقدم النسبى فى الملاحة، والعديد من الأسباب كالبحث عن طريق للشرق بعيداً عن إيطاليا ومسلمى الشرق الأوسط وكذلك لاقتناء الذهب والفضة لمحاربة المسلمين وتخليص بيت المقدس من أيديهم[1]، ويسبق كل هذه الأسباب عند الإنجليز نشر البروتستانتية على أيديهم بدلا من الكاثوليكية على يد من سبقوهم. فأعدت إنجلترا لذلك خطتين، الأولى قصيرة المدى وتتمثل فى الإغارة على السفن الأسبانية ومصادرة بضائعها بقيادة جون هوبكنز (الذى أنشئت فيما بعد فى الولايات المتحدة جامعة باسمه)، والثانية طويلة المدى بالاستيلاء على الأراضى الجديدة، ومد النفوذ البروتستانتى عليها.

ويمكن القول بأن النصرانية فى أوروبا قد شُق عصا إجماعها على الكنيسة الكاثوليكية بظهور البروتستانتية وأنها جعلت نصرانية أوروبا نصرانية صهيونية متهودة، إذ غيرت نظرة أوروبا لليهود، وحولتهم من منبوذين محتقرين مكانهم ومكانتهم فى أسفل سافلين إلى أسياد عالين فى أعلى عليين، بل وصار النصارى أمام اليهود كما أوصى مارتن لوثر كالكلاب التى تأكل ما يتساقط من فتات موائد أسيادها، وهذا ما أسميناه (من التدنيس إلى التقديس)، ثم ظهر البيوريتانيون الذين عابوا على كنيسة إنجلترا بعض الممارسات الكاثوليكية، وكثيرا من الأمور الأخرى التى اعتبروها فساداً، وتوصلوا إلى أنه لا يمكن إصلاح الكنيسة، وأنه لابد من تحطيمها، وفضلوا الهجرة إلى هولندا، وهناك رحب بهم البيوريتان الهولنديون بالقول أيما ترحاب أما بالفعل فقد اختلفت الحقيقة تماما، إذ أسندوا إليهم أخس الأعمال والوظائف. ولم يرض البيوريتان البريطانيون بذلك، فعقدوا صفقةمع شركة فرجينيا التى تنقل المهاجرين للأرض الجديدة، وهاجروا بمقتضاها إلى فرجينيا بزوجاتهم وأولادهم،

---

(١) عادل المعلم (وآخرون) : الامبراطورية الأمريكية صفحات من الماضى والحاضر. الجزء الأول. المقالة الأولى : لقطات من تاريخ العم سام من العثور على أمريكا إلى إرهاصات الثورة على بريطانيا. مكتبة الشروق. القاهرة ٢٠٠١م .

وأطلقوا على أنفسهم اسم الحجاج، وانطلقوا بروحهم الدينية المتهودة على متن السفينة (زهرة مايو ـ May Flower) إلى الأرض الجديدة. وفى الطريق إلى أرض المعاد كما أطلقوا عليها كون هؤلاء الحجاج فيما بينهم ميثاقًا عرف باسم (ميثاق زهرة مايو) وكان نصه كالتالى :

« باسم الله نحن الموقعين على هذا الرعايا المخلصين لمولانا الملك المهيب جيمس، بفضل الله ملك بريطانيا العظمى وفرنسا وأيرلندا، وحامى الدين، لما كنا قد قمنا بهذه الرحلة تمجيداً لله وإعلاءً لشأن النصرانية، وتبجيلا لمليكنا وأمتنا، ولننشئ أول مستعمرة فى الجزء الشمالى من فرجينيا، فإننا بموجب هذا الميثاق نتعاهد بإخلاص أمام الله، ونكون منا هيئة مدنية سياسية لتحسين أمورنا وصيانة حياتنا وتعزيز هذه الأغراض المذكورة، وبناءً على ذلك سنسن من وقت لآخر من القوانين واللوائح العادلة، ونقرر من النظم والوظائف ما نعتقده فى مصلحة المستعمرة، وخيرها الشامل، ونتعهد بالخضوع لها وطاعتها.

وإشهادًا على ذلك قد وقعنا فى (رأس كود ــ Cape Cod) فى الحادى عشر من نوفمبر ١٦٢٠م، فى عهد مليكنا ومولانا جيمس، ملك إنجلترا وفرنسا وأيرلندا وسكوتلاندا».

وشاءت الأقدار أن تضل المركب بهؤلاء البيوريتانيين فوصلت شمال فرجينيا، فاعتبروا ذلك نقضًا للاتفاقية مع شركة فرجينيا، وتحرراً لهم من كل قيد سوى الميثاق الشهير الذى تعاهدوا عليه. وفى عام ١٦٢٩م أفلح البيوريتانيون فى الحصول على موافقة الملك شارل الأول على استيطان ماساشوستس، التى توالت عليها سفن المهاجرين الحجاج من البيوريتانيين.

وصل هؤلاء المهاجرون الأوائل إلى أولى المستعمرات (ماساشوستس) فى نيوإنجلاند، واعتبروا أمريكا هى « أورشليم الجديدة »، وشبّهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء فهم بفرارهم من ظلم الملك الإنجليزى جيمس الأول وهروبهم إلى الأرض الجديدة يفعلون تماما مثلما فعل أجدادهم حين فروا من ظلم فرعون وهربوا من مصر بحثًا عن أرض الميعاد، وبالمشابهة . . . وبهذه النظرة الدينية للهجرة ووازعها الدينى

أصبحت مطاردة المهاجرين البروتستانت البيوريتانيين للهنود الحمر فى العالم الجديد، مثل مطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين فى فلسطين !!!. وكان المستعمر البيوريتانى يقتل الهندى الأحمر على أنه كنعانى فلسطينى، وكان يفكر فى عالم دون هنود، مثلما كان العبرانيون يفكرون فى عالم دون كنعانيين[1]، لقد جاء المستعمرون البروتستانت تحركهم تصورات الإسرائيليين القدامى إلى (أرض الميعاد) و(صهيون) و(إسرائيل الجديدة) و (أرض كنعان) وغير ذلك من التسميات التى أطلقت على فلسطين فى أسفار العهد القديم.

وقد عبر عن ذلك الأب البروتستانتى جون كوتون فى موعظته لتأسيس مستعمرة ماساشوستس التى أسسها البيوريتانيون عام ١٦٣٠م بقوله : « إن الرب حين خلقنا ونفخ فينا روح الحياة أعطانا أرض الميعاد أمريكا. وما دمنا الآن فى أرض جديدة فلابد من بداية جديدة للحياة نعمل فيها من أجل مجد بنى إسرائيل، هذا الشعب المختار ».
كان المهاجرون البروتستانت البيوريتانيون الأوائل، وفى المستوطنات الأولى فى نيوإنجلاند ينطقون باللغة العبرية فى صلواتهم، ويطلقون على أبنائهم أسماء يهودية من قصص التوراة مثل : سارا وأليعازر وإبراهام وديفيد. كما أطلقوا أسماء عبرية على مدن كثيرة مثل سالم (شالوم) وكنعان والخليل (هبرون) . وكان أول كتاب طبع فى أمريكا هو (مزامير داود) عام ١٦٤٠م، كما كانت العبرية تدرّس مع بداية التعليم العالى فى كل المستعمرات الأمريكية، وعندما تأسست جامعة هارفارد سنة ١٦٦٣م كانت العبرية هى اللغة الرسمية للجامعة، وقد أنشئت هذه الجامعة بتبرع من الممول جون هارفارد النصرانى الصهيونى بقيمة ١٨٠٠ جنيه استرلينى وبمكتبته الخاصة. إحياءً للعبرية لغة بنى إسرائيل. وكان أحد شروط القبول بالجامعة القدرة على ترجمة النص العبرى للتوراة للغة اللاتينية.

هكذا استقرت النصرانية بالقارة الأمريكية من خلال الهجرة البريطانية على يد الموجات المتعاقبة للبيوريتانيين وغيرهم من البروتستانت الذين هاجروا بدافع إقامة دولة دينية أو بدافع التحرر من سيطرة الكنيسة الإنجليكانية البريطانية، ولم تعتمد الهجرة

(١) رضا هلال : المسيح اليهودى ونهاية العالم. المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا. مكتبة الشروق. القاهرة ٢٠٠١م.

البروتستانتية البريطانية على الحكومة مثل إرساليات الحكومات البرتغالية والأسبانية والفرنسية والمحدودة بالنسبة للهجرة البريطانية، وقد كان النصارى الصهاينة فى تلك الفترة - كما شهد الحاخام لى ليفنجر - أكثر تعصبًا لليهودية من اليهود. وارتكزت أفكارهم على مقولتين هما جوهر عقيدتهم وهما (أرض المعاد) و(الشعب المختار)[١] وهما أساس استعمار أمريكا واستعمار فلسطين. وهما مبررا حرب الإبادة ضد الهنود وتهجيرهم وتصبح اللاهوت العلمانى الذى يلهب الثوار بالنار المقدسة للثورة على الإنجليز من أجل الاستقلال. فالشعب المختار الجديد (الأمريكى) فى إسرائيل الجديدة (أمريكا) لابد أن يقتلع نفسه من عبودية مصر (إنجلترا) ويقضى على الفلسطينيين (الهنود)، فلا عجب مما قاله وزير الخارجية الأمريكى، وهو يقدم شيكا لمساعدة إسرائيل لاستكمال برنامجها النووى فى أعقاب حرب الخليج الأولى مخاطبًا اليهود فى إسرائيل مؤكدًا أن أوجه الشبه متطابقة فى حال الأمريكيين وحال اليهود، فقد جاء كل منهما إلى الأرض الجديدة يحملون مشعل الحضارة والمدنية والتنوير، وقد قاوم كل منهما إرهاب المتخلفين من الهنود الحمر البدائيين الذين كانوا يرفضون التقدم والحضارة، هكذا إسرائيل التى تحمل مشعل الحضارة والتقدم فى الشرق الأوسط وتلقى المقاومة والإرهاب من المحيطين بها. ونفس هذا المعنى أعرب عنه الرئيس كارتر حيث أكد علاقة التماثل بين أمريكا وإسرائيل فى حديث ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلى فى مارس عام ١٩٧٩ م حين قال: إن كلتا الدولتين أقامهما رواد مهاجرون من شعوب شتى وأنهما يتقاسمان معا ميراث التوراة[٢].

النصرانية الصهيونية الأمريكية (أفكار وكنائس جديدة) :

مع نهاية القرن الثامن عشر واجهت المؤسسات الدينية الأمريكية تحديات عظمى كادت تعصف بالمعتقدات الدينية أصلاً، بعد أن ولى ظهر البيوريتانيين وهيمنتهم على الفكر الأمريكى، وقامت الثورة الأمريكية التى انتهت بإعلان الاستقلال الأمريكى،

---

(١) رضا هلال : المسيح اليهودى (مرجع سابق).
(٢) رضا هلال : المسيح اليهودى (مرجع سابق).

وقامت فى أعقابها حركة عقلانية معادية للنصرانية، هاجمت الإحياء التوراتى، ومثلت تيارًا قويًا من الحداثة، واعتبرت الدين التقليدى مجموعة من الخرافات، وأطلق عليه (إمبراطورية الخرافة)، كما كانت هناك موجات جديدة من المهاجرين مختلفى الاتجاهات ترد يوميًا، مثلت تهديدًا للاعتقاد الدينى الأمريكى، وكرد فعل لتلك التحديات العاتية ظهرت اتجاهات مضادة وهو ما أدى إلى دخول أمريكا ما أسماه المؤرخون (الصحوة الدينية العظمى الثانية) حيث ظهرت العديد من المؤسسات الدينية النشطة مثل (الجمعية الأمريكية للكتاب المقدس) ١٨١٦م، و(الاتحاد الأمريكى لمدارس الأحد) ١٨٢٤م لنشر ويرويج توزيع الكتاب المقدس، وبناء الكنائس والمدارس والجامعات اللاهوتية، وزادت الحملات الدينية الوعظية. وفى هذا المناخ الذى يموج بالأضداد وتفاعلاتها بالمجتمع قد أفرزت العديد من الاتجاهات أوالكنائس الجديدة التى اختلفت اتجاهاتها، ولم تتفق فيما بينها إلا على شىء واحد، وهو خدمة الأفكار والمعتقدات الصهيونية، وتمجيد اليهود.

ومن التيارات التى ظهرت فى هذه الفترة كنيسة سبتية اليوم السابع ذات الصبغة اليهودية والمنبثقة من العقيدة الميللية (الألفية) ولكن طبعتها إيلين هارمون وايت (١٨٢٧-١٩١٥) بطابع أمريكى، إذ اعتبرت أن العالم يعيش فى الدينونة التى بدأت ١٨٤٤م، وأن المسيح منذ ذلك التاريخ قد دخل قدس الأقداس لتطهير خطايانا، فكانت ترى أن سفك دم المسيح على الصليب ليس كافيًا لتحقيق الكفارة الكاملة، ويجب دوام الكفارة طالما وجد وقت للامتحان والتجربة. وتتضمن عقيدة سبتية اليوم السابع أن المسيح لدى عودته سيكمل الكفارة بالقضاء على كل الشياطين والكفار، وأن الخلاص سيشمل ١٤٤ ألفًا من هؤلاء السبتيين [١].

ومثل كنيسة سبتية اليوم السابع اصطبغت كنيسة الخمسينية (Pentecostalism) بصبغة يهودية، وتعود العقيدة الخمسينية إلى عيد الخمسين أو العنصرة عند النصارى، وهو عيد الحصاد عند اليهود، ويحتفل به فى يوم الخميس التالى لعيد الفصح، وعندما أخذ يوم الخمسين عند اليهود كان ذلك لأن (الروح القدس) ظهر لحواريى المسيح

(1) Harold Bloom : The American Religion . New York, Simon&Schuster.1992.

كألسنة منقسمة من نار، واستقرت على كل واحد منهم فامتلئوا جميعًا من الروح القدس، وبدءوا يتكلمون بألسنة أخرى (أعمال الرسل ١ : ٢ـ١)، ويرى الصهاينة أن أول صلاة تقام فى هيكل سليمان بعد إعادة بنائه على أنقاض المسجد الأقصى ستكون صلاة عيد الحصاد، ويعتبر عام ١٩٠١م هو عام ولادة العقيدة الخمسينية بتوبيكا بولاية نبراسكا على يد شارلز فوكس بارهام، أما عام ١٩١٤م فهو عام تأسيس الكنيسة الخمسينية بلوس أنجلوس، وقد أصبح لهذه الكنيسة دورٌ وتأثير كبيران على الأميركيين وخدمة الأفكار الصهيونية وخدمة إسرائيل فى النصف الثانى من القرن العشرين كما سنوضح ذلك بمشيئة الله لاحقًا.

وعقيدة شهود يهوه وهى الحركة الأكثر تطرفًا للصهيونية والمنبثقة عن سبتية اليوم السابع، وقد نشأت على يد شارلز تاز راسل (١٨٥٢ - ١٩١٦) بولاية بنسلفانيا عندما نشر راسل كتابه الأول (العوالم الثلاثة أو مخطط الفداء) وقال : إن نهاية العالم ستكون عام ١٩١٤م، مستندًا على مجموعة من الحسابات ساقها من العهد القديم، وقال : إن فى هذا العام ١٩١٤م تنتهى أزمنة الأمم ويرفع غضب الله عن اليهود ويصبح لزامًا عليهم العودة لفلسطين لإنشاء دولة يهودية، ولم تكن نهاية العالم كما تنبأ راسل ولكن كانت الحرب العالمية الأولى، وبعد موت راسل تولى الحركة من بعده جوزيف رذرفورد حتى عام ١٩٣٨م وأطلق عليها اسم (شهود يهوه) واشتق الاسم من عبارة بسفر أشعيا « أنتم شهودى يقول يهوه ». وبالرغم من أن كنيسة شهود يهوه تعتبر نصرانية إلا أن الشهود ينكرون لاهوت المسيح وينكرون عقيدة التثليث، كما ينكرون قيامة المسيح بالجسد، بل يعتقدون بأن المسيح هو ابن يهوه، وأن رسالته ليست تطهير البشر وإنما الاحتفاء بقوة يهوه وتأكيد سلطته، وأن موت المسيح هو أبدى ونهائى. كما يعتقد الشهود بأن الدينونة بدأت عام ١٩١٤م، وأن العالم فى انتظار مسيح نهاية الزمان المنتظر، وهو ليس المسيح عيسى بن مريم.

ومن التيارات التى وفدت وانتشرت بأمريكا وكانت لافتة للنظر، حركة أسمها (الألفية التدبيرية)، وهى حركة أرسى قواعدها اللاهوتى جون نيلسون داربى (١٨٠٠ - ١٨٨٠)، الذى رأى أن عالم ما قبل الألفية محكوم بتدبيرات إلهية على مراحل، لأن الرب يسير التاريخ البشرى إلى نهايته معتمدًا على ما ورد فى سفر دانيال (٩ : ٢١ـ٢٧)

: « وأنا متكلم بعد الصلاة، إذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مُطاراً واغفا لمسنى عند وقت تقدمة المساء وفهّمنى وتكلم معى وقال : يا دانيال إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم. فى ابتداء تضرعاتك خرج الأمر، وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت المحبوب. فتأمّل الكلام وافهم الرؤيا. سبعون أسبوعًا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكتمل المعصية وتتم الخطايا، ولكفارة الإثم ولتؤتى بالبر الأبدى، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا. يعود ويبنى سوقًا وخليجاً فى ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعا يُقطع المسيح وليس له، وشعب رئيس آرت يخرب المدينة والقدس، . . . . إلخ)[1].

وعلى ما ورد بسفر حزقيال (٦ : ٤) : «واتكئ أنت على جنبك اليسار، وضع عليه إثم بيت إسرائيل. على عدد الأيام التى فيها تتكئ عليه تحمل إثمهم، وأنا قد جعلت لك سنى إثمهم حسب عدد الأيام، ثلاثمئة يوم وسبعين يومًا، فتحمل إثم بيت إسرائيل. فإذا أتممتها، فاتكئ على جنبك اليمين أيضًا، فتحمل إثم بيت يهوذا أربعين يومًا. فقد جعلت لك كل يوم عوضًا عن سنة. فجمع بين النصين وخرج بهذه العملية الحسابية : من دانيال هناك ٧٠ أسبوعًا، ومن دانيال اليوم يعادل سنة، وبذلك أصبحت السبعون أسبوعا ٤٩٠ سنة تبدأ منذ إعادة بناء الهيكل بعد عودة اليهود من السبى البابلى، أى قبل ٤٨٣ سنة من ميلاد المسيح، وبالتالى فمن المفترض أن ينتهى التاريخ بعد ٧ سنوات من ميلاد المسيح، إلا أن اليهود الذين يرون أنهم شعب الله المختار رفضوا يسوع المسيح، ومنذ ذلك التاريخ أصبح التاريخ الإنسانى فاسداً ولم يبرح تلك السنوات السبع التى مازال العالم يعيشها إلى اليوم. ولكن المسيح سيعود باعتبار ذلك تدبيراً إلهيًا بعد أن تنتهى مرحلة السنوات السبع التى فسد فيها الإنسان وتوقف التاريخ، وستكون النهاية بمعركة هرمجدون قبل المجىء الثانى للمسيح، وستكون من علامات نهاية التاريخ عودة اليهود من الشتات إلى فلسطين، فيحكمون فيها ويتحكمون.

---

(١) النص منقول من العهد القديم بما فيه من أخطاء فى اللغة العربية، وهذه أخطاء متعمدة ضمن مخطط لإضعاف اللغة العربية لغة القرآن الكريم والقضاء عليها وعلى ناطقيها ودين ناطقيها.

تأثر اللاهوتى المشيخى (جيمس إتش بروكز) بتدبيرية داربى، وأصبح أهم لاهوتيّى الألفية التدبيرية، وقام بنشر أولى كبريات الدوريات النصرانية الصهيونية الأمريكية (الحقيقة من أجل المسيح . (The Truth for the Christ) ومن الشخصيات بالغة الأثر فى نشر الفكر النصرانى الصهيونى بأمريكا المهاجر الألمانى (أرنو سى جيبليان (١٨٦١ - ١٩٤٥م) حيث أصدر بنيويورك عدداً من الصحف بالإنجليزية للترويج للأفكار الصهيونية ومخططاتها [١] .

نظرية المصير المبين :

وفى عام ١٨٥٦م صاغ جون أوسوليفان نظرية (المصير المبين) التى تقول بأن الرب قد قدّر للشعب المختار (الأمريكى) بالأرض الجديدة (أمريكا) أن يقود العالم إلى نهاية التاريخ، وأن المستقبل سيكون عصر العظمة الأمريكية بلا قيد أو شرط .

وقاد الاعتقاد بهذا المصير الصهيونى المبين إلى فتح القارة الأمريكية حتى انتهوا إلى أقصى الغرب وفتح القارة بكاملها بنهاية القرن التاسع عشر، وسوّغت هذه النظرية إبادة الهنود الحمر واستعباد الزنوج وأدى اعتناقها إلى ضم فلوريدا وتكساس و نيومكسيكو وكاليفورنيا وألاسكا وهاواى ولويزيانا . ومع استهلال القرن العشرين يتحول المصير المبين إلى إمبريالية عالمية أى استعمار شعوب أخرى بدعوى نقل الحضارة النصرانية إليها فى الفلبين وكوبا وبنما وفيتنام، ثم بدعوى نقل الديمقراطية ومحاربة الإرهاب . بيد أن أهم ما أرساه البيوريتانيون فى العالم الجديد هو إرساء فكرة (العهد) على غرار (العهد بين موسى ويهوه) . فهم قد نظروا إلى أنفسهم من منطلق خاص بهم، فعلى غرار خروج اليهود من مصر ورحيلهم إلى أرض جديدة وعدهم بها الرب كما هو بالعهد القديم، نظر البيوريتانيون إلى أنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، وللعالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة . لقد عقدوا عهدهم مع الرب : «إذا أمّن الرب ذهابنا إلى العالم الجديد، سنؤسس مجتمعًا تحكمه القوانين الإلهية » .

Harold Bloom : The American Religion, New York Simon&Schuster,1992

وشبّه جون و نثروب أول حاكم لمستعمرة ماساشوستس، بأنها المدينة الفاضلة وهى مثال يحتذى به العالم. والحقيقة وكما يقول رضا هلال أن فكرة العهد بين البيوريتانيين والرب أثرت جذريًا فى التفكير الأمريكى الدينى والمدنى وفى النظام الاجتماعى دينيًا وسياسيًا. فالأمريكيون غالبًا ما يرون أنفسهم مكلفين بمهمة خاصة من الرب، بأن يكونوا مثالا يحتذى فى سائر أنحاء العالم، ومن خلال مقولة المصير المبين، التى تعنى أن مصير أمريكا الذى قدره الرب هو تحضير العالم لتنفيذ خطة الرب نجد ظهور بعض المصطلحات مثل (الإمبريالية التقدمية) أى استعمار شعوب أخرى لنقل التقدم إليها، ونشر النصرانية الصهيونية البروتستانتية إليها، أو مبدأ تحسين العالم الذى كان خلال عهدى كنيدى وجونسون، أو الدعاوى الكذوبة لحقوق الإنسان خلال عهدى كارتر وكلينتون، إلى مبدأ نشر الديمقراطية بالقوة، وتخليص العالم من الإسلام الذى وصموه ظلما بالإرهاب، وتنصيب أمريكا القوة البوليسية المهيمنة والمسيطرة على العالم، بحيث تكون رغباتها هى رغبة العالم، ومصالحها هى مصالح الديمقراطية، وأمن إسرائيل ومساندتها فى التنامى والتمادى فى إبادة العرب هو غاية الغايات، مرورًا باحتلال العراق ونهب ثرواته تنفيذًا لمشيئة الرب والتزاما بالعهد اللاهوتى البيوريتانى.

تأثر الشكل الديمقراطى الأمريكى بالديمقراطية البيوريتانية الكنسية، إذ كانت كل أبرشية تختار قسها، وترتبط جميع الأبرشيات بتنظيم كنسى تتمتع فيه كل أبرشية باستقلال ذاتى، وقد أثرت الأبرشية على مفاهيم ونظم الديمقراطية الأمريكية إذ أنه وفقًا للعهد البيوريتانى يقوم أعضاء الكنيسة بانتخاب الحكومة، ولكى يتمتع المرء بالعضوية الكاملة بالكنيسة عليه أن يظهر سموًا روحيًا، وإجلالاً للمفاهيم الصهيونية، وعملاً بالتعاليم الكلفينية [١] فإن بعض الأفراد قد اختارهم الرب دون غيرهم لتلقى النعمة الإلهية، ولذلك يتعين عليهم العمل بما يأمرهم به الرب كالتزام مقدس.

---

(١)جون كلفين (١٥٠٥ ـ ١٥٦٤م) سبق ذكره وتناول أفكاره المتشددة بالغة التعصب للصهيونية النصرانية، وهو صاحب كتاب مبادئ الدين المسيحى، ومؤسس مدينة الله، وهو من صاغ قوانين الكنيسة البروتستانتية البيوريتانية.

محاولات النصارى الصهاينة بأمريكا لإقامة دولة لليهود:

إحياءً لفكرة الصهيونية قامت فى الولايات المتحدة محاولة حقيقية لإقامة دولة يهودية بأمريكا، وقد قام بها أحد اليهود الأمريكيين يدعى « موردخاى نوح » الذى أصاب نجاحًا كبيرًا كصحفى وكاتب مسرحى وسياسى، وأصبح قنصلاً للولايات المتحدة فى تونس، وفى طريقه إلى تونس، توقف فى باريس عام ١٨١٥م، حيث التقى آباجريجوار الذى أخبره بعودة « السنهدريم » فى باريس على يد نابليون بونابرت، وفى تونس تألم للظروف التى يعيش فيها اليهود هناك، ودفعه ذلك للعمل من أجل شعبه لدى عودته للولايات المتحدة. فأعلن نفسه كبير قضاة إسرائيل، ودعا الى إقامة دولة يهودية فى « جراند آيلاند » على نهر نياجرا بين شلالاته المعروفة فى نيويورك، ووفقا للخطة طلب مساعدة أعضاء سنهدريم باريس لكى تحصل الدولة اليهودية على الشرعية الدولية، وخطط نوح من أجل الحصول من المجلس التشريعى لولاية نيويورك على قانون لإقامة الدولة اليهودية تحت اسم « آرارات » بالرغم من أن المجلس التشريعى للولاية أكد أن قانون الولاية يؤمن حقوق اليهود الذين يريدون استيطان الجزيرة. وقد أوضح نوح أنه لا يريد إقامة دولة يهودية إلى الأبد فى جزيرة « جراندآيلاند » وأن نيته أن تكون جراند آيلاند مكانا لليهود الذين سيجتمعون فيه من كل أنحاء العالم، تمهيداً لنقلهم إلى فلسطين، التى كانت وقتئذ تحت الحكم العثمانى.

وبالرغم من جهوده وإعلانات النوايا التى أوضحها نوح فإن الدولة اليهودية فى «آرارات» ما سقطت بمجرد قيامها، فقد أقيم احتفال كبير فى بافلوا لوضع حجر أساس الدولة إلا أن « سنهدريم » باريس اعتبر آرارات مشروعًا عقاريا أمريكيا وأن المسيح عندما يأتى سيكون قادرًا على تأسيس الدولة اليهودية، وظلت معارضة اليهود لإقامة دولة يهودية قبل مجىء المسيح، حتى بداية الحركة الصهيونية اليهودية مع نهاية القرن التاسع عشر. ورغم سقوط دولة آرارات قبل أن تقوم إلا أن فكرة « البعث اليهودى » ظلت الصهيونية تغذيها حتى لا تموت فى الأذهان.

يعتبر ويليام بلاكستون (١٨٤١ـ ١٩٣٥) الرحالة والمبشر الإيفانجيلى واحداً من أبرز النصارى الصهاينة الأمريكيين. ولد لأسرة صهيونية نصرانية من أتباع الكنيسة المنهجية، ومنذ صباه شغف بقراءة العهد القديم و تتبع ما فيه من تنبؤات عن مجىء

المسيح، وقد أصاب ثروة ضخمة من صناعة الإنشاءات واستثمارات أخرى، ويقول رضا هلال : إنه اعتقد أن تلك الثروة لم تعط له لغير غاية واحدة أخذها على عاتقه وهى المجىء الثانى للمسيح. وانطلاقا من هذه العقيدة تزعّم حركة لإعادة اليهود إلى فلسطين، وبدأ حركته بكتابه « يسوع قادم » الذى نشر عام ١٨٧٨ م، وكان له أثر كبير فى البروتستانتية الأمريكية « الإيفانجيلية » إذ بيع منه أكثر من مليون نسخة وترجم إلى ٤٨ لغة، بما فى ذلك اللغة العبرية، وهو أكثر الكتب المتعلقة بعودة المسيح انتشارا.

قام بلاكستون بزيارة لفلسطين حاجا إلى الأراضى المقدسة برفقة ابنته عام ١٨٨٨م، وتمخضت زيارته عن الشعار الذى استغلته الصهيونية اليهودية بعد ذلك استغلالا بالغ الفعالية قال : إن ما أفزعه وابنته « الشذوذ المتمثل فى أن فلسطين هذه تركت هكذا أرضًا بغير شعب بدلا من أن تعطى لشعب بغير أرض ».

وفى سنة ١٨٩١م تقدم بلاكستون بـ« عريضة » إلى الرئيس الأمريكى بنيامين هارسيون مطالبًا بتدخل أمريكا لإعادة اليهود إلى فلسطين، وجمع على العريضة توقيعات ٤١٣ من كبار الأمريكيين البارزين، وجاء فى العريضة :

« . . . طبقا لتوزيع الرب أرضه على الأمم، تظل فلسطين (وطن اليهود) وتظل ملكا لهم غير قابل للتصرف، طردوا منه بالقوة الغاشمة، وعندما كانوا يفلحونها كانت فلسطين أرضا مثمرة أقامت أود ملايين عديدة من بنى إسرائيل الذين عملوا بكد فى وديانها وعلى سفوح تلالها، فلقد كانوا أمة زراعية منتجة بقدر ما ظلوا أمة ذات باع تجارى عظيم، وكانوا مركز الحضارة والدين، فلم لا تضطلع الدول الكبرى التى أعطت بلغاريا للبلغار وصربيا للصرب بإعادة فلسطين لليهود؟!

وفى هذا السياق قدم بلاكستون عريضته إلى الرئيس هاريسون مشفوعة باستشهاد من العهد القديم عن الملك الفارسى فورش، الذى جعله آشعيًا » مسيح الرب يهوه «، وقال : » إن يهوه بارك « مسيحه قورش الذى أمسك بيده وداس أمامه أمما وسحق ملوكًا، وفتح أمامه المصاريع وجعل الأبواب لا تغلق و أعطاه ذخائر الظلمة وكل كنوز الأرض الخبيئة.

إن ترابط الدافع الدينى فى أمريكا (عودة اليهود إلى فلسطين انتظارا لمجيء المسيح) مع دافع التخوف من الهجرة اليهودية إلى أمريكا، خاصة الهجرة اليهودية الفقيرة من روسيا سيجعل من النصرانية الصهيونية أكثر تشدداً من صهيونية هيرتزل اليهودية، بل إن الصهيونية اليهودية ستجد فى اللاهوت البروتستانتى والعقيدة الميللية لدى النصرانية الصهيونية السند «العقائدى» الذى جعل من الصهيونية اليهودية » حركة قومية « هدفها إعادة » الشعب اليهودى « إلى » أرضه « فلسطين، أى إحلال دولة يهودية محل الفلسطينيين الموجودين فى فلسطين ».

فهرتزل عندما طرح أفكاره أولاً على الحكومة البريطانية لإقامة دولة يهودية اقترحت بريطانيا إقامة الوطن اليهودى فى العريش، على الحدود المصرية، ولم يعترض هرتزل ثم طرحت بريطانيا فكرة إقامة ذلك الوطن فى قبرص، ثم فى أوغندا، ولم يبد هرتزل تمسكًا بأن يكون ذلك الوطن فى فلسطين، لكنه تمسك بوجوب إنشاء دولة يهودية على أى أرض يمكن للدول الكبرى وبخاصة بريطانيا أن تمكّن الحركة الوليدة من إقامة دولتها عليها.

أما النصارى الصهاينة وعلى رأسهم ويليام بلاكستون فقد اتخذوا موقفا متشدداً وانتقدوا الموقف المتساهل لهرتزل والمؤتمر الصهيونى الأول فى بازل عام ١٨٩٧ م بشدة حتى إن بلاكستون أرسل إلى هرتزل (الذى يعتبرونه مؤسس الحركة الصهيونية اليهودية) نسخة من العهد القديم وقد حدّد صفحات منها مشيراً إلى الفقرات التى عين فيها النبيون فى نبوءاتهم فلسطين تحديداً بأنها « الوطن المختار للشعب المختار ».

الموقف الأمريكى من وعد بلفور:

وبمناسبة وعد بلفور، أصدرت ثلاثون شخصية يهودية مرموقة فى الولايات المتحدة بيانًا جاء فيه : فى الوقت الذى تطرح فيه مسألة نظام الحكم المستقبلى فى فلسطين أمام مؤتمر السلام المقبل، نحن الموقعين أدناه من المواطنين الأمريكيين، نعلن بصوت واحد معارضتنا لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين وفقا لاقتراحات المنظمات الصهيونية هنا وفى أوروبا كما أننا نعترض على عزل اليهود عن مجتمعاتهم وتمييزهم ككيانات قومية

فى البلاد التى يعيشون فيه . ونشعر بأننا نعبر عن آراء أفراد الأغلبية فى الجالية اليهودية فى أمريكا سواء من ولد هنا أو فى بلاد أخرى، لكنهم عاشوا هنا فترة طويلة وانخرطوا تمامًا فى المجتمع الأمريكى سياسيا واجتماعيًا .

و تعبر مذكرة وزير الخارجية روبرت لانسنج إلى الرئيس وودر ويلسون فى ١٣ ديسمبر سنة م١٩١٧ ، عن معارضة يهودية ونصرانية، كما يبين نص المذكرة :

« عزيزى الرئيس

هناك ضغط كبير لإصدار بيان حول الموقف الذى ستتخذه هذه الحكومة تجاه فلسطين وهذا نابع من العنصر الصهيونى لليهود، أرى أن علينا أن نتلكأ فى إعلان سياسة لثلاثة أسباب :

أولها : إننا لسنا فى حال حرب مع تركيا، ولذا فعلينا أن نتحاشى كل ما من شأنه أن يظهر أننا نؤيد أخذ أراض بالقوة منها .

وثانيها : أن اليهود ليسوا جميعا راغبين فى إعادة جنسهم كشعب مستقل، ومن غير الحكمة تفضيل فريق على آخر .

وثالثها : أن كثيرًا من الفرق المسيحية والمسيحيين سيغضبون حتما إذا وضعت الأرض المقدسة تحت السيطرة المطلقة للجنس الذى يعزى إليه موت المسيح .

ولأسباب عملية لا أرى ضرورة الذهاب إلى أبعد من السبب الأول فهو كاف لتجنب إعلان سياسة حول وضع فلسطين النهائى » .

ولكن الرئيس وودرويلسون تجاهل رسالة وزير خارجيته وصادق رسميًا على وعد بلفور فى برقية أرسلها (الكولونيل هاوس) مستشار الرئيس ويلسون إلى وزارة الحرب البريطانية فى ١٧/ ١٠/ ١٩١٧م، وفى الرسالة التالية التى بعث بها الرئيس ويلسون إلى زعيم الصهيونية الأمريكية الحاخام ستيفى وايز يقول :

« راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البناء الذى قامت به لجنة وايزمان فى فلسطين بناء على طلب الحكومة البريطانية و اغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذى أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة والدول الحليفة منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته عن موافقتها على إقامة وطن قومى لليهود فى

فلسطين ووعده بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف مع الحرص على عدم القيام بأى عمل يلحق الأذى بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود فى فلسطين أو حقوق اليهود ووضعهم السياسى فى دول أخرى . »

وتدلل ريجينا الشريف على أن مصادقة ويلسون على وعد بلفور نابعة عن اعتقاده النصرانى الصهيونى، فهو من أبوين منتميين للكنيسة المشيخية، ونشأ على الإيمان بالأسطورة الصهيونية ولو من الناحية الروحية وقد وفرت له تلك التعاليم رصيداً غير مباشر من المشاعر والأفكار التى تركت أثراً على موقفه المستقبلى من الحركة الصهيونية وأهدافها . وكانت تصريحاته العلنية والسرية وكذلك قراراته عن فلسطين نابعة من مشاعره الذاتية الصهيونية لا من اعتبارات السياسة الواقعية .

لقد كان ويلسون صهيونيًا عن اقتناع ذاتى وقد تبدو صهيونيته متعارضة مع نقاطه الأربع عشرة الشهيرة التى وردت فى خطابه أمام مؤتمر باريس للسلام، وتضمنت تلك النقاط رفض مبدأ الحصول على الأرض بالقوة و إدانة الاتفاقيات السرية، والمطالبة بحق تقرير المصير للشعوب، وتأمين الفرصة للأقليات غير التركية فى الإمبراطورية العثمانية للتطور الذاتى .

ويقول رضا هلال[1] : إن صهيونية ويلسون لم تكن إلا امتداداً لصهيونية شاملة سادت المجتمع الأمريكى وقت إعلان وعد بلفور حسب دراسة تشارلز إسرائيل جولد بات التى أثبت فيها من خلال تحليل الصحافة الأمريكية وقتئذ أن الرأى العام الأمريكى كان يؤيد بشدة وعد بلفور لدرجة أن المشاعر المعادية للصهيونية التى أمكن استشفافها فى الصحافة كانت فقط تلك المنبثقة عن تصريحات صادرة عن شخصيات يهودية معادية للصهيونية . ويشير روبن فنك إلى أن موافقة الكونجرس على وعد بلفور جرت بشكل مذهل وبمضمون صهيونى وعبرانى . ويورد فنك شهادة فى الكونجرس كمثال لصهيونية الكونجرس المبكرة يقول فيها ويليام أى كوكس ممثل إنديانا : كما خلص موسى الإسرائيليين من العبودية فإن الحلفاء الآن يخلصون يهودا من أيدى الأتراك القبيحين، وهى الخاتمة الملائمة لهذه الحرب العالمية . إن يهودا يجب أن تقوم كأمة

---

(١) رضا هلال : المسيح اليهودى ونهاية العالم . (مرجع سابق) .

مستقلة وتكون لها القوة لتحكم نفسها وتتقدم وتكمل مثالياتها فى الحياة، إننى أحس أننى أعبر عن أفكار الشعب الأمريكى، وبالتأكيد عن أفكار أولئك الذين بحثت معهم هذا الموضوع وهو أن حكومة الولايات المتحدة يجب أن تمارس سلطاتها الملائمة لرؤية هذه الدولة اليهودية تقوم لتنبثق منها تعاليم ومبادئ يهودا القديمة.

وتورد ريجينا الشريف خطابًا لرئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب هنرى كابوت لودج ألقاه فى بوسطن عام ١٩٢٢ وقال فيه: «يبدو لى أنه أمر مناسب وجدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودى فى كل أنحاء العالم فى أن يكون لأفراد جنسه الراغبين الحق فى العودة إلى الأرض التى كانت مهدا لهم والتى عاشوا وجاهدوا فيها آلاف السنوات.. إننى لم أحتمل أبدا فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين.. إن بقاء القدس وفلسطين المقدسة بالنسبة لليهود والأرض المقدسة بالنسبة لكل الأمم المسيحية الكبرى فى الغرب فى أيدى الأتراك كان يبدو لى لسنوات طويلة وكأنه لطخة فى جبين الحضارة من الواجب إزالتها.

ولا يخفى من الخطاب أن لودج لم يكن فقط نصرانيًا صهيونيًا بل ومعاديًا للمسلمين الذين أطلق عليهم اسم (المحمديين). وهذه الكراهية والغل الأسود من سمات الصهيونية بنصرانيتها ويهوديتها، وإذا اطلعت على أى نشرة أخبار لشاهدت الكراهية متجسدة فى المذابح التى يتعرض لها الفلسطينيون.

ومنذ أن وافق الرئيس ويلسون على وعد بلفور التزم خلفاؤه فى الرئاسة بالموقف الصهيونى وأظهروا تعاطفًا مع الحركة الصهيونية وأهدافها فى فلسطين.

وقد عبر خلفه الرئيس وارن هاردنج عن موقفه الصهيونى بوضوح فى الأول من يونيو عام ١٩٢١ بقوله «إنه يستحيل على من يدرس خدمات الشعب اليهودى ألا يعتقد أنهم سيعادون يوما إلى وطنهم القومى التاريخى حيث يبدءون مرحلة جديدة بل مرحلة أكبر من مساهمتهم فى تقدم الإنسانية، وعبر هاردنج كذلك عن تأييده الشديد لصندوق إنشاء فلسطين فى عام ١٩٢٢. كما وافقت أمريكا فى عهد هاردنج على الانتداب البريطانى على فلسطين، وأصدر الكونجرس قرارا رسميا بذلك وقعه هاردنج فى منتصف عام ١٩٢٢م.

ثم جاء الرئيس كالفين كولدج و أكد فى عام ١٩٢٤ إيمانه بـ «الوطن القومى

اليهودي في فلسطين » ومن بعده هنأ الرئيس هربرت هوفر في عام ١٩٢٨ الحركة الصهيونية على إنجازها العظيم في فلسطين مرددا فكرة البعث اليهودي في فلسطين.

أما الرئيس فرانكلين روزفلت الذي مال في البداية إلى موقف براجماتي يأخذ في الاعتبار مصالح أمريكا مع الدول العربية فإنه خضع في النهاية للضغط الصهيوني (النصراني اليهودي). خاصةً بعد تأسيس « اللجنة الأمريكية الفلسطينية » التي ضمّت ٢٠٠ من أعضاء مجلس النواب و٦٨ من أعضاء مجلس الشيوخ. وضغطت اللجنة لتأييد برنامج مؤتمر بلتيمور عام ١٩٤٢ بإقامة كومنولث يهودي فلسطيني[١].

وفي عام ١٩٤٢ أيضا عقد المؤتمر الصهيوني العالمي دورة استثنائية في نيويورك واتخذ قرارا بتحويل فلسطين إلى دولة يهودية، وإجلاء سكانها العرب، وهذا القرار حصل على تأييد من الحزبين الديمقراطي والجمهوري في مؤتمريهما اللذين عقداهما لانتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٤٤م[٢] ولذلك أعلن روزفلت في برنامجه الانتخابي عام ١٩٤٤ أنه يحبذ فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية غير المقيدة واستيطانها، وأنه يحبذ أي سياسة تؤدي إلى إقامة كومنولث يهودي ديمقراطي حر، وأنه على يقين بأن الشعب الأمريكي سيؤيد هذا الهدف وإذا ما أعيد انتخابه فسيساعد على تحقيق هذا الهدف.

ولكن الهدف الصهيوني (النصراني اليهودي) تحقق في عهد الرئيس هاري آس ترومان الذي تولى الرئاسة نتيجة وفاة روزفلت في ١٢ من إبريل عام ١٩٤٥ فما إن تولى ترومان الرئاسة حتى أصدر بيانًا جاء فيه أن وجهة النظر الرسمية الأمريكية من فلسطين هي السماح بدخول أكبر عدد من اليهود إليها قدر الإمكان، حتى يمكنهم من قيام دولة هناك. ولم يكتف ترومان بقبول قرار التقسيم عام ١٩٤٧ بل طلب ممارسة الضغط على الحكومات الأخرى بالتصويت على التقسيم، ولما نشب القتال في فلسطين بين أهلها العرب والمستوطنين اليهود الذين مهدت لهم إنجلترا الانتقال إلى فلسطين نال اليهود من أمريكا أول مساعدات عسكرية مباشرة وعاجلة، فقدموا لهم

---

(١) رضا هلال : المسيح اليهودي ونهاية العالم. مرجع سابق

(٢) محمد علي دوله : مقدمة كتاب أمريكا وإسرائيل (دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل. للدكتور محمد معروف الدواليبي. دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت ١٩٨٩م.

الأموال والتأييد الإعلامى الهائل بجميع وسائل الإعلام، ونقلت الطائرات الأمريكية السلاح لليهود عن طريق (براغ)، وحملت باخرة اسمها (الطائرة) ٥٤ دبابة أفرغتها فى ميناء حيفا بمساعدة الإنجليز تحت ستار أنها جرّافات زراعية. وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ م أعلن ترومان اعترافه بالدولة اليهودية المقامة حديثًا بعد إعلان قيامها بدقائق.

إن قرار ترومان باعتراف أمريكا بالدولة اليهودية كان متمشيا مع خلفيته النصرانية المتهودة فى لحظة أوج النصرانية الصهيونية فى أمريكا. فترومان كان معمدانيًا محافظًا وتعتقد المعمدانية المحافظة فى العصمة الحرفية للكتاب المقدس ويعتبر أنصارها أن إقامة دولة يهودية هى برهان واضح على تحقيق النبوءات التوراتية.

ويذكر موشى ديفز فى كتابه « أمريكا والأرض المقدسة » أنه عندما قدم ترومان فى معبد لاهوتى يهودى للمحاضرين على أنه الرجل الذى ساعد على خلق دولة إسرائيل. فرد ترومان قائلا : إننى قورش. . إننى قورش. ومن ذا الذى ينسى أن قورش هو الذى أعاد اليهود من منفاهم فى بابل إلى القدس. ولم ينس اليهود خدمات ترومان الجليلة فقد زاره وفد من يهود أمريكا يتقدمهم كبير الحاخامات وكان مما قاله له: « إن الله وضعك فى رحم أمك لتولد على يديك إسرائيل من جديد، بعد ألفى عام ».

والجدير بالذكر أنه فى أواخر الحرب العالمية الثانية قبل توقيع ألمانيا لوثيقة الاستسلام اجتمع ستالين مع تشرشل وروزفلت بمالطة، حول ستالين موضوع الوعد بإنشاء مسكن وطنى يهودى فى فلسطين من غير إضرار بالحقوق العربية الوطنية إلى مشروع إقامة دولة يهودية، وكما جاء نقلا عن ابن جوريون أن ستالين قال: « إن الاتحاد السوفييتى يتبنى حماية هذه الدولة ». وهذا ما حمل يهود أمريكا من أعضاء لجنة القنبلة الذرية من مقابلة موقف ستالين بتسريب أسرار صناعة القنبلة الذرية من قِبَل (روزنبرج) اليهودى الذى حوكم على خيانته ثم أعدم[1].

ولا يمكن أن ننكر أن راية النصرانية الصهيونية قد انتقلت من أوروبا إلى أمريكا مع عدم انقطاع الدعم الكامل للدولة اليهودية ولكن تحت ريادة الصهيونية الأمريكية، ومسايرة سياستها الخارجية والرضا بالتبعية وما يلحقها من مذلة التابع.

---

(١) محمد معروف الدواليبى : أمريكا وإسرائيل دراسة لدور الفكر الدينى فى الدعم الأمريكى لإسرائيل. دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت. ١٩٨٩ / .

الفصل السابع

الأكذوبة الكبرى

(من النيل إلى الفرات أرض إسرائيل)

إنهم يسرقون التاريخ :

بعد أن سقنا من قبل النصوص المليئة بالرؤى والأوهام والنبوءات والأساطير المكونة للصهيونية التى يقدسها النصارى الصهاينة ويجعلونها دينا يدينون به، وعقيدة يعتنقونها، وبينّا كيف أن الأفكار ترتبط بالمصالح الاستعمارية ارتباطا وثيقا، وقد دفعتهم صليبيتهم لإثبات صحة هذه النصوص المتهالكة والمشكوك فى صحتها صنعوا أكذوبة كبرى تقول : (من النيل إلى الفرات أرض إسرائيل) وجعلوها شعاراً لهم، وعلقوها فوق الرؤوس بالكنيست الإسرائيلى، و ادّعوا أن فلسطين العربية هى أرض إسرائيل القديمة أى مملكة داود، وهذه الأكذوبة تجعل من العرب الفلسطينيين أصحاب الأرض الحقيقيين مغتصبين لها، ويجعلون من احتلال فلسطين العربية وإبادة أهلها استردادا لحق قد سُلب، و كأن اليهود هم أصل سكان أرض فلسطين .

ومثلما يسرقون الأرض يسرقون التاريخ ويزورونه ولشرح أبعاد هذه الأكذوبة الكبرى، وكيف روجوا لها إعلاميا، و كيف ساقوا لها جيوشا من علماء الآثار وعلماء التاريخ الصهاينة كى يلبسوا إفكهم ثوب الحقيقة أقدم الآتى :

عهدنا من الصهاينة سواءٌ أكانوا من اليهود أم من والنصارى أنهم يزورون التاريخ، ويزورون النصوص حتى التى يقدسونها، وقد نزل فيهم قول الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾ [البقرة : ٧٩].

أثناء زيارة مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل عندما بدأت مباحثات السلام الأولى مع مصر، أقيمت له جولة سياحية بالمناطق الأثرية، وعند زيارته لأهرامات الجيزة، وقف مناشدا الصحفيين الذين يصطحبونه « انظروا إلى عظمة أجدادى » وكأن اليهود هم بناة الأهرام وليس سواعد المصريين ومهندسيهم، وراحت الصحف المصرية جميعها ترد عليه وتسخر من مغالطته السخيفة.

مع ظهور الفكرة الصهيونية التى جعلت نصوص الكتاب المقدس غير خاضعة للتأويل، واعتبارها نصوصا إلهية منزهة لايمكن التشكيك فيها، وأنها نبراس حياة مهما كانت حرفية النصوص مخالفة لمنطق العقل المفكر، وكما تأثرت الحياة الأدبية والسياسية بالمفاهيم الدينية الصهيونية فإن المناخ العلمى الغربى قد تأثر أيضا بالمفاهيم الصهيونية، رغم كونه متولدًا أصلا من منظور صليبى، والذى نطلق عليه اسم (الاستشراق)، لذا ظهرت من بين المستشرقين طائفة تجند نفسها للىّ عنق الحقائق كى تتوافق مع نصوص الكتاب المقدس خاصة التوراة، وفى القرن التاسع عشر ظهرت طائفة من الباحثين فى علم الآثار والمؤرخين تبنوا الفكرة الصهيونية، وقد أطلق على أصحاب هذا الاتجاه أو هذه المدرسة اسم الباحثين التوراتيين . (biblical scholars)

وقد ألَّفَ عالم الآثار « كيث وايتلام » المتخصص فى منطقة فلسطين والشام كتابا يتناول فيه الحضارات التى تعاقبت على أرض فلسطين القديمة، وقد ركز على أن إسرائيل القديمة لم تكن إلا خيطا رفيعا فى نسيج التاريخ الفلسطينى الغنى. وقد رد على كثير من مزاعم الباحثين التوراتيين، كما أورد فيه آراء الباحثين والعلماء المعارضين باختلاف أجناسهم.

من أكاذيب الصهاينة احتكار السامية

من الأكاذيب الصهيونية التى ترتبط بقضية اليهود احتكار السامية وجعلها قاصرة على اليهود من بنى إسرائيل، فالساميون شعوب منسوبة إلى سام أكبر أبناء نبى الله نوح

عليه السلام، ويطلق المصطلح على مجموعة الشعوب التى عاشت فى رقعة كبيرة من الأرض تضم شبه الجزيرة العربية و الشام وبلاد الرافدين، وقد تحدثت هذه الشعوب بمجموعة من اللغات المتقاربة هى اللغات السامية، وتشمل التسمية شعوبا مثل : الآشوريين والبابليين والآراميين والآداميين والعمونيين والعبرانيين. وفى الوقت الراهن يمثلهم العرب أساسا، وهناك عدة روابط بين الساميين أهمها اللغة والدين الإسلامى، ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى بنى إسرائيل من العبرانيين.

ويتصف الساميون وهم فى أدنى مراحل البداوة بالقدرة على الامتزاج بالعناصر المحلية فى الأماكن التى استوطنوها، كما استوعبوا حضارتها دون التخلى عن سمات حضارتهم الأولى. وقد طور الساميون التجارة، وكانوا دائما حلقة الوصل بين الحضارات والممالك الكبرى القديمة، كما برعوا فى الملاحة وطوروا العديد من الصناعات.

ويعد العرب أكثر الجماعات السامية قربا مما يمكن تسميته « الخطاب الحضارى السامى الأصلى »، كما أن اللغة العربية أقرب اللغات الحية السامية الأصلية. ومع هذا يقصر الصهاينة مفهوم « معاداة السامية » على اليهود - قاتلهم الله - دون سواهم [1]، محاولين احتكار السامية، وبهذا تروج أبواق الإعلام الصليبى الصهيونى اليوم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

حقائق تسوقها التساؤلات التى تكشف الأكذوبة الكبرى :

بمنهج منطقى بسيط أسوق عدة تساؤلات توضح إجاباتها الحقيقة التى تكشف الافتراءات والدعاوى الباطلة لهذه الأكذوبة :

- هل كان اليهود هم أول من سكن أرض فلسطين أم شهدت أرض فلسطين حضارات مزدهرة قبل قيام مملكة داود ؟

- متى قامت إسرائيل الكبرى القديمة (مملكة داود) ؟ ومتى انتهت؟

(١) د. عبد الوهاب المسيرى : الموسوعة الوجزة. الجزء الأول. مرجع سابق

- هل كانت القدس عاصمة لمملكة إسرائيل ؟ وفى أى عصر؟

- عندما حكم نبيًّا الله داود وسليمان فلسطين ألم يكن الشعب المحكوم يتكون من اليهود مع غيرهم من الكنعانيين سكان البلاد الأصليين ؟

- ألم تظهر حضارات مزدهرة بفلسطين بعد فناء مملكة داود و سليمان عليهما السلام؟

- ألم تترك الحضارات المزدهرة قبل قيام مملكة داود و بعدها الكثير من الآثار التى تثبت حقوق من أقاموا هذه الحضارات على الأرض؟!

- إذا كانت مملكة داود تاريخيا تمثل فترة زمنية وجيزة جدا فى التاريخ الفلسطينى فهل كانت هذه المملكة جغرافيا ممتدة من النيل فى مصر إلى الفرات؟

وللأجابة على هذه التساؤلات أقول :

الحياة الأولى على أرض فلسطين (السكان الأصليون)

تنقسم فترات ما قبل التاريخ إلى ثلاث فترات [1]، فترة العصر الحجرى، وفترة العصر البرونزى، وفترة العصر الحديدى، ويقوم هذا التقسيم بناء على المواد وخامات الأسلحة والأدوات التى استخدمت فى كل فترة من تلك الفترات، وإن كان هذا التقسيم لا يدل على تواريخ محددة بدقة أو حدود فاصلة بين كل فترة والتى تليها فقد نجد فاصلا زمنيا بين بداية ظهور المصنوعات المعدنية وبين الصناعات المعدنية المتطورة فى المنطقة نفسها، العصر البرونزى يقع ما بين عامى ٣٥٠٠ إلى ٨٠٠ ق.م، وفى مناطق أخرى من العالم انتهى العصر البرونزى عام ١٢٠٠ق.م، أما العصر الحديدى يقع ما بين عامى ١٢٠٠ق.م إلى ٣٣٠ ق.م، والفترة الانتقالية بين أواخر العصر البرونزى و أوائل العصر الحديدى فتقع على وجه التقريب فيما بين عامى ١٢٠٠ق.م و ٨٠٠ ق.م، وهذه هى الفترة التى قامت فيها مملكة إسرائيل القديمة[2] .

---

(١) واضع هذا التقسيم العلمى (كريستيان تومسين ١٧٨٨ ـ ١٨٦٥) أمين متحف الدانمارك

(٢) كيت وايتلام ك اختلاق إسرائيل. إسكات التاريخ الفلسطينى. ترجمة سحر الهنيدى. مراجعة فؤاد زكريا. الكويت. ١٩٩٩م.

لا يعرف على وجه اليقين متى بدأ شكل الحياة فى تلك المنطقة التى أصبحت فيما بعد تعرف بفلسطين، إلا أن أقدم الاكتشافات الأثرية لأدوات نحاسية وحجرية عثر عليها فى جبل القفزة جنوبى الناصرة وسفح الرمل قرب طبريا والتى تعود إلى الفترة بين عامى ٧٥٠٠ ق.م و٣١٠٠ ق.م تؤكد أن تلك المنطقة شهدت نوعًا من الحياة البسيطة، فلم تكن هناك حضارة وإمبراطورية كما كانت على ضفاف النيل فى ذلك الوقت. وكان أهم حدث شهدته هذه المنطقة (فلسطين) هو تأسيس مدينة أريحا، وقد وجدت آثار لها قرب بلدة عين السلطان وبئر السبع والبحر الميت ترجع أيضا إلى الفترة ما بين (٥٠٠٠ ق.م. إلى ٣٠٠٠ ق.م.).

بدأت أولى الهجرات البشرية الهامة إلى أرض فلسطين من شبه الجزيرة العربية فى بداية الألف الثالثة قبل الميلاد، ما بين عامى ٣٠٠٠ ق.م. و ٢٥٠٠ ق.م، وهى هجرة الكنعانيين الذين عرفوا باسم الأماكن التى نزلوا فيها، و تميزت هذه الفترة بالهجرات المكثفة التى أدت إلى استيطانات شملت المراعى وضفاف الأنهار والمناطق المحاذية لشاطئ البحر المتوسط كرأس شمرا وغيرها. وقد شهدت هذه المرحلة تطوراً فى حياة الكنعانيين سكان فلسطين القدماء وموارد عيشهم ,حيث تم الانتقال من الصيد وجنى النباتات البرية الفصلى ,إلى الزراعة ,والرعى بالقرب من الأنهار وتطور منظومة الرى. وعرفوا صناعة الدهان والصناعات اليدوية والحرفية (من النقش على الحجارة ,العاج, الفخار ,النسيج ,الحياكة) وقد عثر أثناء حفريات تلال عسول على نماذج من الزخرفة على الجدران تمثل صوراً بشرية وطيوراً ,وعلى فخاريات مزينة برسوم هندسية بألوان حمراء وبنية. وكذلك عثر على بعض المنحوتات الصلصالية وأدوات الزينة بزخارف تحاكى الأسلوب المصرى (سلاسل ذهبية تصور آلهة الخصب). وازدهرت صناعة الأوانى الفخارية المزينة بالرسوم والكتابات المصرية فى تلال عسول كتب عليها (أرض كنعان) نسبة إلى الكنعانيين.

كما وجدت بعض التحصينات فى المدن والقرى. وقد عثر على مثل هذه الحصون فى مناطق القدس ,هيبون ,أريحا ,مجدو وغيرها ,يتخللها نظام الأبراج والأسوار الدفاعية والأنفاق. وأن كانت الحصون لم تكن ضخمة ومنيعة جدا كما صورتها التوراة.

وقد أشارت الحفريات إلى أن الكنعانيين عرفوا ظروفًا سكنية متطورة تدل على مستوى من الحضارة، وكانت لهم لغتهم المكتوبة وديانتهم الخاصة. حيث كان لكل مدينة آلهة خاصة بها يرمز إليها. أهم هذه الآلهة: (بعل ,دجون ,عنات) ولكل من هذه الآلهة وظيفة بجسدها على الأرض. إن تخصص وطائفية الآلهة وتكريسها عزز موقع الآلهة في العبادة كما أسس للنزوع نحو التوحيد (أى عبادة الإله الواحد) وهى الخاصية المميزة للديانات السماوية

- الإله دجون: يجسد البحر ويحمى الصيادين.

- الإله بعل: يرمز إلى القوى الطبيعية ويحمى المزارعين.

- الإلهة عنات: إلهة الخصب الأرضى والحب وهى تتماثل فى وظيفتها مع عشتار إلهة الأكاديين وعشتروت إلهة الفينيقيين[1].

ثم كانت هناك بعض الهجرات الآرامية أيضا إلى أرض كنعان، والآراميون هم قبائل من سلالة آرام بن سام بن نوح، وقد انتشروا فى مناطق شتى من الهلال الخصيب، فى القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد، وقد استقروا زمنا طويلا فى شمال وادى الرافدين قبل هجرة بعضهم إلى أرض كنعان (فلسطين) حيث كانوا قد أسسوا سلسلة من الدويلات، والآراميون الذين أقاموا فى« كلدة » التى تقع أقصى جنوب دلتا وادى دجلة والفرات قد أطلق عليهم اسم « الكلدانيين ». وقد أسسوا دولة بيت يكينى، كما نشأت غربها دولة آرامية، وقد دخلت تلك الممالك أو الدويلات فى صراع مع الأشوريين والعبرانيين، وقد استولى الأشوريون على هذه الدويلات وتحولت إلى دويلات أشورية تابعة.

حتى التسمية التوراتية لفلسطين القديمة هى (أرض كنعان)، وفى خلال فترة وجيزة من هجرات الكنعانيين وبعض الآراميين أصبحت هناك ثلاث لغات فى فلسطين القديمة: الكنعانية والآرامية ـ لغة المسيح عليه السلام ـ والعربية، وظلت فلسطين تسمى أرض كنعان منذ ذلك الحين حتى عام ١٢٠٠ ق.م..

(١) زينات بيطار: علم الآثار الفلسطينى فى يد الباحثين الغربيين الإسرائيليين. مقال منشور على الإنترنت موقع تاريخ فلسطين.

تحول اسم أرض كنعان إلى فلسطين

ما بين أعوام ١٢٠٠ق.م و ١١٩٤ ق.م هاجمت الشواطئ الجنوبية الغربية مثل يافا وغزة مجموعة من البحارة الغزاة الذين أتوا من بحر إيجه، وهم مجموعة أو قبيلة تجمعت من مناطق عديدة : أغلبهم من اليونان مثلما تدل عليهم آثارهم والبعض من الأناضول وصقلية وكريت، ويطلق عليهم اسم (الفلستيين) أى شعوب البحر وقد سبق لهم أن هاجموا الأناضول وسوريا وقبرص وبعض الشواطئ المصرية، وقد سميت المنطقة التى احتلوها باسم مشتق من اسمهم « فلستيا » وكانت تشمل خمس مدن، والجدير بالذكر أن المملكة العبرانية المتحدة (إسرائيل القديمة) لم تضم فى أى وقت من تاريخها هذا الشريط الساحلى الفلستى، ولكن المشروع الصهيونى يتحدث عن دولة إمبريالية، توسعية ضمت هذا الساحل، وكانت حدودها من النيل بمصر إلى الفرات بالعراق. وهو ما يؤكد أن هذا المشروع لا حدود له حيث لا حدود للمطامع الاستعمارية ولا توجد أى اعتبارات أخلاقية وإنما صهيونية صليبية، وسوف تؤكد الدراسات التاريخية المحايدة إفك المزاعم الصهيونية وأكذوبتهم الكبرى من النيل إلى الفرات[1] . والتى حتى إن صدقت لا تجعل لليهود حقا فى فلسطين، لأنها كانت أرض كنعان العربية قبل إسرائيل، وكذلك فلسطين العربية بعد إسرائيل. وسميت تلك المنطقة كلها (فلسطين) نسبة إلى اسم الفلستيين الذين اندمجوا مع الكنعانيين سكان البلاد الأصليين، وأطلق اسم فلسطين على جميع الأراضى الساحلية والداخلية التى كان يسكنها الكنعانيون، ومع الزمن غلب العنصر الكنعانى وأصبح سكان البلاد كلهم (سكان فلسطين) من الكنعانيين العرب.

هجرة العبرانيين (بنى إسرائيل) إلى أرض فلسطين

فى حوالى عام ٢١٠٠ ق.م هاجر خليل الله إبراهيم عليه السلام من بلدة « أور » فى العراق إلى أرض كنعان (فلسطين)، وهناك أنجب إسحق والد يعقوب الذى يسمى

---

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الموسوعة الموجزة ـ المجلد الأول). دار الشروق. الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

كذلك إسرائيل وإليه ينتسب الإسرائيليون. كما سمى أفراد قبيلته « العبرانيين »، وفى تلك الفترة كانت فلسطين جزءاً من الإمبراطورية المصرية، كما كانت عمليات التبادل التجارى نشيطة بينهما، وهو ما دلت عليه رسائل تل العمارنة التى اكتشفت فى صعيد مصر[1].

دخل العبرانيون أرض كنعان (فلسطين) نتيجة ثلاث هجرات غير محددة. بدأت موجة الهجرة الأولى مع إبراهيم عليه السلام من بلاد الرافدين فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكانت معاصرة لانتشار الهكسوس (١٧٨٦ق.م- ١٥٧٠ ق.م)، والهجرة الثانية كانت فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقد وافق هجرة يوسف عليه السلام إلى مصر، و هاجر يعقوب عليه السلام وأولاده إلى مصر حيث كان ابنه النبى يوسف عليه السلام قائما على خزائنها، وهى قصة فصلها القرآن الكريم فى سورة يوسف. بينما ظلت قبائل منهم فى أرض كنعان التى كانت تحت سلطة ونفوذ الإمبراطورية المصرية.

واستقر العبرانيون (بنو إسرائيل) فى مصر وكثر عددهم، حتى أمر الله نبيه موسى عليه السلام الخروج بهم إلى أرض كنعان، وهذه القصة فصّلها القرآن الكريم حيث وردت فى مواضع كثيرة. ومكث بنو إسرائيل فى الصحراء أربعين سنة حيث ضُرِب عليهم التيه، وبعد وفاة نبى الله موسى الذى خرج باليهود من مصر تمكنوا من التسَلل إلى أرض كنعان (فلسطين) منذ عام ١٢٥٠ ق.م، وذلك فى عهد النبى« يشوع بن نون » خليفة موسى عليه السلام، وهذه هى الهجرة الثالثة من مصرفى النصف الثانى من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقد استقر العبرانيون بعد تسللهم لأرض كنعان فى بعض الجيوب غير المتصلة. حيث كان التواجد الكنعانى مستمراً فى أرضهم على المستويين الحضارى والثقافى.

الرواية التوراتية كما يصورها سفر يشوع بالعهد القديم، إنه بعد وفاة موسى عليه السلام تجلى الرب ليشوع بن نون خادم موسى وهو سبط إفرايم، وجعله خليفة لموسى وقائدا لبنى إسرائيل، ويصوره العهد القديم نبيا وقائدا عسكريا قاد القبائل العبرانية إلى

---

(١) عيسى عودة برهومة : التكوين التاريخى لفلسطين، قضايا دولية، العدد ٢٦١ .

أرض كنعان واقتحمها بعد معارك ضارية، واستمر يشوع بن نون يحكم العبرانيين مدة ثمانية وعشرين عامًا، فقسّم الأرض التى احتلوها بالقرعة بين القبائل العبرانية واستثنى اللاويين الذين قاموا بالأعمال الكهنوتية. ويروى سفر يشوع أخباره بأنه هو الذى أمر العبرانيين بالطواف حول أسوار أريحا سبع مرات وأمامهم سبعة كهنة ينفخون فى الأبواق وهم يحملون تابوت العهد، فسقط السور وسقطت المدينة فى أيديهم. وقد دمرها تدميرا وأحرقوا ما بها بعد أن نهبوا ما بها من ذهب وفضة وأوانى النحاس والحديد ثم قتلوا كل سكانها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال (مثلما يفعلون فى فلسطين اليوم - ومثلما يفعل الصليبيون الصهاينة فى العراق) إلا العاهرة التى خبّأت فى مضجعها جاسوسين قد أرسلهما يشوع قبل الغزو : « وكل الفضة والذهب وآنيةالنحاس والحديد تكون قدسا للرب وتدخل فى خزانة الرب. فهتف الشعب وضربوا بالأبواق وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما، فسقط السور فى مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه، وأخذوا المدينة. وحرّموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض : ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجا من هناك المرأة وكل ما لها كما حلفتما لها. » يشوع ٦ (٢٢٠ : ٢٠) ثم حرّم يشوع بعد ذلك بناء أو تعمير أى سكن فى أريحا حتى قيام الساعة. « وحلف يشوع فى ذلك الوقت قائلا : «ملعون قدام الرب الرجل الذى يقوم ويبنى هذه المدينة أريحا» سفر يشوع ١٦الآية ٢٦.

أجرى العالم هـ. تامارين استفتاء فى عدد من مدارس تل أبيب ومدن ومستعمرات إسرائيلية أخرى حول الأساليب الهمجية التى انتهجها يشوع. وقد جاء فى نتائج الاستفتاء أن ٦٦ , ٩٥٪ يؤيدون أساليبه، وأن ٣٠٪ من التلاميذ يؤيدون بصورة قطعية إبادة السكان العرب تمامًا فى المناطق المحتلة [1] وهذه هى التربية الصهيونية التى يربون عليها أولادهم فأسلوب يشوع الإبادى هو الأسلوب الأمثل لمعاملة العرب.

يشكل «حدث» التدمير الكنعانى اللحظة الأكثر حساسية وسخونة فى رواية تاريخ «بنى إسرائيل». غير أن المكتشفات الأثرية فى «أرض الحدث» وخصوصا فى «أريحا»

(١) د. عبد الوهاب المسيرى : الموسوعة الموجزة. الجزء الأول. مرجع سابق.

و«آيي» المدينتين اللتين تذكر التوراة تدميرهما، جاءت مخيبة تماما للآمال اليهودية المعاصرة. إذ أظهرت تلك المكتشفات أن حروبا وغزوات حصلت فى تلك المنطقة فعلا لكن عند أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد. . أى فى العصر البرونزى المتأخر الذى لم تكن قد نشأت هناك أية مدن لتغزى أو حتى أية جدران لتدمر! ومعنى ذلك أن عمليات الغزو والتدمير المذكورة فى التوراة المزعومة لم تكن فى الواقع سوى مجردأساطير شعبية لاهوتية الطابع ذات أهدف. تربوية صليبية صهيونية تثير غل الصهاينة وحماسهم لإبادة العرب[1] .

وبعيدا عن الروايات التوراتية، كان العبرانيون كما تؤكد الحقائق التاريخية قبائل بدوية بدائية حينما خرجوا من مصر وعبروا سيناء، ولم يكن فى مقدورهم الاستقرار بأرض كنعان إلا بالتسلل، فلا كانوا يستطيعون حربا ولا ضربا خلافا لنصوص التوراة المزيفة للحقائق. فقد كانت عملية التسلل عملية طويلة استمرت ما بين ١٢٥٠ ق.م و١٢٠٠ ق.م. وحينما تسللت هذه القبائل العبرانية إلى أرض كنعان لم تكن هناك رابطة أو وحدة قومية متماسكة بينها، ومن يقرأ سفر القضاة ويشوع يعرف أن الغزو العبرانى كان مجرد استيطان فى عدة جيوب غيرمترابطة، وظل العبرانيون مشردين لاجئين على قمم التلال، ومن تجرأ منهم ونزل إلى السهول أصبح عبداً، فظلوا على الجبال على هيئة مجموعات من القبائل المتناحرة، ولم تكن هناك سلطة مركزية إذ كان الحكم أبويا أسريا عشائريا.

كان شيوخ العشائر يجتمعون فى مجلس الكبراء كلما دعت الحاجة لذلك. وكان هذا المجلس الحكم الفصل فى شئون القبيلة، فإذا فشل القاضى أمام هؤلاء الزعماء لجأ المتقاضون إلى القاضى الرئيس. ولم يكن طابع المجتمع رعويا محضا، فقد ظهر حكم القضاة مع بداية استقرار العبرانيين واشتغالهم بالزراعة. ولم يستطع العبرانيون السيطرة على كل أرض كنعان فى تلك الفترة، وظل وجودهم متقطعا جغرافيا محاطا بأقوام معادية مثل الكنعانيين والفلستيين فى مقاومة العبرانيين.

(١) الموسوعة الإليكترونية : ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

قيام مملكة إسرائيل (أول الملوك طالوت ومدة حكمه سنتان)

نتيجة للهزائم المتلاحقة لقبائل العبرانيين رأى شيوخ بنى إسرائيل ضرورة اتحاد قبائلهم ليشكلوا كيانا يتمكن من مواجهة خطر الفلسطينيين على وجودهم، فطلبوا من زعيمهم الدينى النبى صموئيل آخر القضاة ـ الذين حكموهم ـ تعيين ملك عليهم، نظراً لتقدمه فى السن. رغم معارضة البعض للنظام الملكى أصلا، فضلا عن معارضتهم لاختيار شخص الملك نفسه رغم أنه اختيار إلهى حيث اختار لهم شاءول بن قيس ملكا عليهم، وهو أول ملك من بنى إسرائيل عليهم، والاسم العربى لشاءول هو طالوت وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)﴾ [البقرة: ٢٤٧]. وكما تخبرنا الآية الكريمة فإن طالوت قد نشأ فى أسرة فقيرة متواضعة، وكان يرعى أبقار أبيه، وبذلك انتهت فترة عصر القضاة.

إن فكرة الملكية عند بنى إسرائيل لم تأت من مصادر خارجية فحسب، وإنما تشكلت هذه الفكرة بالتدريج على أسس مُقتَبسة من جيرانهم ومن الدول المجاورة لهم؛ غير أنها اختلفت نوعًا ما فى ناحيتين: الأولى إن التنظيم القبلى بقى لأغراض إدارية من جهة. الثانية أن الملك لا يصدر أحكامه وفق رؤيته، وإنما كان عليه أن يحكم وفق أوامر يهوه (إله بنى إسرائيل). يضاف إلى ذلك اختلاط الموسويين (أتباع موسى عليه السلام) خلال عصر القضاة بالكنعانيين فعرفوا منهم الملكية، مما حملهم إلى النظر فى فوائد الحكومة الملكية، ولعل ما شاهدوه من أبهة الملك فى الشعوب المحيطة بهم دفعهم للاقتداء بهم، فجمعوا كلمتهم ونصبوا عليهم ملكًا، وبذلك تحولت المحالفة الضعيفة بين القبائل إلى مملكة إسرائيلية، وكانت فترة الملكية الفترة الفاصلة فى تاريخ بنى إسرائيل مع أنها لم تقم على أساس ثابت، فلم يستطع ملوكها العظام أنبياء الله داود وسليمان القضاء تمامًا على عوامل الهدم داخل مملكتهم[1].

(١) د. أسامه محمد أبونحل الأستاذ المساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الأزهر ـ غزة: حدود مملكة داود بين روايات العهد القديم والدراسات الحديثة.

بـدأ عهد الملكية بالملك طالوت (شاءول) ولم تتعدَّ حدود مملكته، عشيرته بنيامين، وكان مسكنه عبارة عن خيمة، وحاول قيادة بنى إسرائيل وإخراجهم من وضع المذلة والانحلال، فلم ينجح، وظل الكنعانيون يقاومونه، هم والفلسطينيون (أقوام البحر)، وكان طالوت قد اتخذ من « جيبا » عاصمة له، واستبدل بذلك التجمع حول الإله يهوه بالحكم الملكى الذى لم يرض عنه المتدينون واعتبروا التطور الجديد تقليداً أجنبيًا، الأمر الذى أضعـف قوة طالوت الذى حاول السيطرة على الوضع بالأساليب العسكرية، إلاَّ أنه بقى يفتقر إلى السلطة المركزية وانضمام القبائل تحت لوائه، وكان لهذه الحالة أثرها المباشر على الأوضاع العسكرية والصراع مع الفلسطينيين.

اتهم طالوت كثيراً من أتباعه فى أواخر أيامه بالخيانة ومن بينهم داود أحد كبار قواده، وجاء فى التوراة أن الرب صار غير راض عن كون طالوت ملكا على بنى إسرائيل، وانتهى أمر طالوت بهزيمته على يد الفلسطينيين وقتلهم لأولاده الثلاثة وإصابته هو بجروح بليغة أدت إلى موته فى معركة «جلبوع» (فقوعة) من أرض فلسطين، ودلت الحفريات فى «تل الفول» على أن طالوت لم يحكم سوى جزء صغير من أرض فلسطين، وبذلك لم ينجح بتوحيد الشمال والجنوب وتحرير بنى جلدته من يد العبودية رغم أن النظام الملكى بقى قائمًا بعده، ودام حكم طالوت على قومه قرابة العامين[١] .

مملكة إسرائيل وثانى الملوك داود عليه السلام (١٠١٠ - ٩٧١ ق.م.)

برزت عناية الله بنبيه داود عليه السلام منذ كان غلاما، إذ خرج مع جيش طالوت لملاقاة جاليات، وهو قائد الفلستيين الذين كانوا يغيرون على القبائل العبرانية، والإسم العربى لجليات هو «جالوت»، وقد كان عظيم النيان الجسمانى، بلغ طوله أكثر من تسعة أقدام، وقد برز جالوت أمام الجيش يطلب مبارزا، فخرج له داود، واستصغره جالوت واحتقر شأنه، ولكن داود عليه السلام قد رماه بحجر من مقلاعة فأسقطه، ثم أقضَّ عليه فقتله، وانفرط عقد الجيش الفلستيينى، وفر هاربا، وصار داود من حينها

---

(١) د. أسامة محمد أبو نحل : المرجع السابق.

بطلا لبنى إسرائيل، يتغنون باسمه، وكان داود موسيقيًا لدى الملك طالوت لأنه كان يحسن العزف على العود، وقد جعله طالوت من قواد جيشه وزوجه ابنته « ميكال »، وقد أنزل الله فى محكم تنزيله : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾ [البقرة : ٢٤٩ - ٢٥١]

بعدما سطع نجم داود عليه السلام وأخذ فى الصعود بانتصاراته العسكرية ضد الفلسطينيين، عمد طالوت على إبعاده لغيرة وقعت فى نفسه من ناحية ولنبوءة النبى صموئيل لشاءول بأن الرب سيمنح المملكة لداود، وتحكى نصوص التوراة أن تحولت العلاقة بين طالوت وداود، فعنوان الإصحاح ١٨ من سفر صموئيل «غيرة شاول من داود» والإصحاح ١٩ بعنوان : « شاول يحاول قتل داود»، ولذا فر داود هاربا من مكائد طالوت وإصراره على قتله إلى بيت لحم فى الضفة الغربية لنهر الأردن

ونقوم هنا بإيراد تاريخ النبى والملك داود كما ورد فى العهد القديم مع تحفظنا الشديد بل ورفضنا القاطع لما ورد فى روايات العهد القديم فيما يمس شخص نبى مرسل مثل داود عليه السلام وذلك بتصوير تلك الروايات له بأنه شخص غير سوى يرتكب الفاحشة ـ تعالى أنبياء الله عن ذلك وتنزهوا ـ كما سنبين إفك الروايات الملفقة التى تقول بأن مملكة داود كانت مترامية الأطراف وأنها بلغت من النيل بمصر إلى الفرات بالعراق.

من المزاعم الواردة بالعهد القديم أن داود عليه السلام كوّن فى منفاه زمرة مسلحة للغزو (ستمئة مقاتل)، وعمل مع زمرته كمرتزقة مع بعض الأجناس الأخرى فى خدمة الفلسطينيين، الذين كانوا آنذاك يحاربون مملكة بنى إسرائيل الوليدة، وضاعف

داود من غاراته لحساب الملك «أخيش» ملك جت الفلسطينى، وورد فى التوراة ما نصه: «وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنمًا وبقرًا وحميرًا وجمالاً وثيابًا ورجع وجاء إلى أخيش» سفر صموئيل ٢٧ - ٩، وبذا اعتقد «أخيش» الملك الفلسطينى أن داود قد أصبح مكروهًا من بنى جلدته الإسرائيليين، وبالتالى أصبح عبدًا مخلصًا له [١] كما ورد فى نفس الإصحاح ييه ١٢ « فصدّق أخيش داود قائلا: قد صار مكروها لدى شعبه إسرائيل، فتكون لى عبدًا إلى الأبد».

ويعلق المفكر الفرنسى رجاء جارودى على غارات داود على قومه بأن الأمر فى هذه الغارات لم يكن أمر تحريم وإبادة مقدسة، أمر بها يهوه الرب، كما كانت على عهد يشوع بن نون، وإنما كانت مجرد عمليات سطو مسلح، دنيوية محضة، وسياسية، قامت بها المملكة التى سوف يشيدها داود، لا مع الفرق المجندة فى الأسباط بل مع جنده المحترفين من كل جنس، والذين كان لهم تأثير هائل متفوق، غير أن الفكر الإنسانى يرفض هذه الهراءات المزعومة والمنسوبة إلى نبى من أنبياء الله، رغم أن المروجين لها هم الإسرائيليون أنفسهم أتباع داود، فكيف يحل لنبى من الناحية الدينية أن يكوّن عصابة مسلحة من المرتزقة يكون عملها الأساسى قتل الأنفس وسرقة الماشية والثياب، فضلاً عن ذلك اتهام داود نفسه بأنه قد عمل مرتزقًا لدى أعداء قومه [٢]، ويَرُدّ القرآن الكريم على هؤلاء ليدحض مكرهم بتدنيس سيرة نبى صالح من أنبياء الله هو داود عليه السلام قال تعالى: ﴿ . . . وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

لم يتردد داود عليه السلام كذلك فى أن تكون له علاقات مع قبائل الجنوب، ومع قبيلة (سبط) يهوذا، وهذا ما يفسر لنا سر توليه الحكم فيما بعد على قبائل بنى إسرائيل، ولمّا كان داود عليه السلام قد تزوج من ميكال ابنة طالوت، فقد كان صهرًا للملك

---

(١) توماس طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى، ترجمة: صالح على سوادح، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥ .

(٢) رجاء جارودى: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة دار التراث، القاهرة ١٩٨٦ .

القديم، وهو ما جعله الخليفة الشرعى لحكم بنى إسرائيل، خاصة وأن أبناء طالوت الثلاثة قُتلوا فى موقعة جلبوع، وأقوال صموئيل النبى بأن الرب قد ندم لتعيين طالوت ملكا، ورغبته فى تعيين داود بن يسّى خلفا له « وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا: ندمت على أني قد جعلت شاؤل ملكًا، لأنه رجع من ورائى ولم يُقم كلامى» صموئيل ١٥ـ١٠ . «فقال الرب لصموئيل: حتى متى تنوح على شاؤل، وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل؟ املأ قرنك دهنا وتعال أرسلك إلى يسًّ البيتلحمى، لأنى قد رأيت لى فى بنيه ملكا»صموئيل ١٦ـ١ .

هل كانت القدس (أورشليم) عاصمة لمملكة إسرائيل ؟

« القدس » كلمة عربية تقابلها فى العبرية « يروشالايم » وقد وردت الكلمة بهذه الصيغة فى العهد القديم أكثر من ستمئة وثمانين مرة. وفى كتابات مصرية يرجع تاريخها إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. وردت الكلمة بشكل «يورشاليموم ». وردت فى مراسلات تل العمارنة بشكل « أوروسالم ». وأشير إليها فى الكتابات الآشورية بشكل « أوروسليمو »، أما فى الكتابة اليونانية فى القرن الرابع فسميت « هيروسوليما ». والاسم اللاتينى « جروسالم » جاء مشتقا بشكل واضح من الاسم الكنعانى للمدينة، وذكر ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان المدينة باسم «أورشليم» و« أوريسلم » و« أورسلم ». وشار إليها أيضا باسم « يبوس »، وسمى سكانها باليبوسيين[1] .

والمكتشفات الأثرية الأخيرة فى القدس جاءت لتزيد هذه المسألة تعقيدا خصوصا وأن هذه المدينة المقدسة كانت وفقا للمزاعم التوراتية عاصمة المملكة المتحدة التى جمعت القبائل التى تسكن الشمال والقبائل التى تسكن الجنوب. لكن الحفريات التى حصلت فى القسم الأعظم من القدس خلال المئة والخمسين عاما الفائتة ، أتاحت اكتشاف آثار مهمة لمدن قديمة عائدة إلى منتصف العصر البرونزى وإلى العصر الحديدى الثانى. فى حين لم يعثر على أى شىء يدل على وجود هذه المملكة بالقدس.

---

(١) د. عبد الوهاب المسيرى. الموسوعة. مرجع سابق.

وأهمية هذا الكلام أنه ليس صادرا عن أية مرجعية عربية أو إسلامية، ولا حتى عن مرجعية غربية موضوعية، بل عن واحد من أهم وألمع المؤرخين وعلماء الآثار اليهود الإسرائيليين« البرفسور زئيف هرتسوغ ». كما يقول : فمن الواضح أن «قدس داود وسليمان » كانت مدينة صغيرة مع قلعة صغيرة مخصصة لقصر الملك، و يمكن الجزم بصورة قاطعة بأن القدس لم تكن إطلاقا عاصمة مملكة إسرائيل الكبيرة كما تذكر المزاعم التوراتية.

يضيف «هرتسوغ» يبدو أن الذين قاموا بكتابة نصوص التوراة كانوا يعرفون قدس القرن الثامن قبل الميلاد بجدرانها وبثقافتها الغنية التى تم العثور على بقايا أثرية دالة عليها فى أنحاء مختلفة من القدس بواسطة التنقيبات الأثرية فى المدينة. إضافة إلى أن مدينة القدس لم تكتسب دورها المهم سوى بعد تدمير السامرة، منافستها الشمالية، فى العام ٧٢٢ قبل الميلاد.

وينفى الأستاذ أحمد عثمان ما جاء فى سفر صموئيل الثانى[1]، من أن داود كان قد استولى على مدينة القدس الحصينة من اليبوسيين[2] أوائل القرن العاشر قبل الميلاد، وأن الوحيد الذى فتحت له هذه المدينة أبوابها لاستقباله فى سلام هو الفرعون المصرى «تحتمس الثالث» قبل داود بخمسة قرون، لذا عُرفت فيما بعد باسم « أورشليم » أى «مدينة السلام». كما يؤكد أحمد عثمان أن قصة الإمبراطورية الإسرائيلية المترامية الأطراف إنما استعارها الكهنة لشحذ همة بنى إسرائيل لكى يتعظوا بما جرى لهم فلا يعودون إلى عبادة الأصنام، كما أنه ليس صحيحًا ما جاء فى سفر الملوك الثانى من أن مدينة القدس كانت عاصمة لمملكة يهوذا عندما حطمها « نبوخذ نصّر» فيما بعد عام ٥٨٦ ق. م. لأنها كانت ما تزال فى يد أصحابها اليبوسيين (الكنعانيين) الذين أفناهم جيش الملك البابلى عن آخرهم وترك مدينتهم حطامًا، فكل الأدلة المتوفرة تؤكد أن بنى إسرائيل لم يدخلوا أبدًا إلى أورشليم، ولم يقدسوا فى معبدها ؛ ولكن الإسرائيليين الذين أصبحوا يهودًا بعدما فرض عليهم الكاهن عزرا تعاليمه وأوامر الملك الفارسى أرتحشتا حيث كان يعمل فى بلاطه العائدين من بابل هم أول من فعل ذلك بعد سقوط

(١) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، مكتبة الشروق، القاهرة ١٩٩٤ .

(٢) اليبوسيون : هم الكنعانيون قاطنى القدس.

الإمبراطورية البابلية على يد «قورش» ملك الفرس، والجدير بالذكر أن كُتب التوراة الخمسة الأولى والمنسوبة إلى موسى هى فقط التى كُتبت خلال القرن السادس قبل الميلاد، أما أسفار العهد القديم الأخرى فلم تأخذ شكلها الحالى إلا بعد ذلك بثلاثة قرون.

كانت قبائل يهوذا تسكن المنطقة الجبلية المحيطة بمدينة القدس الحصينة، لذلك نجد أن ادعاء كتبة سفر صموئيل الثانى بأن داود استولى على هذه المدينة ليس له أساس من الصحة، ورغم ذلك استمرت كتب أسفار الملوك التالية فى اعتبار أورشليم عاصمة لمملكة يهوذا وإن كان من الواضح أن هذه المدينة لم تكن لها علاقة بما يجرى من أحداث، وإنما أراد كتبة العهد القديم عند إعادة صياغة هذه الكتب جمع اليهود على مدينة يقدسونها مع تبرير حق لهم فيها، الأمر الذى لم يتم إلاّ بعد دمار هذه المدينة وقتل سكانها الأصليين على أيدى البابليين.

وكان أهل يهوذا يقيمون مذابحهم وعباداتهم عند قمم الجبال العالية شأنهم فى ذلك شأن باقى الشعوب الكنعانية، وكانت القدس بسبب وجود المسطح الصخرى الواقع أعلى المدينة شمالاً تعتبر أهم منطقة للعبادة فى كل أرض كنعان، ولكن موقع المدينة الحصين ووجود أسوار قوية حولها، جعلها أقل عرضة لهجمات الأعداء إلى أن فتحت أبوابها لاستقبال « تحتمس الثالث » خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد عندما أدركت عدم جدوى مواجهة جيشه القوى فركز فيها الملوك المصريون فرقة عسكرية من المركبات والخيالة ثم أقام مذبح الصخرة وهذا ينفى ما زعمه سفر الملوك الأول من أن «سليمان بن داود »عليه السلام هو الذى قام ببناء هذا المعبد.

وعلى الرغم من أن الدراسات التاريخية الحديثة قد عجزت تمامًا عن إثبات أى علاقة بين قبائل بنى إسرائيل ومدينة القدس قبل منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، عندما سمح لهم الفرس بسكناها، إلاّ أن المراجع التاريخية للباحثين التوراتيين، ومن اعتبروا التوراة كتاب تاريخ، لا تزال تصر على قبول روايات العهد القديم فيما يتعلق بهذه المدينة، وكان مبررهم الواهى هو عدم وجود مصادر تاريخية تغطى تلك الحقبة الزمنية سوى أسفار العهد القديم، والحقيقة أن هناك اعتبارات سياسية وتوجهات صليبية تحارب بضراوة لإثبات صحة ما كتبوه بأيديهم فى الكتاب الذى قدسوه.

حدود (إسرائيل القديمة) مملكة داود

كانت مملكة داود تمتد تقريبًا من جبل الكرمل وتل القاضى إلى جبل الشيخ شمالاً وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوبًا، وكانت تمتد إلى الصحراء شرقًا، وهذا أعظم اتساع لأى مملكة إسرائيلية، أما الساحل الفلسطينى الممتد شمالى يافا إلى جنوب غزة فكان تابعًا لمصر، ويتضح من ذلك أن كل أرض فلسطين العربية لم تقع تحت حكم الإسرائيليين حتى فى ذروة فتوحاتهم. ولقد بُذلت عدة محاولات لمنع ظهور أى دليل تاريخى يبين عكس ما ذكرته أسفار العهد القديم خلال القرن العشرين، منها نتائج أعمال الحفريات التى تتعارض بشكل واضح وصريح مع هذه الروايات.

وكان ممن عارض هذه الأكاذيب التوراتية والروايات الملفقة البروفسور الأمريكى « توماس طومسون» أستاذ علم الآثار فى جامعة ماركويت بولاية ميللوكى والذى كان جزاؤه الطرد من عمله عندما نشر نتيجة الدراسات التى قام بها فى فلسطين والمتضمنة العديد من الأدلة القاطعة على عدم صحة الرواية التوراتية فى هذا الصدد.

ويضيف أحمد عثمان أن ما جاء فى رواية سفر صموئيل وسفر الملوك الأول بشأن إقامة داود عليه السلام لإمبراطورية تمتد فيما بين نهرى النيل والفرات أورثها لابنه سليمان عليه السلام بعد موته - لم يكن لها وجود من الأساس، فداود عليه السلام لم يستطع السيطرة على جميع أرض كنعان.

الأدلة التاريخية تؤكد أن أكبر رقعة استطاعت دولة داود تحقيقها من«دان» (تل القاضى) فى الشمال إلى«بئر السبع» فى الجنوب، ولم يكن لبنى إسرائيل وجود فى أى موقع على الساحل الفلسطينى ولا فى الجليل شمالى فلسطين باستثناء موقع صغير عند تل القاضى، وتشير الأدلة التاريخية إلى أن داود عليه السلام مثله فى ذلك مثل طالوت (شاءول) من قبله، كان ملكًا يرأس تحالفًا من القبائل الإسرائيلية التى سكنت الهضاب الفلسطينية.

يُلاحظ أن الكهنة أثناء وجودهم فى بابل خلال القرن السادس قبل الميلاد قد أعادوا صياغة كتب العهد القديم، فاستعاروا من الكتابات المصرية قصة حروب الفرعون «تحتمس الثالث» الذى قام بإنشاء إمبراطورية مصرية بين النيل والفرات والمنقوشة على

جدران معبد الكرنك، وأضافوها إلى رواية ملكهم ونبيهم داود عليه السلام، بل أنهم لم يحاولوا مزج الجزء الذى استعاروه من المصادر المصرية، وأدخلوه كما هو دونما تعديل كبير فى وسط الرواية الرئيسية، فظهر واضحًا أنه لا علاقة له بباقى القصة فنجد داود المختلق ومعه جيشه المؤلف من ٦٠٠ رجل يحاربون فى صراع داخلى بين القبائل الإسرائيلية، أو مع الفلسطينيين، وفجأة ترد تفاصيل معركة كبيرة تخوضها جيوش منظمة فى مواقع محصنة عديدة من أرض الهلال الخصيب، ولم يكن صدق الرواية التاريخية يهم الكهنة فى شىء، بل كان هدفهم الرئيسى من ادعاء هذه الانتصارات العظيمة هو حث بنى إسرائيل على ترك عبادة الأوثان والعودة إلى ديانة موسى.

والحقيقة إن السبب الذى جعل الكهنة يختارون قصة فرعون مصر تحتمس الثالث لتلفيقها وتزييفها لصالح داودهم، ليس فقط لأن الملك المصرى كان أول من استطاع بناء إمبراطورية اشتملت على معظم أجزاء العالم المعروف فى عصره، وليس فقط لأن الجزء الأول من اسمه«تحوت» يصبح فى العبرية «دود» وهو الاسم العبرى لداود.

مملكة داود عليه السلام فى أقصى اتساع لها، كانت مئة وعشرين ميلاً فى أطول أطوالها، وستين ميلاً فى أعرض أعراضها، فإذا خرج الرجل من طلوع الشمس من القدس متجهًا ناحية الشرق أو الشمال أو الغرب، يكون بمقدوره بلوغ أطرافها فى فترة وجيزة من الصباح، أى إنه لا يقطع اثنى عشر ميلاً فى أى من هذه الاتجاهات إلاّ ويكون قد خرج من حدود تلك المقاطعة [1] . وهذه المملكة ذات المساحة المحدودة هى التى ورث ملكها سليمان من داود عليهما السلام.

نهاية مملكة إسرائيل وآخر ملوكها سليمان عليه السلام (٩٧١-٩٣٥ ق.م)

مع اقتراب وفاة داود عليه السلام، بدأ الصراع يدب بين أبنائه تنازعًا على خلافته، غير أن داود عليه السلام تدخل فى الأمر وحسم الموقف واختار سليمان عليه السلام وأمر بمسحه ملكًا على قبائل إسرائيل، ثم مات بُعَيْدَ ذلك بزمن قصير.

---

(١) د. بيان نويهض الحوت: فلسطين: التاريخ السياسى من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (١٩١٧)، ط١، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩١ .

ورث سليمان عليه السلام الملك كما ورث العلاقات السياسية الطيبة مع جيرانه الفينيقيين فى لبنان وساحل فلسطين الشمالى، وكانت العلاقة بين مملكة صور وإسرائيل مبنية على المنفعة المتبادلة بينهما، فصور كانت فقيرة بالمحاصيل الزراعية بينما إسرائيل كانت بحاجة ماسة إلى المواد التى تنقلها التجارة البحرية، كما كانت بحاجة للخشب اللازم للبناء والموجود بوفرة فى فينيقيا.

كان عهد نبيى الله داود وسليمان عليهما السلام فى مجمله عهد يسر ورخاء، إذ بلغت فى عهدهما الحياة السياسية والتجارية درجة عالية من التقدم فى الوقت الذى احتفظ فيه الدين إلى حد بعيد ببساطته الأولى ونقائه القديم، والتفسير الوحيد والمحتمل لأن تلصق التوراة هذه الصور غير الأخلاقية بداود ومن بعده ابنه سليمان عليهما السلام هو أنهما خرجا عن التقاليد العرفية لبنى إسرائيل وتزوجا من غير بنات إسرائيل، فالمعروف تاريخيًا أن سليمان كان قد تزوج العديد من النساء الأجنبيات واللاتى لا يدن بديانة يهوه[١].

وبعد موت سليمان بن داود عليهما السلام عام ٩٣٥ ق.م انقسمت المملكة على نفسها، فقامت دويلة أو مملكة يهوذا وقيل إن عاصمتها القدس ومملكة إسرائيل فى السامرة، ونشبت الخلافات والحروب بين المملكتين، واستعانت كل منهما بملوك مصر أو آشور ضد الأخرى، مما أضعفهما معًا وأضعف سلطتهما على السكان فعادت الاضطرابات مرة أخرى.

هاجم شيشنق ملك مصر مملكة يهوذا عام ٩٢٠ ق.م واحتلها لتصبح منذ ذلك الحين تابعة للدولة المصرية. وفى عام ٧٢١ ق.م هاجم الآشوريون مملكتى إسرائيل ويهوذا واحتلوهما وفرضوا الجزية عليهما، وقد حاولت مملكة إسرائيل التمرد لكن الآشوريين قمعوا تمردها بقوة وأخذوا معظم سكانها أسرى إلى العراق.

تم القضاء على دولة إسرائيل من قبل الآشوريين عام ٧٢٢ ق.م. التى عمرت نحو ٧٢ عامًا فقط. وأخذ معظم سكانها أسرى إلى آشور فملوكها كانوا ثلاثة (شاؤل أو طالوت وداود وسليمان عليهما السلام) وقد طمحوا إلى إنشاء دولة مركزية قوية تضم

(١) د. أسامة محمد أبو نحل: المرجع السابق.

قبائل بنى إسرائيل. ولكن بعد موت الملك سليمان انقسمت المملكة إلى جزأين: المملكة الإسرائيلية فى الشمال واليهودية فى الجنوب تركت كل منهما آثاراً معمارية نذكر منها: بقايا قصر الملك أصاف فى الضفة الغربية لنهر الأردن بأسلوب معمارى خاص تزيّنه نقوش محفورة على واجهته ومطعمة بالعاج ,وتمثل صور مخلوقات خرافية ,أما الفنون اليدوية فتعكس تأثير الفنين البابلى والمصرى (أقراص الشمس المجنحة أبو الهول ,زهرة اللوتس).

فى عام ٥٨٦ ق.م. قام نبوخذنصر ملك البابليين باحتلال الدولة اليهودية وتدمير كل المناطق الفلسطنية المحيطة بما فيهامدينة القدس ,وقد تم تهجير اليهود إلى بابل وهرب قسم منهم إلى مصر. ومنعوا من الخروج من هذا المنفى البابلى، حتى سمح لهم بالعودة الاختيارية عام ٥٣٩ ق.م. حين ضم الملك الفارسى قوروش فلسطين إلى مملكته.

هكذا نرى أن لفلسطين تاريخا طويلا وعريقا، كانت الدولة اليهودية إسرائيل، خيطا رفيعا فى نسيجه من حيث الزمان، أما من حيث المكان فإن مساحتها كانت محدودة جدا، وإن اليهود ليسوا أصحاب الأرض الأصليين، فقد وقعت فلسطين تحت تأثير ثقافات عدة أهمها المصرية والأشورية والفينيقية واليونانية بعناصرها الهيلينية خاصة بعد احتلال الإسكندر المقدونى لها عام ٣٣٢ ق.م.

فأين اليهود زمانا ومكانا يا لصوص التاريخ؟.

***

الجزء الثانى

مخططات النصارى الصهاينة
لتدمير الإسلام وإبادة أهله

الفصل الثامن

الصهيونية النصرانية
بمنتصف القرن العشرين

مصطلح الأصولية في مفاهيم الديانات السماوية :

يعرّف التيار النصرانى الصهيونى المتشدد باسم التيار الأصولى ، فمصطلح الأصولية شاع فى الإعلام الأمريكى فى عشرينات القرن التاسع عشر ، وصار له مفهوم خاص فى كل ديانة أو اتجاه عقائدى ، فالأصولية عند اليهود تعنى تقديس النص وتقديس الشخص ، أما تقديس النص فبتطبيقه حرفيًا وإعطائه سلطة أعلى من السلطات ، وتقديس الشخص فيعنى تقديس كلامه الذى تمثل نصوصًا فى ذاتها ، وهذا التقديس للشخص متمثل فى الحاخام .

فالأصولية عند الغرب تطلق على الأخذ بنصوص العهد القديم على أنها أصل الكتاب وأصل الدين ويعتقدون بعصمة الكتاب المقدس . وأصحاب هذا الاتجاه كثيرون فليس البروتستانت أو الإيفانجيليون فقط ولكن جماعة شهود يهوه وغيرهم . ويستخدم الغرب هذا المصطلح اليوم على المسلمين الذين يتخذون الإسلام منهجا لحياتهم ، ويعتبر الغرب الأصولية الإسلامية مرادفة للإرهاب .

أما مصطلح الأصوليين فى الثقافة الإسلامية فكان يعنى علماء الأصول ، ففى علوم اللغة هناك علماء فى أصول اللغة ، وفى علوم الفقه هناك علماء فى علم أصول

الفقه[1] . . . . وهكذا، أما استخدام مصطلح الأصولية اليوم فقد صار مرادفا لفكرة السلفية، أى العودة للأصول الأولى التى يستقى منها الفكر الدينى ممثلة فى النصوص الأولى قبل أن تختلف فى تأويلها أفهام الأجيال اللاحقة .

أما فى الثقافة الغربية فالمصطلح مختلف، فتعبير « الأصولية » الذى شاع فى الإعلام الأمريكى فى عشرينات القرن العشرين بمناسبة انقسام الكنائس حول تدريس نظرية دارون (نظرية نشوء الإنسان وارتقائه) التى تم حظر تدريسها بالمدارس الأمريكية باعتبارها تعارض الاعتقاد الدينى بخلق الله للإنسان، وقُدّم المعلم الذى قام بتدريسها للمحاكمة بتهمة انتهاك قوانين الولاية، إلا أن المحكمة أنصفته، وجرى وصف المنادين ضده بالتعصب وباللاثقافة وبمعاداة الحداثة وبالأصولية .

واعتبر المؤرخ أرنست أ. ساندرين أن الإحياء الأصولى تعبير عن صراع بين مجتمع حديث ونظام اعتقادى أساسه قائم على (التدبيرية) و (الميللينية) التى سبق بيان عقيدتهما الصهيونية سابقًا. ونشطت الكنائس الأصولية المشيخية والخمسينية فى مواجهة كنائس التيار العام البروتستانتى الحداثة. وكانت معاداة الشيوعية هى البيئة التى جعلت من الحركة الأصولية الإيفانجيلية حركة شعبية .

وقد عرفت أمريكا الأصولية منذ نشأتها كما عاشت الإحياء الأصولى مع الصحوة الدينية الكبرى فى أربعينات القرن التاسع عشر، وهى أصولية صهيونية باعتقادها فى حرفية الكتاب المقدس والنبوءات التوراتية عن بعث اليهود فى فلسطين وقد أطلق على هذا التيار فى سبعينات القرن التاسع عشر تيار التدبيرية .

إسهام العرب فى ازدهار النصرانية الصهيونية بمنتصف القرن العشرين

قد يتعجب القارئ من هذا العنوان، ولكن لا مهرب من سرد كل الحقائق التاريخية برغم ما فيها من مرارة، ولن أتهم أحدًا من قادة العرب بالعمالة للصهيونية، ولن أصفهم أو أصف أحدًا منهم بأى سوء، ولكن ما يسطره لنا التاريخ هو أن المخططات

---

(١) علم أصول الفقه هو العلم الذى يبحث فى كيفية استنباط الأحكام الشرعية من النصوص، وفقا للقواعد الأصولية الموضوعة للاستنباط والاستقراء وفهم النصوص والأخذ بها .

الصهيونية لم تكن أسراراً يخشى الغرب تسربها، بل كانت معلنة فى كتبهم، وفى أحاديث قادتهم الذين كانوا يستعمرون بلادنا وينهبون خيراتنا، ويمهدون لقيام الدولة اليهودية على أراضينا، وينظمون رحلات الهجرة الجماعية إلى فلسطين تحت سمع وبصر حكامنا.

حقيقة أننا فى البدء كنا نناضل من أجل استقلالنا والتخلص من مستعمرينا الذين قسّموا وطننا بينهم باتفاقية سايكس بيكو الصهيونية النصرانية التى مزقت حسب وصفهم جثة الرجل المريض (الخلافة العثمانية)، وبالرغم من أن شعوبنا نجحت بكفاحها فى التحرر من نير الاستعمار وتمكنت من تحطيم قيده، إلا أن حكامنا وقادتنا حين هبوا لنصرة فلسطين فى ١٩٤٨ م وقتما اكتملت أولى الحلقات الكبرى لتنفيذ المخطط الصهيونى بإعلان قيام دولة إسرائيل، كان الجيش العربى الذى تم إعداده على كثرة العرب أقل من عصابات الهاجاناه والأرجون زيفاى ليومى من حيث العدد والعدة، فالعتاد العسكرى الضخم قد ادخره قادة العرب فى بلادهم للحفاظ على أمن عروشهم، وكان السلاح المستخدم فى المعركة أقل بكثير من إمكانات العرب العسكرية التى كان يمكن أن تشارك فى مثل هذه المعركة الفاصلة المصيرية، ولكن يحكى لنا التاريخ عن ظهور السلاح الفاسد، وعن التآمر على الجيش العربى من الداخل ومن الخارج، ورغم كل الاتجاهات المضادة إلا أن بسالة المقاتلين العرب خاصة الكتائب التى جمعت المتطوعين من الإخوان المسلمين وغيرهم، كانت لها الغلبة فى المعارك الطاحنة ذات المواجهات المباشرة بالأسلحة الخفيفة، وكلما اشتد القتال ولاحت فى الأفق بشائر الانتصار العربى الإسلامى، تتم الموافقة على وقف إطلاق النار وإعلان (الهدنة)، فيتدفق السلاح وتنهال الذخائر على العدو الصهيونى، لتحدث الهزيمة والنكبة، والنكبة ليست فى إعلان قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية الإسلامية، وإنما النكبة كانت فى القيادة العربية للأمة والجيش، وفى تعليق لإحدى صحف الغرب قالت: إن إسرائيل خاضت حرب ١٩٤٨م بنظام (التقسيط المريح) وهو النظام الذى تتبعه محلات اليهود فى الأسواق الغربية. وبعد انقلاب ٢٣ يوليو بمصر كشف لنا الضباط الأحرار العديد من الخيانات والمؤامرات التى حيكت ضد أمتنا، وبأساليب قد

ورد ذكرها سلفًا ببروتوكولات حكماء صهيون من احتواء القادة والحكام لتحقيق مآرب الصهيونية.

وفى عام ١٩٦٧م كان اختيار توقيت الحرب منا نحن العرب، وممن كشفوا لنا عن حقيقة المؤامرة، وكان من المفروض أو من البديهى أن يكون استعداد الجيوش العربية مبنيًا على ما تدرّسه كلياتنا المتخصصة بالعلوم العسكرية، والتى تستوجب معرفة حجم جيش العدو وعتاده ومناطق تمركز وحداته، وتطور آلياته واستراتيجيات تدريباته، ونقاط القوة والضعف به، فقد كان عدد جنود جيش العدو أكبر من قوات العرب المواجهة، وكانت لديه آلياته المجنزرة، ولم يكن لدينا مثلها، كانت دباباته أحدث ومدافعها أبعد مدى، وكانت مدفعيته محمولة بينما مدفعياتنا بدائية، كان سلاحه الجوى أكبر عددًا وطائراته أحدث وأقوى تسليحًا، أما الخطط العسكرية المعدة، فحدث ولا حرج كانت عشوائية بشكل لا يصدقه عقل، وأدع الحكم فيها للتاريخ ليقول : أعمالة هى أم حمق ؟ أم خيانة ؟ أم ماذا ؟ . . فهل تصدق أن القوات الجزائرية - على قدر حجمها الرمزى - التى كانت ستشارك فى المعركة تحركت برًا ووصلت بعد الحرب بأسابيع! فياله من تنظيم لمعركة مصيرية، تنظيم تخرج فيه الطائرات من دشمها الحصينة وهوادجها الآمنة لتصطف مكشوفة فى العراء أمام العدو لتكون كالميت بين يدى مغسلة، ويُقضى على سلاح الطيران كاملا، دونما مقاومة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما ما نحن بصدده الآن ليست الحرب وما حدث فيها، ولكن ما يعنينا هو أثرها فى نهضة الصهيونية النصرانية وانتشارها، وتأكيد نظرة العالم الدونية للعرب والمسلمين. فقد ساهمت حرب يونيو سنة ١٩٦٧م والانتصار العسكرى لإسرائيل فيها فى إحياء الصهيونية النصرانية الأصولية الأمريكية وتوثيق علاقات التعاون بين منظماتها والمنظمات الصهيونية اليهودية والدولة الإسرائيلية، فالنصرانية الصهيونية الأمريكية اعتبرت أن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م تأكيد لنبوءات التوراة حول نهاية العالم وإحلال مملكة جديدة مع المجىء الثانى للمسيح بعد عودة اليهود إلى الأراضى المقدسة، و انتظرت المسيحية الصهيونية اكتمال خطة الرب بعد تأسيس إسرائيل وبالتالى كان انتصار إسرائيل فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧م و احتلالها لبقية أرض فلسطين وبخاصة

القدس إضافة إلى أراض عربية أخرى تأكيداً على أن خطة الرب تكتمل وأن النبوءات التوراتية تتحقق وأن نهاية التاريخ أصبحت قريبة .

وعبرت عن ذلك الصحافة الأمريكية [1] بقولها : « لأول مرة منذ أكثر من ألفى عام فإن القدس الآن كاملة بأيدى اليهود مما يعطى لدارس التوراة إيمانًا عميقًا ومتجدداً فى صحتها وصلاحيتها » . إن الحركة النصرانية الصهيونية والأصولية تعتقد بأن القدس هى المدينة التى سيحكم المسيح العالم منها عند قدومه الثانى ، وبرغم أنها تعتقد أيضًا بتنصير اليهود حتى يشملهم خلاص المسيح عند مجيئه الثانى إلا أن الحركة أجلت هذا الموضوع إلى حين اكتمال النبوءات التوراتية بقيام مملكة الألف عام السعيدة ، وصارت أكثر التزامًا بتوفير جهودها لتحقيق شرعية الدولة اليهودية وحقها فى أرض إسرائيل بما فى ذلك الضفة الغربية . فاحتلال القدس لم يزل الخطوة قبل الأخيرة لنهاية التاريخ ، إذ إن الخطوة الأخيرة هى إعادة بناء المعبد القديم فوق موقعه التاريخى القديم وهو المكان نفسه الذى يقام عليه الآن المسجد الأقصى ، وهكذا فإن التراث اليهودى للمسيحية الأمريكية كما يقول بول فندلى جعل الكثيرين من الأمريكيين يشعرون بأن إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م جاء كتحصيل للنبوءات التوراتية و أن الدولة اليهودية ستظل تلعب دوراً مركزيا فى مخطط السماء والأرض ، و أن انتصار إسرائيل العسكرى فى حرب سنة ١٩٦٧ و احتلال القدس تأكيد للنبوءات التوراتية والخطوة قبل الأخيرة للمجىء الثانى للمسيح .

وفى عام ١٩٧٠م أصدر النصرانى الصهيونى هال ليندسى كتابه الشهير « كوكب الأرض العظيم الراحل » الذى باع عشرات الملايين من النسخ والذى تحول إلى فيلم سينمائى فيما بعد وأورد الكتاب أن « أهم إشارة لنهاية التاريخ و المجىء الثانى للمسيح هو عودة اليهود إلى أرض إسرائيل بعد آلاف السنين ، وذكر أن الاتحاد السوفييتى هو ياجوج الذى تعاون معه العرب وحلفاؤهم لمهاجمة إسرائيل ، و أن قوة إسرائيل ستنتصر على قوى الشر تمهيداً للمجىء الثانى للمسيح المنقذ ، بعد معركة هرمجدون فى سهل المجد فى فلسطين . وصولا إلى الخطوة الأخيرة وهى إعادة بناء المعبد القديم فوق

---

(١) مجلة (المسيحية اليوم) فى ٢١ من يوليو سنة ١٩٦٧ .

موقعه التاريخى الذى تقوم عليه الآن قبة الصخرة. ومع صعود النصرانية الصهيونية والأصولية الأمريكية فى السبعينات كقوة سياسية مؤثرة تشكلت منظمات نصرانية صهيونية مساندة ومدعمة لإسرائيل ربطت بين بقاء إسرائيل وبقاء أمريكا عظيمة باعتقاد أن الرب يبارك أمريكا لأنها تدعيم لإسرائيل، وتشكل تلك المنظمات ما يمكن تسميته «اللوبى النصرانى الصهيونى».

ازدهار الصهيونية النصرانية أو (الإحياء الأصولى) بأمريكا :

فى حركة كنسية رافضة للحداثة ومؤكدة لعمق القواعد الصهيونية فى وجدان المجتمع الأمريكى أسس (كارل ماكنتاير) عام ١٩٤١م منظمة «المجلس الأمريكى للكنائس النصرانية» "American Council of Christian Churches- ACCC" فى مقابل «المجلس الفيدرالى للكنائس» ووصف المجلس الأمريكى للكنائس نفسه بأنه بشارة متشددة ومعادية للحداثة. وضغط المجلس الأمريكى للكنائس على لجنة الاتصالات الفيدرالية لاقتسام وقت البث الإذاعى المسموح به للبروتستانت بين الأصوليين والمجلس الفيدرالى للكنائس. وبعد عام تأسس «الاتحاد الوطنى للايفانجيليين "National Association of Evangelicals" الذى شارك المجلس الأمريكى للكنائس فى الاعتقاد بحرفية الكتاب المقدس وصدق النبوءات والرؤى التى تعتمد عليها الأفكار الصهيونية. وفى عام ١٩٤٣ م تأسس مقر هذا الاتحاد الوطنى بشيكاغو وافتتح الاتحاد الوطنى للإيفانجيليين (وهو من أهم مراكز النصارى الصهاينة) مكتبا له فى واشنطن مهمته إرسال الإرساليات إلى الخارج. وبحلول منتصف الأربعينات كان الاتحاد الوطنى للايفانجيليين يضم عضوية ٤٣ تجمعًا كنسيًا بالإضافة إلى ١٠٠ كنيسة منفردة.

لقد بدأ عقد الستينات بحملة معادية للشيوعية قادها الاتحاد الوطنى للإيفانجيليين بتنظيم برامج لتجمعاته الكنسية التى وصلت ٤١ تجمعًا وضمت عشرة ملايين من النصارى الصهاينة، ومن جهة أخرى أعلن المرشح الديمقراطى الكاثوليكى كنيدى التزامه بفصل الكنيسة عن الدولة، ومعارضته لأى تمويل حكومى للمدارس الدينية، وبأنه لن يرسل بعثة دبلوماسية أمريكية لدى الفاتيكان، وبذلك اجتذب (النصارى

الصهاينة) البروتستانت واليهود الليبراليين إلى جانب الكاثوليك، وشن الاتحاد الوطنى للإيفانجيليين حملة ضد كنيدى لأنه المرشح الرئاسى الكاثوليكى فى مؤتمر عقد فى واشنطن عام ١٩٦٠م باعتبار أن ترشيح كنيدى يمثل تدخلا خطيرا من الفاتيكان فى السياسة الأمريكية و أن كيندى كرئيس سيصبح دمية للكنيسة الكاثوليكية بحد زعمهم، وبمجرد فوز كنيدى فى الانتخابات الرئاسية حاول تهدئة مخاوف الإيفانجيليين تجاهه فحضر مع عدد من معاونيه فى البيت الأبيض (بأكثر من العدد الذى كان يحضر به أيزنهاور) صلاة الإفطار السنوى مع الإيفانجيليين. وقبل رحلته إلى أمريكا اللاتينية عام ١٩٦٢ م دعا كنيدى القس (بيلى جراهام) إلى البيت الأبيض وقال له مازحا: « سأكون لك يوحنا الرسول ». وحتى اليوم لا يستطيع أى مرشح للرئاسة الأمريكية سواء كان جمهوريا أو ديمقراطيا إلا أن يغازل النصارى الصهاينة وقدم لهم فروض الولاء والطاعة.

ويذكر رضا هلال أيضًا أن التطورات الاجتماعية والسياسية فى الستينات ودخول أمريكا فى فيتنام أدى إلى انقسام حاد فى المجتمع الأمريكى وهو ما أدى إلى انقسام أشد داخل النصرانية الأمريكية، فالليبراليون دافعوا عن فكرة العمل المباشر مثل الاعتصام والمظاهرات، بينما ركز المحافظون على تأثير الدين على الضمير الفردى بيد أن التغيرات الاجتماعية فى أمريكا قادت إلى صحوة إيفانجيلية للرد على تحديات اجتماعية داهمة مثل المساواة بين المرأة والرجل والحرية الجنسية وحق الإجهاض والمثلية الجنسية.

منظمات اللوبى النصرانى الصهيونى، ودورها بالسياسة الأمريكية

منذ فجر التاريخ الأمريكى وللنصرانية الصهيونية البيوريتانية « التطهرية » ثم الإيفانجيلية الأصولية تأثيرها فى جعل الاعتقاد ببعث الدولة اليهودية قبل المجىء الثانى للمسيح يشكل جزءًا من مصفوفة التاريخ الفكرى الأمريكى. وهذا الاعتقاد البروتستانتى الأمريكى القائم على التفسير الحرفى للنبوءات التوراتية تحول إلى حركة نصرانية صهيونية سبقت الصهيونية اليهودية فى الدعوة إلى قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين مع مؤتمر بازل سنة ١٨٩٧م، كما أوضحنا سابقًا، كما ظهر « اللوبى النصرانى

الصهيونى » فى الولايات المتحدة قبل ظهور « اللوبى اليهودى » بعقود وليصبح أكثر نفوذًا وتأثيرًا فى تسعينات القرن العشرين بتغلغله داخل الحزب الجمهورى الذى سيطر على مجلسى الكونجرس منذ عام ١٩٩٤م. إلى أن وصل البيوريتانيون الجدد أو من أطلق عليهم المحافظون الجدد، و هم ممن يسمون بالمولودين من جديد، حيث كانوا عصاةً وفاسقين ثم أعلنوا توبتهم وعودتهم لحظيرة الإيمان.

إن جماعات الضغط تلعب دورًا مهمًا فى النظام السياسى الأمريكى وفى العمليات السياسية بمحاولة التأثير على صانعى القرار فى النظام السياسى من أجل تحقيق أغراضها ومصالحها فهناك الجماعات التى تعبر عن مصالح الشركات أو نقابات العمال أو المزارعين أو المنظمات المهنية أو التنظيمات العرقية والدينية أو تلك التى تحارب التمييز. وتستخدم جماعات الضغط وسائل متنوعة فى ممارسة نشاطها منها وسيلة «اللوبى» إذ يتولى تقديم المعلومات بهدف الإقناع والتأثير فى قرارات الآخرين وبخاصة فى المؤسستين التشريعية والتنفيذية فضلا عن التأثير فى الجماهير من خلال تأثيرها فى اتجاه الفرد ورأيه ومواقفه السياسية وكذلك فى التنظيمات الجماعية الأخرى والتأثير لإنجاح تأييد مرشحين فى الانتخابات وتقديم المساعدات المالية والمعنوية والإعلامية فى سبيل ذلك.

وما يطلق عليه « اللوبى اليهودى » يقصد به أساسا اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة « إيباك » American Israel Public Affairs Committee التى أسسها سى كينين عام ١٩٥١ م، وكان اسم المنظمة فى مرحلة التأسيس لجنة العلاقات الأمريكية- الصهيونية. ولم يجد مؤيدو إسرائيل فى تلك الفترة تعاونا من وزارة الخارجية الأمريكية لتقديم المعونات للدولة الجديدة فكان من اللازم إقناع أعضاء الكونجرس الأمريكى بدعم إسرائيل من خلال المساعدات الخارجية التى تقدم بموافقة أعضاء الهيئة التشريعية. ولم ندرج هذه المنظمة ضمن منظمات النصارى الصهاينة لأنها نشأت على يد المنظمات اليهودية الصهيونية، ولكنها اليوم منظمة صهيونية تضم كلا من النصارى واليهود، ويتنافس كلٌ منهما ويتسابق على خدمة المآرب الصهيونية وخدمة إسرائيل. وإلى القارئ نسوق تاريخ تلك المنظمة ذات أكبر دور فى خدمة المصالح الإسرائيلية بإمريكا.

وشهد عام ١٩٦٧م ارتفاعا حادا فى نشاط إيباك حيث استطاعت المؤسسة جذب انتباه المجتمع السياسى الأمريكى لنجاح الدولة الإسرائيلية فى هزيمة الجيوش العربية، وبالفعل استجاب أعضاء الساحة السياسية ونضجت العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية بشكل كبير خلال هذه الفترة خاصة بعد إحياء الروابط الدينية الصهيونية الراسخة بالمجتمع الأمريكى.

كانت فترة رئاسة ريجان عهد التطور الذهبى لإيباك حيث ارتفع عدد أعضائها من ٨٠٠٠ إلى ٥٠٠٠٠ عضو بين ١٩٨١ و١٩٩٣م. وازدادت الميزانية السنوية للمنظمة من مليون دولار إلى ١٥ مليون دولار فى نفس الفترة (حيث إن معظم التمويل يأتى من التجمعات اليهودية الأمريكية إما من خلال التبرعات أو من خلال رسوم الاشتراكات ومبيعات منشورات المنظمة. ولذلك دعم صعود الوجهة السياسية للمنظمة مواردها المالية). ويقال إن إيباك لعبت دورا كبيرا فى الثمانينات فى إقناع أعضاء الكونجرس بالموافقة على مساعدة سنوية لإسرائيل قيمتها ٣ مليار دولار. ومع هذا التوسع دعمت إيباك إنشاء مركز أبحاث مشهور وهو معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى Washington Institute for Near East Policy عام ١٩٨٥م. وكان الهدف منه نشر الأبحاث المؤيدة للموقف الإسرائيلى والداعمة لها.

لإيباك اليوم حوالى مئة ألف عضو بأنحاء الولايات المتحدة. وتصرح المنظمة من خلال موقعها الاليكترونى بأن مقابلات إيباك مع أعضاء الكونغرس الأمريكى تصل إلى ٢٠٠٠ مقابلة فى السنة الواحدة وتنتج عنها عادة ١٠٠ تشريع محاب لإسرائيل على حد تعبير الموقع. وكما ذكرنا للمنظمة مكاتب إقليمية عديدة خارج نطاق العاصمة الأمريكية. وتقدر قيمة ميزانية إيباك السنوية بـ٤٠ مليون دولار.

وتحاول المنظمة تحقيق هذه الأهداف من خلال النشاطات السياسية المختلفة ومنها الاجتماع بأعضاء الكونغرس وإقامة علاقة جيدة معهم. كما تعرف المنظمة ببرامجها التعليمية وتضمن برنامجا سنويا يسعى لتوعية الشباب الأمريكى عن العلاقات مع إسرائيل ويشمل المشروع دورة تدريبية عن كيفية إدارة نشاطات مؤثرة لجلب التأييد العام للقضايا المتعلقة بإسرائيل. كما تصدر إيباك «تقرير الشرق الأدنى» وهى مجلة تنشر كل أسبوعين وتناقش أهم المواضيع الجارية فى مجال العلاقات الأمريكية-

الإسرائيلية. ورئيس تحرير المجلة هو رافاييل دانزيجر، وهو مؤلف كتاب «عبد القادر والجزائريون: من مقاومة الفرنسيين إلى التعزيز الداخلى». وتقدم إيباك العديد من التقارير لتزويد صناع القرار بمعلومات عن التطورات بمنطقة الشرق الأوسط وتأثيرها على مصالح الدولة الإسرائيلية وعلاقتها بالولايات المتحدة.

ومن أهم النشاطات التى تقوم بها المؤسسة هى المؤتمر السنوى الذى ذكرناه فى بداية التقرير. وهذا الحدث يعتبر من أكبر التجمعات لكبار شخصيات المجتمع الواشنطونى حيث ينضم إلى هذا الاحتشاد زعماء الكونغرس الأمريكى إلى جانب كبار صناع القرار الأمريكى. وهناك حوالى ٣٠٠ منظمة يهودية فى الولايات المتحدة تمارس أعمالا إنسانية داخل الوسط اليهودى. ولكن الانتماء الصهيونى سرى فى طريقة الحياة الأمريكية وتخلل نسيجها قبل عقود من ظهور « اللوبى اليهودى » ويفصح عن مدى ذلك التغلغل ما أظهره الجمهور الأمريكى العريض من تحمس بالغ للانتداب البريطانى على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى ثم إدانته عالية الصوت لسياسة بريطانيا فى فترة ما بين الحربين تجاه فلسطين، كلما بدا أن تلك السياسة خرجت عن خط بلفور بل إن الواقع على الصعيدين التنفيذى والتشريعى أى الإدارة والكونجرس أظهر أن الانتماء الصهيونى بات مرادفًا فى أذهان كثيرة لكون المرء أمريكيا، بل أمريكيا كما ينبغى أن يكون الأمريكى.

وقد نشطت الحركة النصرانية الصهيونية الأمريكية فى إنشاء منظمات ولجان نصرانية تستخدم اسم فلسطين وتهدف إلى تعبئة الرأى العام وممارسة الضغط على الإدارة والكونجرس لمصلحة الصهيونية السياسية قبل ظهور اللوبى اليهودى وكانت من أوائل تلك المنظمات واللجان منظمة فيدرالية أمريكا الموالية لفلسطينPro-Palestine Federation of America التى أسسها القس تشارلز رسل عام ١٩٣٠ للدفاع عن الوطن القومى لليهود. وتبنت المنظمة مؤتمرًا أسمته « المؤتمر المسيحى الأمريكى » عقد بمدينة نيويورك فى ١٥ ديسمبر ١٩٣٦م، وحضره أكثر من ٢٠٠ شخصية من المسئولين الحكوميين ومن رجال الدين وأصدر المؤتمر إعلانا يطالب المجتمعات المتحضرة بمساعدة اللاجئين اليهود الفارين من ألمانيا وأوروبا الشرقية لدخول فلسطين ملاذهم الطبيعى.

وفى عـام ١٩٣٢م تأسست (اللجنة الفلسطينيـة الأمريكيـة American Palestine Committee) بهدف حشد المؤيدين للصهيونية من غير اليهود وتطوير وعى الرأى العام بالصهيونية وأغراضها وإنجازاتها فى فلسطين وقد ترأس اللجنة عام ١٩٤٢ م السناتور روبرت واجنر ومعه زعيم الأقلية تشارلز ماكمارى وضمت فى عضويتها ٦٨ من أعضاء مجلس الشيوخ وأكثر من ٢٠٠ من أعضاء مجلس النواب وعشرات من رجال الدين .

وفى عـام ١٩٤٢م تشكلت منظمة نصرانية صهيونية أطلق عليها اسم (المجلس المسيحى الفلسطينى (Christian Council on Palestine وكان معظم أعضائها من القساوسة البروتستانت واستهدفت توجيه الاهتمام نحو فلسطين كملجأ وحيد لليهود كأرض موعودة ومعتمدة بوعد بلفور ، وفيما بعد اندمجت اللجنة الفلسطينية الأمريكية مع المجلس المسيحى الفلسطينى فى منظمة جديدة عرفت باسم « لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية » .

وفى نفس العام تأسس « الاتحاد الوطنى للإيفانجيليين » الذى أصبح فيما بعد معقل النصرانية الصهيونية الإيفانجيلية الأصولية ، إذ قام على الاعتقاد بحرفية الكتاب المقدس بما فى ذلك النبوءات التى تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين قبل المجىء الثانى للمسيح كما أفرز الاتحاد الوطنى للإيفانجليين منظمات وزعامات نصرانية صهيونية حشدت البروتستانتية الأمريكية المحافظة ولعبت دوراً مهمًا فى السياسة الأمريكية داخليا وخارجيا يفوق دور « اللوبى اليهودى » فالإيفانجيلية «الأصولية» انطلقت من مبدأ عصمة الكتاب المقدس ، وتحولت لأن تصبح نصرانية صهيونية تعتقد بصحة النبوءات التوراتية حول نهاية العالم وإحلال مملكة جديدة بعد العودة الثانية للمسيح « معركة هرمجدون » وضرورة تجميع اليهود فى الأرض المقدسة قبل عودة المسيح . لذلك سعت قبيل إنشاء الدولة اليهودية لدعم الاتجاهات الصهيونية لدى الرأى العام الأمريكى وممارسة الضغوط السياسية على الإدارة الأمريكية من أجل مصلحة إقامة دولة يهودية فى فلسطين مستخدمة من أجل ذلك كل وسائل النشر المتاحة و الندوات والإعلانات والعرائض وبعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م اعتبرت الإيفانجيلية الأصولية ذلك الحدث تجسيداً لصحة نبوءات التوراة والاعتقاد بقرب المجىء الثانى للمسيح ليحكم

العالم فى الألفية السعيدة، وصارت الإيفانجيلية الأصولية ترى فى دعم وتثبيت دولة إسرائيل تعجيلا و تسريعا ليوم الخلاص بعودة المسيح، وبدلا من تنصير النصارى قبل مجىء المسيح حسب الاعتقاد الإيفانجيلى فقد رأت الحركة النصرانية الصهيونية والأصولية تأجيل هذا الموضوع وركزت جهودها على تأكيد شرعية دولة إسرائيل على أساس الاعتقاد بأنها قامت وفقا للنبوءات التوراتية وتأكيداً لحق إسرائيل فى أرض الميعاد بما فيها القدس. وظهر العديد من المنظمات مثل :

منظمة (الأغلبية الأخلاقية - The Moral Majority)

أسسها القس والواعظ التليفزيونى (جيرى فالويل) منظمة الأغلبية الأخلاقية عام ١٩٧٩م لنشر الأخلاق الدينية ولذلك استهدفت معارضة كل من الإجهاض والمثلية الجنسية وتقنين حقوق اللواطيين والسحاقيات والمطالبة بإيقاف الحظر على الصلاة فى المدارس وفى مجال السياسة الخارجية استهدفت الأغلبية الأخلاقية محاربة الشيوعية وتوفير دفاع قوى للولايات المتحدة ومعارضة التجميد النووى بزعم أن العالم بانتظار معركة هرمجدون نووية بين قوى الخير والشيطان وتمثل إسرائيل موقعا بارزاً فى برنامج الأغلبية وخطاب مؤسسها جيرى فالويل. فالبرنامج يتضمن دعم إسرائيل دون شرط وكما قال فالويل : فإن البرنامج ومنظمته وسيلة لحماية وتطوير الموقف بجانب الشعب اليهودى وإسرائيل. وسيرد ذكر هذه المحطة التليفزيونية الكنسية فى الفصل التالى.

كان لمنظمة الأغلبية الأخلاقية قيادة على المستوى القومى برئاسة فالويل تسمى « القيادة القومية للأغلبية الأخلاقية » وفروع فى كل أنحاء الولايات المتحدة وقد تملكت « الأغلبية الأخلاقية » نظاما متطورا للتنظيم والاتصال فوصل عدد أعضائها إلى ٦,٥ مليون أمريكى علاوة على اتصالاتها بالبيت الأبيض والكونجرس وسلكت المنظمة مسلك « اللوبى » بما فى ذلك تأمين الدعم المالى للمرشحين للمناصب السياسية ممن يؤيدون وجهة نظرها، وتمكنت « الأغلبية الأخلاقية » من مخاطبة الأمريكيين وتوعيتهم من خلال شبكة فالويل الإذاعية والتليفزيونية الدينية، وتعبئة الملايين من غير المهتمين بالعمل السياسى للانخراط فيه، وممارسة الحقوق الانتخابية إضافة إلى

أساليب الضغط المكثف فى الكونجرس سواء لإنجاح مشروع أو مرشح مؤيد لها أو إفشال المعارضين.

السفارة النصرانية الدولية International Christian Embassy

جاءت ولادة هذه المنظمة النصرانية الصهيونية عام ١٩٨٠ م بعد قرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل فى العام نفسه. وتضمن المنشور التأسيسى للمنظمة ما نصه: « من الواضح أن الرب وحده هو الذى أنشأ هذه السفارة النصرانية الدولية وفى هذه الساعات الحرجة من أجل الراحة لصهيون ».

واختصر مؤسس المنظمة ورئيسها (جان فان ديرهوفن) أهدافها بإعلانه: « إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم وإن القدس هى المدينة الوحيدة التى تحظى باهتمام الرب، وإن الرب قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد ». ويرى أعضاء هذه السفارة أنه إذا لم تبق إسرائيل فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثانى، ولا تكتفى هذه المنظمة بدعمها وجود إسرائيل بل تدعم سياساتها التوسعية بما فيها اعتبار الضفة وغزة حقوقا أعطاها الرب للشعب اليهودى. وتنظم السفارة احتفالا سنويا بالعيد اليهودى المسمى عيد العريش Tabernacles فى القدس وتحشد الآلاف من النصارى فى جميع أنحاء العالم للمشاركة كتعبير عن التأييد لإسرائيل ولسياستها. بيد أن أهم أنشطة هذه المنظمة هو « المؤتمر النصرانى الصهيونى الدورى » الذى تعقده فى المكان نفسه الذى انعقد فيه أول مؤتمر صهيونى يهودى فى مدينة بازل فى سويسرا سنة ١٨٩٧م.

وفى المؤتمر النصرانى الصهيونى الأول الذى عقد عام ١٩٨٥م صدرت عدة قرارات منها دعوة كل الأمم للاعتراف بإسرائيل، واعتبار يهودا والسامرة جزءاً من إسرائيل بالحق التوراتى والمطالبة بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل ودعوة مجلس الكنائس العالمى فى جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التى تربط بين الشعب اليهودى وبين أرضه الموعودة، وكذلك بالبعد التوراتى لدولة إسرائيل.

وفى المؤتمر الثانى الذى عقد فى القدس عام ١٩٨٨م بمناسبة الذكرى الأربعين لقيام إسرائيل أعلن أعضاء المؤتمر فى بيانهم الختامى: الحب لإسرائيل وللشعب اليهودى-

الحق المقدس لليهود بأن يعيشوا أحراراً فى أرض إسرائيل كلها بما فيها يهودا و السامرة- تشجيع عودة الشعب اليهودى كله من الشتات استجابة لدعوة الرب- حث الدول جميعها على الاعتراف بإسرائيل وإقامة سفاراتها فى القدس، ودعوة الأمم إلى دعم إسرائيل اقتصاديا والحث على الاستثمار فيها.

وقد أنشأت المنظمة صندوقا دوليا للاستثمار من أجل تطوير الاقتصاد الإسرائيلى فى مجالات السياحة والصناعة عالية التكنولوجيا وتشجيع استيراد البضائع الإسرائيلية، ومن أجل ذلك تعهدت بحث الأمم النصرانية على عدم الخضوع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل. وأقامت المنظمة مراكز لها فى أكثر من ٤٠ دولة فى العالم وفى الولايات المتحدة وحدها يوجد لهذه المنظمة ٢٢ فرعًا فى ٢٢ ولاية وفى كل فرع كاهن أو أسقف برتبة قنصل ومهمته تنظيم التجمعات والتظاهرات المؤيدة لإسرائيل، وجمع المساعدات والتبرعات وبيع سندات الدعم لإسرائيل.

مؤسسة جبل المعبد Temple Mount Foundation

ربما تكون مؤسسة جبل المعبد أكثر المنظمات النصرانية الصهيونية الأمريكية صهيونية وأنشأت أيضا فى أوائل الثمانينات، ومقرهذه المؤسسة فى لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا، وهدفها إقامة المعبد أى إعادة بناء هيكل سليمان فى القدس، ويتولى إدارة شئونها مليونير أمريكى وأحد أقطاب صناعة النفط فى ولاية أوكلاهوما يدعى (تيرى رايز نهوفر). ويتفرع عن المؤسسة « اللجنة الإيفانجيلية » وتعمل فى مدينة القدس وتترأسها قيادة ثلاثية تضم إضافة إلى رايز نهوفر رجل أعمال من كاليفورنيا هو (تشاك كريجر) ورجل دين بروتستانتى أصولى هو (جيمس دبلوش).

وقد دافعت اللجنة عام ١٩٨٣م عن المعتقلين من الإسرائيليين المتطرفين الذين قاموا بتخريب وإتلاف جزء من المسجد الأقصى. ويشكل بناء المعبد اليهودى (الهيكل) عند هذه المنظمة واحدة من آخر الإشارات التى تسبق المجىء الثانى للمسيح. ومن أجل هذه الغاية تقوم مؤسسة جبل المعبد بتجميع الأموال من الأمريكيين لشراء الأراضى فى القدس و الإنفاق على إعداد عدد من رجال الدين اليهود وتدريبهم على أنظمة الهيكل وقوانين ذبح القرابين وإحراق البخور كما ساهمت المؤسسة فى مشروع تصميم الهيكل

حيث تم تصميم مجسم له فى حجم غرفة كاملة وبموجب التصميم المعتمد يقوم الهيكل مكان المسجد الأقصى كما يبين التصميم موقع قدس الأقداس، أى المكان الذى يقال إنه كانت فيه الألواح المقدسة التى تضمنت الوصايا الإلهية. ويتمتع رايز نهوفر ومجموعته بصلات واسعة مع المنظمات والقيادات النصرانية والصهيونية وله منافذ سالكة إلى البيت الأبيض.

مؤتمر القيادة النصرانية الوطنية لأجل إسرائيل :

The National Christian Leadership Conference for Israel

نشأت هذه المنظمة عام ١٩٨٠م من تجمع عدة جماعات ومنظمات نصرانية صهيونية متفرقة بالولايات المتحدة الأمريكية، ويقول بول فندلى : إن الهدف من ذلك التجمع الاهتمام ببقاء ودعم إسرائيل ورفاهيتها و يمارس المؤتمر نشاطه بأشكال وأساليب متعددة منه النشاطات اللاهوتية والمؤتمرات والمسيرات ووسائل الضغط المنظمة والإعلانات. وتقيم هذه المنظمة مؤتمراً سنويا فى واشنطن العاصمة لخدمة إسرائيل وعادة ما يحضره أعضاء من الكونجرس، وقد دعا المؤتمر فى يونيو عام ١٩٨٢ م للتظاهر دعما لغزو إسرائيل للبنان، وبالفعل شملت التظاهرات عدة مدن أمريكية مطالبة بدعم إسرائيل عسكريا واقتصاديا ونفهم حاجة إسرائيل لحماية شعبها ضد الإرهاب ثم قامت المنظمة بحملة إعلانية فى صحيفتى « واشنطن بوست » و « نيويورك تايمز » وعدد آخر من الصحف الأمريكية تحت عنوان « نصارى متضامون مع إسرائيل ».

وفى المؤتمر الذى عقدته المنظمة عام ١٩٨٢م فى واشنطن العاصمة صدر بيان ختامى يؤيد إسرائيل واليهود ويؤكد الالتزام بأمن إسرائيل « وبأن كل الأراضى المقدسة هى ملك للشعب اليهودى وأن القدس هى العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل التى لا يجوز تدويلها أو أن تكون محلا للتفاوض أو الحلول الوسط و أن الشعب اليهودى فى أى مكان سيظل شعب الله المختار الذى يبارك الرب من يباركه ويلعن من يلعنه. وفى ذكرى مرور أربعين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية أصدرت المنظمة بيانًا وجهته إلى جميع النصارى، ونُشِرَ كإعلان فى صحيفة نيويورك تايمز جاء فيه :

« اعطوا اهتماما خاصا لمعنى إسرائيل فى فكر الشعب اليهودى وعقيدته وحياته خلال تاريخه الطويل وارفعوا أصواتكم عالية ضد اللاسامية التى تختفى وراء معادة الصهيونية .

واعتبر البيان أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بإعلان الصهيونية شكلا من العنصرية فضيحة لابد من إزالتها من سجل الأمم المتحدة . (و هذا ما قد حدث بعد ذلك فعلا نتيجة للضغوط النصرانية الصهيونية ، فإن الأمم المتحدة تراجعت عن هذا الإعلان واعتباره كأن لم يكن) .

ويضم اللوبى النصرانى الصهيونى فى الولايات المتحدة منظمات أخرى أصغر - أذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر :

منظمة « نصارى متحدون من أجل إسرائيل »

نشأت هذه المنظمة بهدف تعزيز الموقف النصرانى الصهيونى ودعم إسرائيل . ماليًا وإعلاميًا ، وفى الشارع السياسى الأمريكى . وهى منظمة فى نمو مطرد ومستمر .

المصرف النصرانى الأمريكى لأجل إسرائيل

The American Christian Trust for Israel

وهو مصرف أنشئ لنقل الأموال الأمريكية مباشرة إلى إسرائيل واستخدام التبرعات فى شراء الأراضى فى الضفة الغربية وبناء المستوطنات وتوسيعها .

« عصبة الصداقة الإسرائيلية الأمريكية »

ومقرها نيويورك و يضم مجلس إداراتها أكثر من ٥٠ نائبا بالكونجرس وحكام بعض الولايات وتعمل من أجل استمرار ومتانة العلاقات الإستراتيجية والأخلاقية والتاريخية مع إسرائيل . وتنظم العصبة الندوات والمؤتمرات وورش العمل « لتطوير وتعميق قواعد فهم أفضل لحاجات وأهداف إسرائيل » .

منظمة « وسطاء لأجل إسرائيل »

ومقر هذه المنظمة فى كنساس وتعتبر نفسها المؤسسة القومية لأصدقاء إسرائيل من النصارى، وتقوم بعقد ندوات وإقامة الصلوات لمصلحة إسرائيل فى المدن الرئيسية وإرسال العرائض من أجل دعم إسرائيل إلى البيت الأبيض.

جمعية العائلة الأمريكية : American Family Association (AFA)

أسسها القس (دونالد وايلدمان) راعى الكنيسة المشيخية المتحدة. وهى إحدى أهم كنائس النصارى الصهاينة، وقد تكونت فى الأصل من مجموعة « الاتحاد الوطنى للاحتشام »، الذى عرف بانتقاد الثقافة العامة والدعوة إلى الاحتشام، خاصة فيما يقدم فى عروض على شاشات السينما والتليفزيون. وفى السنوات الأخيرة وجهت المنظمة نقدها لمبدأ فصل الكنيسة عن الدولة باعتبار أنه مبدأ مشكوك فيه من الناحية التاريخية، وإلى جانب الهجوم على الفصل بين الكنيسة والدولة أسست المنظمة جهازًا للمساعدة القانونية للطعن فى التشريعات التى تراها مخالفة للقيم النصرانية الصهيونية المحافظة.

والجدير بالذكر أن لهذه الجمعية ذات النشاط التبشيرى الواسع بالدول الإسلامية خاصة العراق بعد الاحتلال شعارًا تضعه كلوحة تهكمية ثابتة على موقعها الإليكترونى تقول : «هل الإسلام دين سلام ؟». فإجابة الجمعية على هذا السؤال بالنفى طبعًا، فالقس الراعى كان يقول قبل غزو العراق : « نود الذهاب إلى العراق بعد أن نجمع لهم الأموال لمساعدتهم على إعادة بناء بلدهم، ونعرّفهم أن نصارى أمريكا يهتمون بهم، ويريدون مساعدتهم على التخلص من الطغيان ». وأقول للقس رقيق القلب مرهف الحس : إن قنابلكم النصرانية كانت أصدق حديثًا منكم. وعليك أن تطالع صور الخراب الذى أحدثتموه بالبلاد . وصور الرحمة الصليبية الصهيونية بسجن أبى غريب، وكيف يضع جنودكم وشم الصليب على كتف، ووشم نجمة داود على الكتف الآخر. . وأسألك بدورى بعدها. . . . هل نصرانيتك ديانة سلام ؟

شالسيدون Chalcedon

تعتبر شالسيدون أكبر منظمة بين منظمات الإحياء الأصولى فى الولايات المتحدة تشدداً ويقودها اللاهوتى والكاتب (روساس جون رشدونى)، وتنطلق المنظمة من مبادئ كالفينية متطرفة. وترفض تعدد تفاسير نصوص الكتاب المقدس بل وتصف التعددية بأنها كلمة قذرة بدعوى أنها تحمى الهرطقة بتفسيرات متعددة، كما تهاجم المنظمة مبدأ الحرية الدينية ومبدأ التسامح الدينى لأنهما يعطيان الفرصة للفرد لارتكاب أخطاء لاهوتية، ويقول رشدونى : إنه باسم التسامح الدينى قد يطلب من المرء المؤمن أن ينخرط فى القبول العام بالملحدين والمنحرفين والمجرمين وأتباع الأديان الأخرى كما أنه لا توجد فروق بينهم، وورد فى مجلة المنظمة أن النصرانى ينبغى أن يعرف أن التعددية هى خرافة، إن الرب وقانونه يجب أن يحكما الأمم. وتدافع المنظمة عن تطبيق عقوبتى الإعدام والرجم فى المخالفات الدينية مثل الزنا والمثلية الجنسية والهرطقة واتباع مذاهب أو أديان مخالفة لمعتقدهم

مواطنون من أجل رفعة التعليم : Citizens for Excellence in Education

يرأس هذه المنظمة أحد رجال التعليم وهو (روبرت إل- سيموندس)، وتعتبر المنظمة أن الفصل بين الكنيسة والدولة مجرد « خرافة اشتراكية » وتقود حملات ضد المدارس العامة. وللمنظمة فروع فى معظم الولايات، وتدعو إلى رفعة التعليم إلا أنها تهاجم التعليم العام وتدافع عن القيم النصرانية الصهيونية المحافظة. وتركز نشاطها من أجل فوز نشطاء النصارى الصهاينة بمجالس المدارس وتذكر مطبوعاتها أن ألفين من أتباعها تم انتخابهم فى مجالس المدارس فى مختلف الولايات.

وهكذا يظهر حرص النصارى الصهاينة من الانتشار والتوغل فى كافة التجمعات بالمجتمع الأمريكى خاصة التجمعات والمؤسسات التعليمية أوالمؤسسات الإصلاحية لينشئوا أجيالا تدين بالولاء للفكرة الصهيونية، وتترعرع الأجيال فى كنف الولاء والانتماء لإسرائيل والصهيونية.

الائتلاف من أجل الإحياء Christian Coalition on Revival

تعتبر هذه المنظمة ضمن منظمات الإحياء الأصولى التى تعتقد فى حرفية نصوص الكتاب المقدس وصلاح القوانين التى يرون أنها إلهية للمجتمع المعاصر و تدعو المنظمة التى يقودها (جازى جرمستيد) أعضاءها إلى إقامة حكومة تطبق تفسيرهم للكتاب المقدس وهى منظمة متطرفة فى رفضها لمبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة (العلمانية).

لتركيز على المرأة من أجل أمريكا Concerned Women for America

تقود هذه المنظمة الناشطة الأصولية(بيفرلى ليهى) زوجة القس (تيم ليهى) ويصل أعضاء هذه المنظمة حوالى ٧٠٠ ألف شخص. و تهاجم المنظمة « الحياة العلمانية » بشكل عام، والغريب أن الدعوة للعلمانية فى بلادنا العربية تصور لنا على أنها درب من دروب التنوير، وأن معارضة العلمانية ضرب من دروب التخلف. كما تدعو المنظمة إلى مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، و تركز على حظر الإجهاض والقيم العائلية المحافظة، وإباحة الصلاة فى المدارس، ومعارضة المثلية الجنسية وقبل انهيار الاتحاد السوفيتى نشطت المنظمة فى معاداة الشيوعية، وتقدم ليهى برنامجا إذاعيا دينيا كل يوم يبث من المحطات الإذاعية النصرانية فى مختلف الولايات.

التركيز على العائلة Focus on the Family

يقود هذه المنظمة عالم النفس النصرانى الصهيونى (جيمس دوبسون) وقد بدأت المنظمة فى نهاية السبعينات كمركز أبحاث للآباء النصارى المهتمين بتقوية الروابط العائلية. وأنتج دوبسون مطبوعات وكتب عن تربية الأطفال والحياة العائلية استطاع بها جذب المؤيدين والأتباع إلى المنظمة وفى الثمانينات أصبح للمنظمة دور سياسى ضمن « اللوبى النصرانى» وفى حين أن المنظمة تركز على قيم العائلة الدينية إلا أن انشغالها بقضايا الإجهاض والمثلية الجنسية والتعليم العام جعلها قوة مؤثرة داخل تيار اليمين السياسى، فالمنظمة تطبع كتبًا وشرائط فيديو للدعاية ضد مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة كما أصبحت لها شبكة تنظيمية على المستوى القومى واتصالات مع الكنائس المحافظة

مما جعلها قوة تصويتية مؤثرة على مستوى الولايات فى انتخابات مجالس المدارس والمدن وتصدر المنظمة مجلة المواطن Citizen ويقدم دوبسون برنامجا إذاعيًا تبثه مئات المحطات الإيفانجيلية بمختلف الولايات الأمريكية.

مجلس أبحاث العائلة Family Research Council

يدير جارى بوير الذى عمل مساعدا للرئيس ريجان فى وزارة التعليم هذا التنظيم، ويدافع عن القيم الدينية للعائلة الأمريكية، ويعارض الإجهاض وحظر الصلاة فى المدارس والمثلية الجنسية وقد لعب المجلس دورًا نشطا فى إقرار الكونجرس لقانون الحرية من الاضطهاد الدينى. ويصدر المجلس منذ عام ١٩٩٢م نشرة شهرية باسم (واشنطون ووتش Washington Watch) ويرتبط مجلس أبحاث العائلة بمنظمة التركيز على العائلة بروابط قوية إذ أن دوبسون رئيس منظمة التركيز على العائلة أحد أعضاء مجلس إدارة أبحاث العائلة. ويقدم بوير موعظة دينية يومية تبثها ٤٠٠ محطة على مستوى الولايات المتحدة.

منظمة الائتلاف النصرانى Christian Coalition

أسس القس (بات جوردون روبرتسون) الواعظ التليفزيونى ومؤسس الشبكة التليفزيونية النصرانية CBN هذه المنظمة عام ١٩٨٩م، وقد صعد روبرتسون مع صعود اليمن النصرانى فى السبعينات و الثمانينات، ولقد ركزت هذه المنظمة نشاطاتها على القضايا الأخلاقية وبصفة خاصة : الإجهاض وحقوق اللواطيين والسحاقيات وتمويلات الصندوق القومى للفنون وشجع على أعمال العنف ضد عيادات الإجهاض فى التسعينات وعارض مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة وهاجم تقنين حقوق اللواطيين والسحاقيات بدعوى أن فى ذلك تمييزا لهم عن سائر المواطنين وتدخل لهزيمة مرشحين لمناصب حكام الولايات ولإسقاط تشريعات فى عدد من الولايات لحقوق اللواطيين والسحاقيات وقاد هجوما على الصندوق القومى للفنون بدعوى انه يمول الفنون الإباحية ودعم فوز ريجان وبوش بالرئاسة. وسوف نرد هذه المنظمة ونذكر دورها الإعلامى الفعال فى المجتمع الأمريكى بالفصل الخاص بسلاح الإعلام الصهيونى.

ائتلاف القيم التقليدية Traditional Values Coalition

يقود هذه المنظمة القس (لويس شيلدون) . وتروج المنظمة للأجندة التقليدية للوبى النصرانى الصهيونى خصوصاً فى معارضة المثلية الجنسية والمطالبة بتحريم الإجهاض والدعوة للسماح بالصلاة فى المدارس كما تدعو المنظمة إلى الالتزام بنصوص الكتاب المقدس وقد بدأت المنظمة نشاطها فى كاليفورنيا ثم أصبح لها وجود على المستوى القومى .

مؤسسة بناة الحائط Wall Builders , Inc

قام بتأسيسها (ديفيد بارتون) أحد قيادات اللوبى النصرانى الصهيونى بهدف إثبات أن الولايات المتحدة « أمة نصرانية » وأن الفصل بين الكنيسة والدولة هو خرافة وقد ألف بارتون كتابين ضمن تلك المهمة ، الأول « خرافة الفصل » الذى هاجم فيه فصل الكنيسة عن الدولة مستندا إلى التاريخ الأمريكى . أما الثانى فهو « أمريكى : تصلى أو لا تصلى » الذى اقترح فيه أن المشكلات الاجتماعية الأمريكية الراهنة نتجت عن حظر المحكمة العليا للصلاة بالمدارس . ويركز نشاط مؤسسة بناة الحائط فى طبع الكتب وأفلام الفيديو التى تروج لأهدافها إضافة إلى المحاضرات التى يلقيها بارتون فى الكنائس بامتداد الولايات المتحدة الأمريكية .

حقيقة أنه من الصعب حصر كل المنظمات النصرانية الصهيونية والأصولية فى الولايات المتحدة ولكن الباحثة (جريس هالل) تذكر أنه توجد ٢٥٠ منظمة نصرانية أمريكية مساندة لإسرائيل تمارس أنشطة مختلفة بدءً من اجتماعات كنسية للتضامن مع إسرائيل إلى الدعم اللاهوتى ، وطبع المنشورات وعقد المؤتمرات وتنظيم الأفواج السياحية إلى إسرائيل إلى الدعم السياسى المباشر بأساليب « اللوبى » ، ويصل الأمر لحد الاعتقاد بأن دعم أمريكا لإسرائيل ليس فقط التزاما سياسيا وإنما رسالة إلهية بسببها يبارك الرب أمريكا وأصبح ملايين البروتستانت الأمريكيون يدعمون إسرائيل عن إيمان كامل بأن دعم أمريكا لإسرائيل هو السبيل الأساسى لبقاء أمريكا السياسى والروحى واستنادا على النص التوراتى « سأبارك من يباركك و ألعن من يلعنك » الذى جعل إسرائيل فوق الجميع .

منظمات جمعية شبكة الإنقاذ

أسس القس والمبشر بالنصرانية الصهيونية (بيلى جراهام) فى منتصف الستينات من القرن العشرين منظمة إصلاحية ذات نشاط إعلامى قد أصدر من خلالها مجلة النصرانية اليوم، وكان لها نشاط إعلامى ملموس سوف نتناول تأسيسه فى الفصل القادم، أما اليوم فإن ابنه وهو أيضا قس مبشر قد ورث امبراطورية شبكة الإنقاذ وجعلها واحدة من أوسع المنظمات النصرانية الصهيونية انتشارا ، وقد برز نشاطها عقب أحداث ١١ سبتمبر إذ أعلن هذا الجراهام : « أن إله الإسلام ليس هو نفس إلهنا، إنه ليس ابن الله كما فى العقيدة النصرانية، أو العقيدة اليهو-نصرانية، إنه إله مختلف، وأومن بأن الإسلام عقيدة شديدة الشيطانية وشريرة »[(١)] . ويجب الإشارة إلى أن هذه الشبكة تقوم الآن بنشاط تبشيرى كبير فى العراق، ويقول جراهام لشبكة بليفت نت : «نحن مدركون أننا فى دولة عربية وأنه لا يمكننا أن نخرج على الملأ ونبدأ فى الخطابة التبشيرية » .

وهكذا أسست منظمات النصرانية الصهيونية والأصولية الانحياز الأمريكى الكامل لإسرائيل على أساس لاهوتى ثقافى قبل الأساس الاستراتيجى. كما تقوم بتدعيم إسرائيل اقتصاديا وسياسيا، والأهم أنها تجعل جذوة الانتماء الشعبى الأمريكى لإسرائيل متقدة ومشتعلةً، وذلك الأساس اللاهوتى والثقافى هو الذى زاد من ضخامة تأثير ونفوذ إسرائيل و« اللوبى اليهودى الصهيونى » فى الولايات المتحدة وتشكيل سياستها، وتظهر نشاطات هذه المنظمات أثناء انتخابات الرئاسة الأمريكية، وانتخابات المحليات .

***

(١) أ. د زينب عبد العزيز : حرب صليبية بكل المقاييس. سلسلة : صليبية الغرب وحضارته. دار الكتاب العربى. دمشق-القاهرة.

الفصل التاسع

سلاح الإعلام
عند النصارى الصهاينة

نشأة إعلام النصارى الصهاينة

مما لا شك فيه أن العصر الذى نحياه اليوم يمكن أن يطلق عليه عصر ثورة الاتصال، فالتقدم المذهل فى وسائل الاتصال ونقل المعلومات والأخبار قد جعل من العالم قرية صغيرة، وقد تطورت نظريات الإعلام وغاياته وفقا لهذا التطور، فلم يعد الإعلام قاصراً على نقل الأخبار وتحليلها، ولا أداة لتشكيل الرأى العام وبناء الاتجاهات الفكرية والسلوكية بالمجتمع، بل صار جزءً لا يتجزأ من حياتنا اليومية المعاصرة، فأصبحت حياة الفرد ودخله وأمنه وتلبية احتياجاته مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأحداث السياسية وتقلبات الأسواق الدولية والبورصات العالمية. وما تناوله النشرات الإعلامية والإخبارية المقروءة والمسموعة والمرئية.

رغم ظهور التليفزيون وما أحدثه من ثورة إعلامية فى عالم الاتصال فلم تزل محطات الإذاعة المسموعة لها دورها الهام فى الاتصال الإعلامى حتى اليوم، وتعتبر فترة الستينات من القرن المنصرم العصر الذهبى للإعلام المسموع، وقد كان الإعلام الدينى من قبل قائما على الاتصال المباشر من خلال الإرساليات والجماعات المنظمة.

وكانت منظمة « شبان المسيح » من أهم تلك الإرساليات والتى بدأت بعثاتها التبشيرية فى أواخر الأربعينات، وبرز من خلالها (بيلى جراهام) الذى جذب انتباه

أباطرة الإعلام الأمريكى خاصة (ويليام راندولف هيرست) الذى أخذ على عاتقه إبرازه وعمل الدعاية له من خلال مجلاته وصحفه وإعداده ليكون نجما مرموقا، وسار على نهجه الإعلامى الكبير (هنرى لوس) الذى اجتذبته معاداة جراهام للشيوعية، فخصص له غلاف مجلة « تايم » لعددها الصادر فى ٢٥ من أكتوبر عام ١٩٥٤م باعتباره « الإيفانجيلى الجديد » وأصبحت لجراهام شعبية كبيرة اجتذبت الآلاف لسماع مواعظه فى المدن الكبرى من لوس انجلوس إلى نيويورك، ومن خلال بشعبية جراهام سنحت فرص عظيمة أمام الحركة الإيفانجيلية لتطوير موارد جديدة، وفى هذا المجال كان للمطبوعات دور مهم فى وقت لم يكن فيه التليفزيون مهيمنًا على الإعلام، ففى عام ١٩٥٠م تأست مجلة « الاقتصاديات النصرانية "Christian Economies" للدعوة للحرية الاقتصادية، والرأسمالية ومعاداة الشيوعية، وفى عام ١٩٥٦م أسس بيلى جراهام مجلة »النصرانية اليوم . "Christian Today"

وكانت رسالة النصرانية اليوم كما ورد فى أول افتتاحية لها هى: تطبيق وحى الكتاب المقدس فى كل المسائل الاجتماعية المعاصرة واستحضار معانى الرسالة الإيفانجيلية فى كل جوانب الحياة، وتضمن العدد الثانى للمجلة هجومًا على قبول عضوية « الصين الحمراء » فى الأمم المتحدة، ونشرت النصرانية اليوم مقالات لبيلى جراهام وإدجار هوفر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية فى معاداة الشيوعية بعناوين مثل « الدعاية للشيوعية، وجوهر النصرانية »، وهكذا فإن أكثر ما شغل اليمين النصرانى خلال الخمسينات والستينات كان قضية معاداة الشيوعية وهى القضية التى مثلت له مصدر الشرعية وأساسا لتطوره فيما بعد.

واتخذ الاتحاد الوطنى للإيفانجليين خطًا أيدلوجيا يتفق مع الإجماع القومى على معادة الشيوعية كما سعى الاتحاد للحصول على تأييد الحكومة فى الحصول على موجات بث إذاعى دينى مستقل وكون الاتحاد ما سمى « اتحاد المذيعين الدينيين » الذى ضم ١٥٠ عضوا من الوعاظ الإذاعيين. ويقول أ. رضا هلال أن الإيفانجيليين قد نجحوا عام ١٩٦٠م فى الضغط على لجنة الاتصالات الفيدرالية التى أعلنت عن تغيير فى سياستها.

وبهذا التغيير فى السياسة الإعلامية أصبح للإذاعات الدينية حق شراء أى وقت من البث الإذاعى بدلا من نظام الحصة الثابتة، وبذلك تمكن اتحاد المذيعين الدينيين (وهو اتحاد صهيونى) من شراء أوقات البث على الشبكات التليفزيونية المحلية بالولايات المتحدة الأمريكية ثم اتجه بعدها المذيعون الإيفانجيليون (الصهاينة) إلى برامج اللقاءات المفتوحة والاستعراضات الكلامية المباشرة مع الجمهور والتى بدأتها شبكة القس (بات روبرتسون) مع بداية الستينات، وبقدر ما أصبحت تلك البرامج عالمية بقدر ما أصبحت الشبكات الدينية المصدر المهم فى إحياء حركة اليمين النصرانية .

بيان بأهم الدوريات النصرانية وأكثرها انتشارا

النصرانية اليوم	Christianity Today
العالم	Worl The
المقيمون	Sojourners
الأشياء الأولى	First Things
تاريخ النصرانية	Christian History
الأبوة النصرانية	Christian Parenting
حياة الطلاب	Campus Life
المختار الكاثوليكى	Catholic Digest
قوة الصغار	Tean power
الإكليروس	Clergy Journal
ميدان الرياضة	Sports Spectrum

مع بداية سبعينات القرن العشرين زاد توسع للإيفانجليين فى الشبكات الإذاعية ثم التليفزيونية إضافة إلى التوسع فى الكنائس الإيفانجيلية . وكان نتيجة ذلك أن شهد النصف الأول من السبعينات تحول الآلاف من الشبان إلى (نصارى ولدوا ثانية) ، كما أدى إلى نمو الكنائس المحافظة بيد أن مصدر القوة الأول تمثل فى الشبكات الإذاعية والتليفزيونية التى أصبحت وسيلة حشد للجهود وأداة لتوفير التمويل من خلال اتحاد

المذيعين الدينيين الذى تضاعف عدد أعضائه أربع مرات خلال الفترة من١٩٦٧إلى ١٩٧٢م. ولا يمكن أن نخفى أن نكسة العرب والمسلمين فى عام ١٩٦٧م قد أعطت للإعلام الصهيونى مادة جيدة استطاع استغلالها أفضل استغلال لخدمة مصالحه، وتمكن من بناء رأى عام يقدس إسرائيل كقدسية الكتاب المقدس. ولم تعد منظمة (شبان المسيح) للتبشير التى يقودها القس بيلى جراهام هى الأنشط داخل حركة اليمين النصرانى بل أن الشبكات الدينية (الإذاعية والتليفزيونية) قد أمدت الحركة بزعامات صهيونية جديدة، ونجوم برزوا فى عالم الإعلام الدينى الموجه.

وفى عام ١٩٧٣ م أصدر أورال روبرتس كتابه « دراما نهاية الزمن » لتأييد إسرائيل معتبرا أن الشعب الإسرائيلى شعب الرب يؤسس ـ الآن ـ إمبراطوريته. وفى عام ١٩٧٥م أنتج القس بيلى جراهام من خلال منظمة شبان المسيح فيلم (أرض الرب) الذى شاهده أكثر من ٢٠ مليون أمريكى وأشار الفيلم إلى وعد الرب لبنى إسرائيل بأرض فلسطين وقدم صورة زاهية عن بناء المدن و التعمير فى الأرض الموعودة.

ومع صعود الأصولية النصرانية الأمريكية عام ١٩٧٦م وصل إلى البيت الأبيض رئيس أعلن أنه نصرانى ولد ثانية هو الرئيس وهو الرئيس(جيمى كارتر) وذكر فى بيانه الانتخابى. . إن تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية« كما أعلن كارتر عن إدانته لمن يتهم اليهود بقتل المسيح بمعاداة السامية، وكان أول رئيس أمريكى يؤسس لجنة رئاسية لموضوع المحارق النازية لليهود ١٩٧٨ باسم President's Commission of the Holocaust.

وعندما زار كارتر إسرائيل فى مارس عام ١٩٧٩ ألقى خطابا أمام الكنيست الإسرائيلى بمناسبة إقرار معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية قال فيه :

«جسد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هى أكثر من علاقات خاصة أنها علاقات فريدة لأنها متأصلة فى ضمير الشعب الأمريكى نفسه، و فى أخلاقه وفى دينه وفى معتقداته لقد أقام كلا من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون رواد ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة.

تطور سلاح الإعلام عند النصارى الصهاينة

لقد اعتمدت الحركة النصرانية الصهيونية أو (الأصولية) فى السبعينات على الشبكات الدينية التليفزيونية التى سميت « الكنائس المرئية » فى الدعوة لأفكارها والوصول بفاعلية إلى أكبر عدد ممكن من الناس من خلال برامج جماهيرية استعراضية . وكان هذا امتطاءً لجواد التكنولوجيا لتوصيل الرسالة الدينية بكفاءة وفعالية عاليتين، كما كان تجاوبا مع أهمية وتأثير التليفزيون فى المجتمع الأمريكى، فمتوسط ما يقضيه تلاميذ المدارس من الوقت أمام شاشات التليفزيون يفوق ما يقضونه فى المدارس، أما البالغون فإنهم يمضون نصف وقت فراغهم فى مشاهدة التليفزيون، وقد بدأت الحركة النصرانية الصهيونية فى تأسيس الشبكات التليفزيونية النصرانية عام ١٩٦٠م حينما أسس (بات روبرتسون) محطة تليفزيون فيرجينيا التى كانت أول محطة يسمح لها ببث برامج دينية لأكثر من ٥٠ ٪ من وقت البث . واستطاع بات روبرتسون اجتذاب خمسة ملايين مشاهد لبرنامجه « نادى السبعمائة »، كما اجتذب المبشر التليفزيونى الشهير (جيرى فالويل) لبرنامجه (ساعة من إنجيل زمان) حوالى ٥,٦ مليون مشاهد، غير أن انتشار الشبكات التليفزيونية النصرانية تزامن مع نمو كنائس اللاهوت الصهيونية، وصعود الإيفانجيلية الأصولية خاصة مع بداية النصف الثانى من السبعينات كما أظهر ذلك استطلاعات الرأى التى أجراها (جالوب) فإن ما بين خمس وثلث الأمريكيين فى الفترة من ١٩٧٦ ـ ١٩٧٩م مارسوا العمادة من جديد (نصارى ولدوا ثانية) وقد خاطبت الشبكات التليفزيونية للنصارى الصهاينة ذلك المد الأصولى، فبدلا من الكنائس التى لا تتجاوز دعوتها أبنيتها وروادها أو الملتزمين بالصلاة فيها أيام الآحاد والأعياد والمناسبات الدينية فإن الشبكات التليفزيونية النصرانية كنائس مرئية تليفزيونية تصل دعوتها إلى داخل البيوت وفضلاً عن أنها تستخدم الأسلوب الحوارى الجذاب فإن برامجها تتخطى الوعظ والإرشاد الدينى إلى قضايا الانتخابات وشئون المجتمع، ابتداءً من الضرائب والإجهاض والأخلاق ودور المرأة والأسرة والصلاة فى المدارس مروراً بالشيوعية والحرب النووية وانتهاء بدعم وتأييد إسرائيل وسياستها لأن فى ذلك مرضاة للرب، وتحقيقا لمشيئته .

وفى مسح أجرى على مشاهدى الشبكات التليفزيونية تبين أن معظمهم من الأكبر سنا والإناث والأقل تعليمًا و دخلا، و الأكثر ريفية ومحافظة بين الأمريكيين وأنهم فى العادة من مرتادى وممولى الكنائس المحلية.

كما كشفت استطلاعات جالوب أن حوالى ٧٠ مليونًا من الأمريكيين يشاهدون المحطات التلفزيونية الدينية التى بلغ عددها ١٠٤ محطة تليفزيونية إضافة إلى ١٠٠٦ قناة تليفزيونية بنظام الشفرة (الكابل) أما محطات الإذاعة الدينية فيقدر عددها ما بين ١٢٠٠ : ١٤٠٠ محطة تبث الواحدة منها حوالى ١٧ ساعة يوميًا.

وأيا كانت حقيقة عدد الشبكات الدينية وعدد مشاهديها ومستمعيها إن العقدين الأخيرين شهدا نموًا متواصلا للظاهرة، وتعتمد موارد الشبكات الدينية والتليفزيونية والإذاعية بشكل أساسى على اشتراكات وتبرعات المشاهدين والمستمعين والمؤيدين والمتعاطفين.

ومع بداية الثمانينات أصبحت (عبادة إسرائيل) فى مركز اهتمام قيادات الكنائس البروتستانتية الإيفانجيلية فى الولايات المتحدة وجعلت الشبكات الدينية التليفزيونية والإذاعية « الكنائس المرئية من إسرائيل قضية القضايا فى برامجها وفى حملاتها لجمع التبرعات لدعم إسرائيل وكذلك جولات زعاماتها مثل : جيرى فالويل، وبات روبرتسون، وجيمى سواجارات، وأورال روبرتس، وجيم تامى بيكر، ومايك إيانز.

وقامت زعامات الكنائس المرئية برحلات تضم الأمريكيين من النصارى الصهاينة إلى إسرائيل شملت لقاءات مع علماء آثار وخبراء فى الشرق الأوسط ورؤساء الحكومات الإسرائيلية، وكان الهدف من تلك الرحلات تأكيد الاعتقاد الصهيونى البروتستانتى بدور إسرائيل المركزى فى مخطط الرب لنهاية العالم بمعركة هرمجدون والمجيء الثانى للمسيح، وكانت تلك الزعامات الصهيونية تقرأ تاريخ القرن العشرين من خلال الحركة القومية اليهودية الصهيونية. وفى إطار مخطط الرب فالصهيونية أعادت اليهود إلى أرض أجدادهم بالعناية الإلهية وتحقيقا لنبوءات العهد القديم والإنجيل، والعناية الإلهية فقط هى التى تفسر إقامة دولة إسرائيل الجديدة والتى تفسر

انتصاراتها على الجيوش العربية فى سنة ١٩٤٨م (النكبة) ثم انتصارها الساحق فى عام ١٩٦٧ م (النكسة) واستردادها للقدس .

كما اعتبرت الزعامات الدعائية الصهيونية أن العناية الإلهية هى التى أنقذت إسرائيل من كارثة عسكرية فى حرب يوم الكيبور عام ١٩٧٣م ، وراحت تروج لانتصار إسرائيل عسكريًا خلافا للحقيقة التى صنعتها أيدينا وشهدناها بأعيننا ، وظلت وسائل الإعلام الصهيونية تروج لانتصار زائف لإسرائيل حتى طمست من أذهان العالم انتصار أكتوبر المجيد ، ومع شديد الأسف أن هناك أبواق عربية ومصرية تردد هذه الأكاذيب والمهاترات ، حتى تظل إسرائيل فى نظر الغرب والعالم ، منارة وقلعة يحميها الرب بذاته ، ويكلل جميع خطاها بعنايته حتى لو كانت هذى الخطى هى مجازر ومذابح كمذبحة قانا ، ومذبحة جنين ، والعديد العديد من الأعمال التى يندى لها جبين الإنسانية خجلا ، إلا أن الخجل لا يستقر فى العيون الصهيونية اليهودية الوقحة التى تساندها صهيونية نصرانية أمريكية وعالمية .

والهدف الثانى هو تأكيد إحساس العالم العربى بأن إسرائيل قوة عسكرية جبارة لا تقهر ولا تهزم ، فهكذا يرهبون الشعب العربى كما يظنون ، إلا أن إرادة الله سبحانه وتعالى قد حطمت هذه الأسطورة الجوفاء على يد حزب الله اللبنانى كما تحطمت سابق على يد الجيش المصرى عندما عبر قناة السويس . وأثبتت صحة المثل العربى بعدم فائدة وجود (ألف سيف فى الجبان) ، فالجيش الصهيونى مدجج بأحدث الأسلحة المدرعة وأكثرها فتكا وتدميرا ، واستخدامها للتقنيات المتطورة من قنابل ذكية وصواريخ فائقة الذكاء فى التوجيه ، ولا يملك مقاتلوا حزب الله (وفقهم الله وأيدهم بنصره على الصهاينة) إلا أسلحة خفيفة يسهل حملها والتنقل بها لكونهم لا يشكلون جيشًا نظاميا له مواقع ثابتة ذات تحصينات حصينة ، ولكن ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وأرانا الله آية فى مصداقية قوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ، وكذلك قوله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره » . ورغم الاختلاف المذهبى بيننا وبين الشيعة إلا أن هذا الاختلاف يحاول أن يحوله الإعلام الصهيونى إلى خلاف عقائدى واعتبار أن الشيعة والسنة دينان مختلفان ، ويحاولون الوقيعة بيننا ويعمقون من خلافاتنا التاريخية حتى يضمنوا عدم التوحد فى خندق واحد ضدهم . وسوف نتناول هذه الحقائق فى الفصل الخاص بمخططات الصهيونية النصرانية لإبادة أمتنا .

وبالرغم من أن مضمون الرسالة الإعلامية الموجهة من تلك الكنائس أو القنوات تتضمن الاعتقاد بالنبوءات التوراتية والدعاوى النصرانية الصهيونية وتأمين إسرائيل بمشيئة الرب إلا أن زعماء هذه الكنائس أو القنوات أن تخلق لنفسها جمهورها الخاص، ومن أشهر تلك البرامج « برنامج ساعة من إنجيل زمان » الذى كان يقدمه القس جيرى فالويل بشكل يومى لمدة ساعة من خلال ٣٩٢ محطة مرئية و ٥٠٠ محطة مسموعة كما قدم فالويل برنامجا آخر هو « جيرى فالويل لايف » وكان يبث أسبوعيًا فى كل أمسية من أيام الآحاد ويتلقاه حوالى ٣٤ مليون منزل. ويتضمن البرنامج دعم إسرائيل دون شرط وكما قال فالويل فإن البرنامج ومنظمته وسيلة لحماية وتطوير الموقف بجانب الشعب اليهودى وإسرائيل، فالرب قد حدد حدود إسرائيل وأيد مطالبها فى الأرض و اليهود لهم حق تاريخى ولاهوتى وقانونى فى أرض إسرائيل. وتعود جذور فكر فالويل الصهيونى إلى معتقداته الإيفانجيلية الأصولية المتهودة وهو يشير باستمرار إلى ما يسميه « وعد الرب لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام. . سأبارك من يبارك إسرائيل وألعن من يلعنها. . ومن هذا الموقف اللاهوتى فإن على الولايات المتحدة الأمريكية ألا تتردد فى تقديم كل الدعم المالى والعسكرى إلى إسرائيل.

ويعتبر فالويل أول سياسى أمريكى يتطرف فى القول بأن : « دعم الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ليس من أجل مصلحة إسرائيل ولكن من أجل مصلحة الولايات المتحدة نفسها » ويقول أيضًا إن « دعمه لإسرائيل غير مشروط وإن إسرائيل هى خط الدفاع الأمريكى فى الشرق الأوسط ». ويعتقد أنه لا مجال للنقاش فى كون يهودا والسامرة جزءا من إسرائيل وكذلك الجولان و أن القدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل».

وأكد فالويل من خلال شبكته الدينية المرئية والمسموعة أن إعادة تأسيس إسرائيل عند النصارى الصهاينة أو الأصوليين هو إيفاء للنبوءات التوراتية، ويتوجب على كل أمريكى بذل كل جهد ممكن لضمان الدعم الكامل لإسرائيل، وطالب فالويل بامتداد حدود إسرائيل من النيل إلى الفرات بقوله : « إن سفر التكوين من التوراة يذكر أن حدود إسرائيل ستمتد من الفرات إلى النيل، وستكون الأرض الموعودة هى العراق وسوريا وتركيا والسعودية ومصر والسودان ولبنان والأردن والكويت ». هكذا

توسعت أحلام الصهاينة وفاقت أحلام اليهود، ولا عجب من أن نسمع بعد ذلك أحد وزراء إسرائيل يقول أن حدود إسرائيل هى كل ما تستطيع إسرائيل أن تصل أيديها إليها. ويكشف فالويل عن نصرانية صهيونية و أصولية قذرة فى كتابه « اسمعى أمريكا » بتأكيد أن الرب يحب اليهود ويتعامل مع الأمم حسبما تتعامل هذه الأمم مع إسرائيل، وأن مخلصنا المسيح كان يهوديًا.

أما الشبكة النصرانية المرئية والمسموعة الأهم من بين هذه القنوات فهى شبكة CBN التى تغطى الولايات المتحدة و٦٠ دولة أجنبية ويمتلكها (القس بات روبرتسون) الذى يقدم برنامجا استعراضيا يعرض عدة مرات يوميًا يسمى » نادى السبعمائة، ويقول روبرتسون عن برنامجه « نادى السبعمائة » أنه أكثر جاذبية من مجلات وأفلام الجنس لأنه ليس دينيا فقط بل هو ترفيهى ويعالج مسائل السياسة والفن والرياضة والكوميديا، وأنه يصل إلى عدد من المشاهدين يفوق أعداد الذين تصلهم مجلات «تايم» و « نيوزويك» وصحف « واشنطن بوست »، و « نيويورك تايمز » و« لوس أنجلوس تايمز »مجتمعة، وكما ورد فى برنامجه يعتقد روبرتسون أن « الرب يقف بجانب إسرائيل وليس بجانب العرب الإرهابيين، وتحدث عن « الشر الكبير الموجود لدى العرب لأنهم أعداء إسرائيل » و اعتبر استيلاء إسرائيل على القدس أهم حدث تنبئ فى تاريخ حياتنا ويقرّب نهاية زمان غير اليهود.

ويعتبر القس والواعظ التليفزيونى (مايك إيفانز) الصوت الأكثر تميزًا من أجل إسرائيل والقدس وتتبنى رعوية القس إيفانز من خلال أنشطة مختلفة أجندة النصرانية الصهيونية الأمريكية الأصولية التى تشمل قضايا حظر الإجهاض والسماح بالصلاة فى المدارس وقيم العائلة التقليدية إلى جانب دعم إسرائيل.

ففى ديسمبر سنة ١٩٨٤م أرسل إيفانز إلى الآلاف من مؤيديه أجندة لعام ١٩٨٥م بعنوان « شركاء فى النبوءة تضمنت نصوصًا توراتية وإنجيلية ليقرأ تابعوه نصًا منها كل يوم كما تضمنت الأجندة طلبات إقامة الصلوات فى أيام محددة من العام من اجل موضوعات محددة كما شملت أجندة شركاء فى النبوءة ١٩٨٥ صوراُ فوتوغرافية لأنشطة رعوية مايك إيفانز منها صورة لإيفانز مصافحا بيده الرئيس ريجان وكتب تحتها التعليق التالى:

« لقد دعاني الرئيس ريجان ومعي جيم بيكر وجيمي سواجارت وجيرى فالويل (قيادات الشبكات التليفزيونية) وآخرين إلى لقاء خاص به ولن أنس أبدًا ما قاله لنا فالرئيس عبر عن اعتقاده بأن أمريكا على شفا صحوة روحية وقال أنني اعتقد فى ذلك بكل قلبي والرب أظهر رجالا مثلك ومثلى فى صلاة شفاعة وحب من أجل إعداد العالم لملك الملوك ورب الأرباب .

بيد أن إسرائيل والقدس تعتبران مركز اهتمام رعوية إيفانز فهو يرى نفسه فى مهمة ربانية لحث الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على العمل معًا من أجل الرب« ، ففى برنامجه الاستعراضى « إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء » الذى كان يبث فى ٥٠ محطة تليفزيونية عبر ٢٥ ولاية لمدة ساعة يوميًا عام ١٩٨٣م تحدث إيفانز عن أن الرب أمره بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بإسرائيل و قال : إن إسرائيل تلعب دورًا حاسمًا فى المصير الروحى والسياسى لأمريكا كما أن تخلى إسرائيل عن الضفة الغربية سوف يجر الدمار على إسرائيل وعلى الولايات المتحدة من بعدها .

ونشر إيفانز فى ديسمبر ١٩٨٣م إعلانًا فى صفحة كاملة فى صحيفة نيويورك تايمز جاء فيه : « إن بقاء إسرائيل حيوى لبقائنا و إن الإيمان بإسرائيل يعزز موقف الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى عام ١٩٨٤ تقدم بعريضة وقعها الآلاف من الأمريكيين إلى الرئيس ريجان يدعوه فيها إلى الوقوف إلى جانب إسرائيل وإقرار حقوق إسرائيل فى الأراضى المحتلة . كما أنتج مايك إيفانز فيلما تليفزيونيا قد دمج فى اسمه كلمتى القدس مع حروف USA وهى الحروف الأولى من اسم الولايات المتحدة الأمريكية كبيرة داخل جيروزاليم بمعنى أن أمريكا متضمنة فى أورشليم كما استخدم حرفى DC اختصار لـ David's Capital أى عاصمة داود والمربط فى أذهان الأمريكيين بين العاصمة الأمريكية « واشنطن دى سى » وجيروزاليم دى سى(جيروزواليم عاصمة داود) فأسماه . JerUSAlem. D.C ومثلت حملته لإنتاج الفيلم أكبر حملة ميللينية فى إطار توقعات نهاية العالم مع بدء الألفية الجديدة عام ٢٠٠٠م إذ أظهرت الحملة اليهود وإسرائيل والقدس كعلامات مرئية على قرب نهاية التاريخ ومعركة هرمجدون ضد قوى الشيطان والمجىء الثانى للمسيح . و تضمنت الحملة شريطًا مسجلا يعطى للمتبرعين عن لقاء إيفانز مع مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى جاء فيه :

«لن أنسى أبدا ذلك المنظر المؤثر حينما شاهدت أنا وآخرون الدموع التى انسابت على وجه بيجين المتعب حينما كنا نتقاسم معه حب الرب، و نبلغه أن النصارى فى أمريكا يصلون من أجله وأن النصارى الحقيقيين مهتمون به وبإسرائيل وقد أبلغنى مناحم بيجين أن الرئيس السابق كارتر خلال اتفاقات كامب دافيد قال له أنه لا يعترف بالقدس كعاصمة تاريخية لإسرائيل فرد عليه بيجين قائلا : اعذرنى أيها الرئيس لكن التوراة تعترف بها والرب القدير إله التوراة يعترف بها ولذلك فإننا لا نعترف بعدم اعترافك.

وطلب إيفانز من المتبرعين بتوقيع بيان إلى رئيس الولايات المتحدة ورئيس وزراء إسرائيل جاء فيه :

« نحن نؤمن بأن القدس تخص الرب العظيم و أن كلمة الرب غير قابلة للتفاوض و نؤمن علاوة على ذلك بأن الكتاب المقدس يعترف بأورشليم عاصمة روحية لإسرائيل وبأن المسيح اليهودى سيعود إليها كذلك، و من أجل هذا قد تعاهدنا على الصلاة من أجل شعب إسرائيل والوقوف معه فى كفاحه من أجل الحرية والسلام. نحن نؤمن بكلمة الرب القائلة : سوف أبارك من يباركهم و ألعن من يلعنهم نحن نؤمن بأنه يتوجب على أمريكا الوقوف بجانب إسرائيل وكلمة الرب تعترف بالقدس وعلينا واجب الاعتراف بكلمة الرب.

وقد بث إيفانز طول صيف سنة ١٩٨٥م برنامجا تليفزيونيا اسماه (دع شعبى يرحل) لدعم هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتى إلى إسرائيل كما بث فى فبراير عام ١٩٨٦م برنامجًا جديدًا تحت عنوان « العودة » حول عودة المسيح ودور إسرائيل فى تقريب هذه العودة الثانية. كما وزع إيفانز منشوراً تحت عنوان : «ادعم اليهودى فينا» تضمن رسما كاريكاتيريا يؤرخ لعهد الرب لإبراهيم وسلالته بأنه سيبارك من يباركهم ويلعن من يلعنهم. ويظهر الرسم الكاريكاتيرى مصر. . موضع حسد العالم ! التى لم تدانها أمة فى الثروة والقوة العسكرية والزراعة والعلوم ولم يكن لها منافس فى العمارة وكانت الأمة الأقوى على الأرض، ولكن مصر ارتكبت خطأ فهى لم تدعم يهودها »، وفى صورة أخرى يظهر مصرى يضرب عبدًا يهوديًا وتظهر صورة ثالثة تدمير جيش مصر فى

البحر الأحمر، وفى الصورة الأخيرة يظهر مرشد سياحى مصرى أمام الآثار الباقية إذ لم يعد له إلا التفاخر بمجد تليد، فمصر ـ الآن ـ بلد متخلفة غنية بالذكريات تعتمد على معونات الآخرين، و تتوالى صور الرسم الكاريكاتيرى من مصر التى مازالت عدوه لإسرائيل إلى الإغريق والرومان حتى صعود ألمانيا النازية وتقسيمها بعد هزيمتها عقابًا على جرائمها ضد اليهود كما يظهر الرسم دول المجاعة الأفريقية التى عاقبها الرب لأنها لا تقيم علاقات من إسرائيل.

وإلى جانب إيفانز وربرتسون وفالويل اشتهر وعّاظ تليفزيونيون دينيون آخرون من هؤلاء (القس أورال روبرتس) هو صاحب البرنامج الدينى الشهير « توقع معجزة » الذى وصل عدد مشاهديه إلى حوالى ٦ ملايين مشاهد. وحاز (القس جيم بيكر) شهرة واسعة ببرنامجه الكنسى « مجدوا الرب » وتجاوز عدد مشاهديه ٨ , ٥ مليون مشاهد.

وكان أكثر القسس التليفزيونيين شهرة (جيمى سواجارت) وكان برنامجه « الحملة الصليبية الأسبوعية » يصل إلى ٩ ملايين مشاهد أما برنامجه الآخر « دراسة فى الكلمة » فوصل عدد مشاهديه إلى ٥ , ٤ مليون مشاهد. والجدير بالذكر أن هذا القس قد اشتهر فى الأمة الإسلامية كلها بعد المناظرات التى أجراها مع الداعية الإسلامى الجنوب إفريقى (أحمد ديدات) رحمه الله رحمة واسعة الذى أظهره الله ونصره على سواجرت فى المناظرات بشكل واضح مما جعل أشرطة الفيديو التى تحمل هذه المناظرات تنتشر فى الأمة الإسلامية جميعها انتشارا واسعا وعظيما.

غير أن عام ١٩٨٧م شهد انفجار فضائح مالية وجنسيه فى وسط القسس التليفزيونيين، فقد أتهم القس جيم بيكر بممارسة الجنس مع الآنسة (جسيكا هاهن) سكرتيرة كنيسته « مجدوا الرب » والتى باعت صورها فيما بعد لمجلة « بلاى بوى » الجنسية، كما اتهم بيكر بممارسة الجنس فى حفلات عربدة جنسية وبالمثلية الجنسية واعترف عدد من الشهود بالاشتراك مع بيكر وزوجته تامى فى حفلات من ذلك النوع، وهذا ما أبعد بيكر عن الكنيسة وعروضها التليفزيونية، وبعد ذلك فضح الله القس (جيمى سواجارت) بضبطه مع إحدى المومسات فى أحد الفنادق، وقال بأنه لم

يضاجعها وإنما اعترف بأنه كان يشاهدها ترقص عارية، ولم تكن فضائحه الجنسية هى آخر ما لاقى، إذ لاحقته بعد ذلك فضائح مالية أخرى .

منظمة الائتلاف النصرانى Christian Coalition

أسس القس بات جوردون روبرتسون الواعظ التليفزيونى ومؤسس الشبكة التليفزيونية المسيحية CBN منظمة الائتلاف النصرانى عام ١٩٨٩م وقد صعد روبرتسون مع صعود اليمين النصرانى فى السبعينات والثمانينات وذلك ما شجع روبرتسون للترشيح لرئاسة الجمهورية فى الانتخابات الأولية للحزب الجمهورى عام ١٩٨٨م وبعد فشله تحولت استراتيجيته من التركيز على البيت الأبيض والكونجرس إلى التركيز على مجالس المدن ومجالس المدارس وحشد الأصوات الانتخابية فى الولايات المتحدة من خلال منظمة « الائتلاف النصرانى» التى أسسها وترأسها روبرتسون واختار رالف ريد ليديرها. ويقول روبرتسون عن مهمة المنظمة : « أنها تحرك النصارى صفا واحدا وجماعة واحدة فى الوقت المطلوب»

ومن أقواله : « لدينا من الأصوات ما يكفى لحكم هذا البلد وعندما يضجر الناس سنحكم البلد ». وحسب تقديراته يصل عدد أعضاء الائتلاف النصرانى إلى ١,٥ مليون عضو من المتبرعين والمؤيدين ويتواجد فى٢٥ ولاية من خلال٥٠ ألف عضو قيادى و٢٥ ألف عضو ارتبط بالكنائس ومنذ نوفمبر١٩٩١م الائتلاف النصرانى يعقد مؤتمره السنوى تحت عنوان «طريق إلى النصر» ويحضره حوالى ٤٠٠٠ وفد من مختلف الولايات، كما يحضره رموز اليمين المحافظ فى الحزب الجمهورى وتعقب المؤتمر حلقات للقادة المحليين وعلى المستوى القومى للتدريب على حشد الأصوات وتحصيل التبرعات المحليين والترشيح لمجالس المدارس ومجالس المدن ومقاعد حكام الولايات والكونجرس .

ويمتلك الائتلاف النصرانى نظاما للاتصالات متقدم جدًا يستطيع الوصول يوميا إلى الملايين سواء عبر الشبكة التليفزيونية CBNأو عبر شبكة الإنترنت والبريد الإلكترونى أو البريد العادى والهاتف والفاكس. ويوزع الائتلاف النصرانى قبل كل

انتخابات « بطاقات الرصد » فى أكثر من ٧٠ ألف كنيسة لتحديد اتجاه الناخبين إزاء برنامجه، كما يوزع «دليل الناخب» الذى يحدد للناخب من ينتخبه وقد وزع التحالف ٣٣ مليون نسخة من «دليل الناخب » قبل انتخابات م١٩٩٤و٤٥ مليون نسخة قبل الانتخابات الرئاسية ١٩٩٦م ويعكس نشاط « الائتلاف النصرانى » مضمونًا صهيونيًا متطرفا فقد اعتبر بات روبرتسون أن « إعادة مولد إسرائيل هى الإشارة الوحيدة إلى أن العدد التنازلى لنهاية الكون قد بدأ و أن بقية نبوءات الكتاب المقدس أخذت تتحقق بسرعة مع مولد إسرائيل »

إن الإحياء الإيفانجيلى قد وصل إلى ذروته فى آخر عقود الألفية الثانية. وكشفت استطلاعات جالوب أن حوالى ٧٠ مليونا من الأمريكيين يشاهدون الشبكات التليفزيونية الإيفانجيلية « الكنائس المرئية » التى بلغ عددها ١٠٤ محطة تليفزيونية إضافة إلى ١٠٠٦ قناة تليفزيونية بنظام الشفرة « الكابل » وتزايد عدد دور النشر المسيحية إلى ١٣٠٠ دار نشر متخصصة فى العناوين المسيحية، و إضافة إلى ٧ آلاف مكتبة لتوزيع الكتب النصرانية وتقدر مبيعاتها بحوالى ٣ مليارات دولار سنويا، و نشأت صناعة للموسيقى النصرانية و تشمل موسيقى البوب و الراب والروك والميتال ، وتقدر مبيعاتها بحوالى مليار دولار سنويا كما انتشرت الدوريات الإيفانجيلية مثل أسبوعية «النصرانية اليوم» و «أسبوعية العالم» و « شهرية الوعاظ » إضافة إلى« الأشياء الجديدة» و« الأبوية النصرانية » و « التاريخ النصرانى» إلى جانب دوريات للرياضة والموسيقى ورعاية الطلاب على الطريقة الإيفانجيلية وبصعود الأصولية الإيفانجيلية أصبحت هناك ٢٠ ألف مدرسة نصرانية صهيونية ابتدائية وثانوية وألف كلية للتعليم بعد الثانوى.

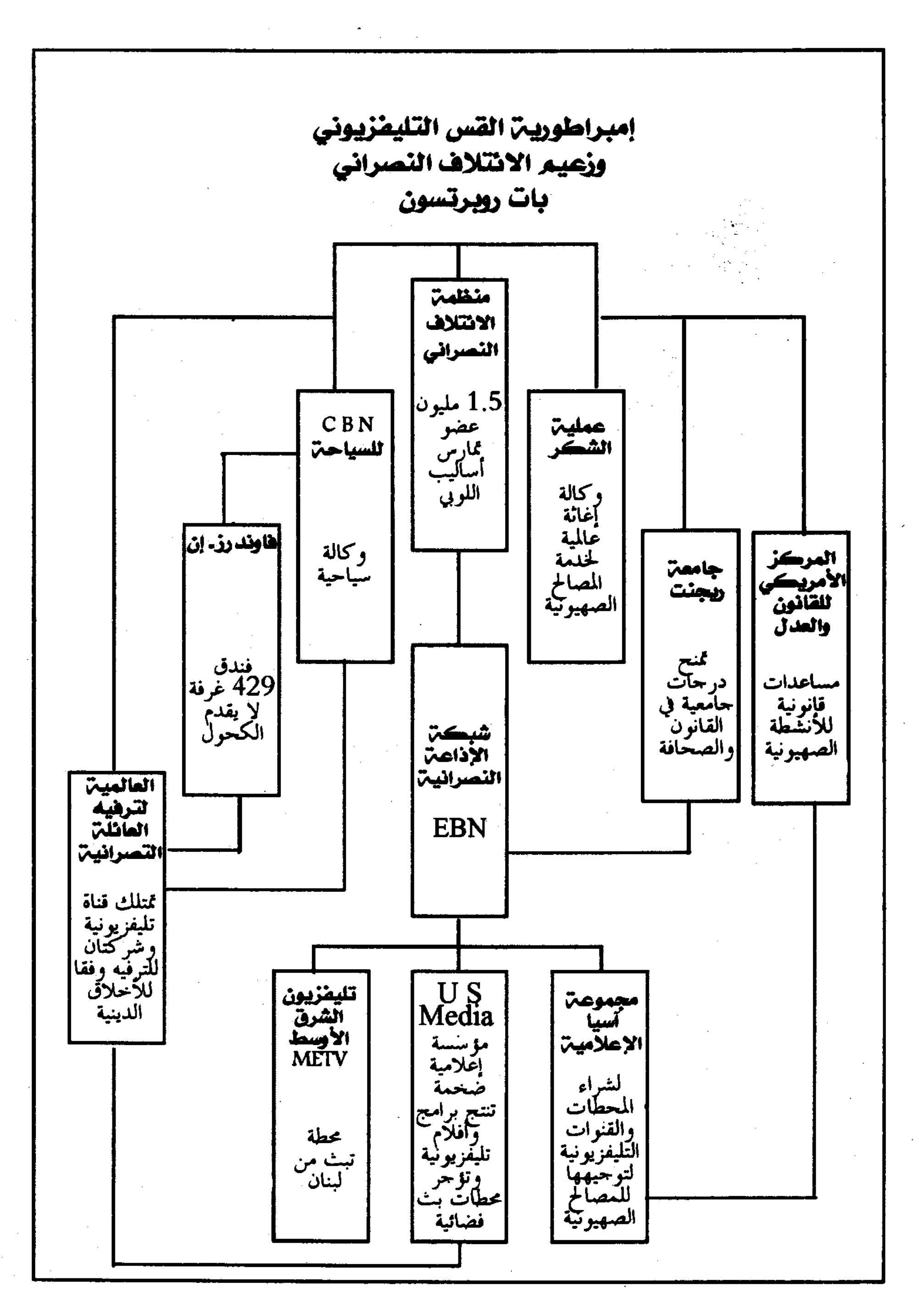
ودخلت الأصولية الإيفانجيلية إلى السوق « بمنتجات نصرانية » مثل قمصان الـ «تى شيرت » و« القبعات وأدوات المطبخ ولوازم الرحلات وبرمجيات الكمبيوتر. واستفادت الأصولية من الثورة التكنولوجية حيث نشهد الآن على الإنترنت» النصرانية على الخط « كما أصبحت للكنائس المختلفة مواقعًا على الإنترنت »، وبهذا الزخم ضمنت الأصولية سيطرة الجمهوريين على مجلسى الكونجرس فى الانتخابات التشريعية فى أعوام ١٩٩٤ و ١٩٩٦ و ١٩٩٨م و شهدت السياسة الأمريكية طيلة عقد التسعينات ما أصبح يعرف باسم « حزب الله »، وهو تعبير أطلقته مجلة « القرن النصرانى Christian Century وقد

وجدت « اليهونصرانية» أساسها فى مقولة التراث اليهودى النصرانى أى تماثل القيم اليهودية والنصرانية التى هى توافق القيم الإسرائيلية الأمريكية .

وثمة أوجه تماثل بين اليهودية والمسيحية أجدرها بالملاحظة أنها تشتركان فى الكتاب المقدس ولذلك تسميان ديانتا الكتاب المقدس ، كما تتشارك فى « الوصايا العشر . ويعتقد الأمريكيون أن يسوع المسيح ولد يهوديا بل أنه (المسيح) أحد أنبياء اليهود الكثيرين فالبروتستانتية وإن كانت قد مثلت ثورة من جهة إلغائها وصاية الكنيسة الكاثوليكية وتأكيدها على أن الفرد هو الوصى على عقله وروحه والمسئول عن نفسه وعن خلاصه الشخصى دينيا إلا أنها من جهة أخرى أرست قواعد التراث اليهونصرانى إذ أصبحت التوراة جزءاً من الإيمان البروتستانتى ـ كما تقول المؤرخة اليهودية بابرا توخمان فى كتابها « الكتاب المقدس و السيف» ـ كما أصبحت عودة اليهود كأمة إلى فلسطين تمثل عصب الإيمان البروتستانتى المبنى على التوراة إذ أن نبوءات التوراة تتضمن أن اليهود سوف يعودون إلى فلسطين ثم يصبحون نصارى حتى وإن مات منهم كثيرون فى معركة هرمجدون الفاصلة ولم يبق منهم إلا ١٤٤ ألفا مع المجىء الثانى ليشملهم الخلاص فى الألف عام السعيدة .

وهكذا فإن هذا المفهوم الموروث جعل الكثيرين من الأمريكيين يقرون بأن إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م إنما جاء كتحصيل للنبوءات التوراتية ، وأن الدولة اليهودية ستظل تلعب دوراً مركزيا فى مخطط السماء والأرض وجاء انتصار إسرائيل فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧م واحتلال القدس ليمثل تأكيداً لنبوءات التوراة و قرب المجىء الثانى للمسيح . بل أن الأمريكيين باعتبارهم « الشعب المختار الجديد » استعادوا حكايات وبطولات التوراة فى أدوار معاصرة فى أمريكا « أرض الميعاد الجديدة » .

***



الإعلام النصرانى الصهيونى فى التسعينات

اسم البرنامج	مقدم البرنامج	عدد المشاهدين بالمليون
جيرى فالويل لايف	جيرى فالويل	٣٤
نادى السبعمائة	بات روبرتسون جيمى	١٦,٣
الحملة الصليبية الأسبوعية	سواجارت روبرت شيللر	٩
ساعة من القوة	أورال روبرتس	٧,٦
توقع معجزة	جيم بيكر	٦
مجدوا الرب	جيرى فالويل	٥,٨
ساعة من أنجيل زمان	كينيب كوبلاند جيمى	٥,٦
كينيب كوبلاند	سواجار	٤,٩
دراسة فى الكلمة		٤,٥

برامج الكنائس التليفزيونية وبيان عدد المشاهدين لها شهريًا كما أوردها الأستاذ رضا هلال



الفصل العاشر

صهينة الكاثوليكية

اليهودية والنصرانية ... ملة واحدة

قال تعالى في محكم تنزيله ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ [البقرة: ١٢٠] والمتأمل فى هذه الآية يجد أن الله قد جعل اليهود والنصارى فى ملّة واحدة رغم أنهما ينتميان لديانتين مختلفتين، فقد رفض اليهود النصرانية وأصروا واستكبروا استكبارا، بل وصلب اليهود المسيح الذى شبّه لهم، ورغم انقسام كل ديانة منهما إلى العديد من الفرق المختلفة فيما بينها داخل الديانة الواحدة إلا أن الله قد جمعهما فى ملّة واحدة، وهذه معجزة أخرى من معجزات القرآن الكريم الذى أنبأنا بأن اليهود والنصارى سوف يجتمعون فى ملّة واحدة، وها هما قد اتحدا على ملّة الصهيونية.

وإذا كانت النصرانية الصهيونية قد ارتبطت بالعقيدة البروتستانتية باختلاف طوائفها الإنجيلية والخمسينية وسبتية اليوم السابع إلى آخر الطوائف والكنائس إلا أنها مجتمعة تتفق على حرفية الكتاب المقدس، ورفض تأويل نصوصه، وتؤمن إيمان العجائز بصدق نبوءاته، وتقديس اليهود واعتبار أن وجود إسرائيل وإبادة المسلمين يحقق مشيئة الرب فى تنفيذ خطته لنهاية العالم، كما اتفقت اليهودية والبروتستانتية على رفض

الكاثوليكية وتعاليمها وأفكارها، ولكن أحداث التاريخ أخذت تسير فى مسارات تؤدى إلى تأكيد مصداقية الآية الكريمة، فنجد الآتى :

الكنيسة الكاثوليكية تتراجع عن موقفها من اليهود وتقوم بتبرئتهم مما كانوا يناصبونهم العداء والبغضاء بسببه، ألا وهو قتل المسيح والمغالاة فى تعذيبه وسفك دمه!!! البابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان والكاثوليكية فى العالم يقدم اعتذاراً لليهود من المذابح التى قام بها النصارى على مدى التاريخ، وهذا الاعتذار يشمل بطبيعة الحال الهولوكست !!!

المنظمة الدولية (الأمم المتحدة) بعد أن تتخذ موقفا منصفا وعادلا باعتبار الصهيونية فكرة عنصرية، نجدها تتراجع تراجع الكاثوليكية عن تجريم اليهود، وتسحب هذا المفهوم وتعتبره كأن لم يكن، بل وتدين معاداة السامية وتجرمه دوليًا !!!

وفى البلاد التى تدعى الديمقراطية وحرية الرأى والتعبير، وتنادى بأن يحزى حزوها فى تحرير البحث العلمى من كافة القيود الاجتماعية والدينية للوصول إلى نتائج تتحلى بالصدق والثبات كما تقول كتبهم فى مناهج البحث والتى ندرسها عنهم، نجدهم فى واقع الأمر يقولون ما لا يفعلون ففى عام ١٩٩٠م صدر فى فرنسا [١] قانون عجيب اسمه قانون جيسو وهذا القانون يعتبر إعادة النظر فى تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية !!! وبموجب هذا القانون قدموا الكاتب الفرنسى الشهير الذى أعلن إسلامه جارودى بموجب هذا القانون حين قال فى كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية): إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبرر سرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها.

وفى ٢٧/ ١/ ٢٠٠٥م صدّقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على اعتبار يوم ٢٧ يناير من كل عام يوم عالمى لإحياء ذكرى المحارق النازية لليهود (الهولوكست) !!! تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار للأمم المتحدة فى يناير ٢٠٠٧م يدعو إلى إدانة أى

---

(١) رجاء جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. ترجمه عن الفرنسية قسم الترجمة بدار الغد العربى. الطبعة الأولى. القاهرة. ١٩٩٦م

رفض أو أى إنكار شامل أو جزئى للمحارق النازية لليهود. وقد لاقى المشروع تأييدا بالغا من عدد كبير من الدول بما فيهم مصر برغم الرفض الإيرانى للمشروع وطالب المندوب الإيرانى بأن تدين الأمم المتحدة المجازر التى ترتكبها إسرائيل فى حق الفلسطينيين والتى تحدث على مدى خمسين عاما تحت مرأى ومسمع العالم كله مع إدانتها للمحارق النازية المشكوك فى حدوثها أو فى حجم خسائرها البشرية . . . . . .

أصدرت فرنسا فى عام ١٩٩٠م قانونًا يعاقب من ينكر المحارق النازية لليهود، باعتبار أن هذا الإنكار معاداة للسامية، كيف ؟!! علما بأن معاداة السامية جريمة دولية تستوجب العقوبة . . . .

وعلى هذا الدرب سار عدد من الدول الأوربية مثل : انجلترا وألمانيا والنمسا وبولندا والتشيك وسلوفاكيا وسويسرا وليتوانيا . . .

قال الرئيس الأمريكى جورج بوش فى كلمته التى ألقاها أمام طلاب كلية القديس فنسنت فى ولاية بنسلفانيا يوم العاشر من مايو ٢٠٠٧م وتناقلتها القنوات الفضائية يقول مخاطبا الذين سيعملون بمهنة التدريس ويصفهم بأصحاب القلب الدافىء، الذين يهبون الناس المحبة، ثم يوضح أنه يوجه كلمته إلى من يضعون على جدران حوائطهم الصليب أو نجمة داود فهما سواء، وحكى قصة قلبه الدافىء حين أمسك يد أحد المرضى بجمعية مفتاح الحياة مع الأم تريزا ووهبه المحبة، حقا يا صاحب القلب الدافىء لقد وصلتنا مشاعرك الملتهبة التى حرقت شعب العراق ويتمت أطفاله، وألقت قنابلها الذكية بغباء على بيروت تدك مبانيها على قاطنيها، وفى فلسطين حبل مودتك مبلولا وموصولا بدماء الشعب الفلسطينى، وسواء يتم القتل بيد من يحمل الصليب أو نجمة داود فهما واحد، فالصهيونية امتداد تاريخى للصليبية . . . .

. . . وصدق الله العظيم فى جعل اليهود والنصارى ملّة واحدة، فرغم جلّ خلافاتهم الجوهرية والثانوية إلا أنهم سيناصبوننا العداء حتى نتبع ملتهم، ونستسلم لصهيونيتهم . . . ولكن ما الذى غيّر مفاهيم الكاثوليك العقائدية عن اليهود ؟ وما الذى جعل العالم يتكالب بهذا الشكل على تدليل إسرائيل ويتغاضى عن جرائمها البشعة ضد الإنسانية متمثلة فى الشعوب العربية المسلمة ؟!!!

قامت الكنيسة الكاثوليكية على الأخذ بالتفسير المجازى للنصوص التوراتية وليس بالتفسير الحرفى لها كما سبق القول. فالفقرات الواردة فى التوراة والتى تشير إلى عودة اليهود إلى الأراضى المقدسة كانت الكنيسة تعتقد بأنها لا تنطبق على اليهود بل على الكنيسة النصرانية مجازاً. أما اليهود فأنهم- طبقا للعقيدة الكاثوليكية الرسمية- قد اقترفوا إثما فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم فى بابل، وعندما أنكروا أن يسوع هو المسيح المنتظر نفاهم الله ثانية وبذلك انتهى وجود « الأمة اليهودية ». تلك كانت عقيدة النصرانية الكاثوليكية منذ القرن الخامس الميلادى حتى القرن السادس عشر تفرّق بين اليهود المعاصرين والعبرانيين القدامى. ووفقا للعقيدة الكاثوليكية أيضا اعتبرت فلسطين الوطن المقدس الذى أورثه المسيح لأتباعه النصارى وكانت القدس هى مدينة العهد الجديد المقدسة وليست « صهيون اليهودية » وظل الأمر كذلك حتى العام ٥٩٠م حين أصبح عرش الباب جريجورى مركز السلطة النصرانية الكاثوليكية وأصبحت روما هى المدينة المقدسة.

قامت الثورة العقائدية على يد الحركة البروتستانتية فى القرن السادس عشر فى أوروبا فتولدت وجهة نظر جديدة عن الماضى والحاضر اليهودى، وتنكرت للاعتقاد الكاثوليكى حول اليهود وروجت لفكرة أن اليهود أمة مختارة مفضلة. وأصبح العهد القديم المرجع الأعلى للاعتقاد البروتستانتى والمصدر الأول للنصرانية النقية وجزءاً من طقوس العبادات والصلوات فى الكنائس وكتابا للتاريخ عن الأراضى المقدسة و الأنبياء والنبوءات المتعلقة بنهاية الزمان والألفية السعيدة للمسيح.

آمن لوثر بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ إسرائيل كأمة ستتحقق وكان يلوم البابوية (الكاثوليكية) لتحريفها النصرانية وصدها لليهود. ومع ذلك فإن ثورة البروتستانتية على الاعتقاد الكاثوليكى بشرت بعهد جديد من التسامح تجاه اليهود، وبعد انفصال الملك هنرى الثامن عن روما اقتحمت البروتستانتية بريطانيا وتمركزت فيها بالأمر الملكى الذى صدر عام ١٥٣٨ ليحل هنرى الثامن محل بابا روما رئيسًا أعلى لكنيسة إنجلترا، وسرعان ما انتشر الفكر البروتستانتى كالوباء فى شمال أوروبا ثم انتقل إلى العالم الجديد (أمريكا) بما تضمنه من الاعتقاد بالتفسير الحرفى للنبوءات التوراتية وبالإحياء

القومى لليهود وتحول هذا الاعتقاد البروتستانتى لقيام إسرائيل قبل المجىء الثانى للمسيح إلى حركة سياسية « نصرانية صهيونية » سبقت الحركة اليهودية الصهيونية فى الدعوة إلى قيام وطن لليهود فى فلسطين كما أوضحنا ذلك سابقًا.

وظل التناقض بين الحركة الصهيونية بنصرانيتها ويهوديتها وبين العقيدة الكاثوليكية بمركزها الدينى فى الفاتيكان واضحًا، وأكد ذلك البابا بيوس العاشر فى لقائه مع زعيم الصهاينة اليهود هرتزل عام ١٩٠٤م، كما وضح أيضا فى رفض الكنيسة لوعد بلفور عام ١٩١٧م وإعلانها معارضتها له، وأعلن البابا بنديكتوس الخامس عشر فى خطاب ألقاه فى ١٠ مارس عام ١٩١٩م : « سيكون من دواعى حزننا وحزن جميع المؤمنين النصارى لوضع الكفّار فى وضع متميز وعال، وسيزداد حزننا إذا ما وضعت الأماكن الأكثر قدسية فى النصرانية تحت إشراف غير النصارى.

وكان موقف الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية أيضًا غير محبذ لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ولم تعلم موافقتها على وعد بلفور وعارضت الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإن حافظت على علاقات طيبة مع الجماعات اليهودية واستندت الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية فى موقفها على التزامها بموقف الفاتيكان من جهة إضافة إلى اعتقادها بان معظم يهود الولايات المتحدة ليسوا على وفاق مع الحركة الصهيونية التى اعتبرت أقلية بينهم.

وبعد الحرب العالمية الثانية تعاطف بعض الكاثوليك مع اليهود والفكرة الصهيونية، كما أيد الفاتيكان مسألة تدويل القدس وفق الخطة التى أقرتها الأمم المتحدة بقرار التقسيم عام ١٩٤٧م، ووقف البابا موقف الحياد من قام إسرائيل عام ١٩٤٨م فلم تصدر الكنيسة اعترافا كما لم تصدر إدانة بخصوص قيام الدولة اليهودية، و اتخذت الموقف نفسه الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية [١].

بدأ ميزان الكنيسة الكاثوليكية فى الفاتيكان بالميل تجاه اليهود ودولتهم إسرائيل منذ عام ١٩٥٦م وذلك بسبب ميل مصر ومن بعدها بعض الدول العربية الأخرى نحو الميل للمعسكر الشيوعى، وتبنى الأفكار الاشتراكية والتقدمية والقومية والبعثية إلى آخر

---

(١) رضا هلال : المسيح اليهودى ونهاية العالم (مرجع سابق).

تلك الشعارات والمصطلحات الجوفاء الخاصة بهذا المعسكر والتى أثبتت فشلها فى الحياة العملية، أما الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية فقد كان تحولها تجاه إسرائيل أسرع لوفرة المناخ الدافع للتقارب بينهم وبين اليهود، وصار التركيز على التراث اليهودى المسيحى وصار الانطباع السائد هو أن إسرائيل دولة دينية تحمل الثقافة الغربية تقف ضد الشيوعية التى يروج لها حكام العرب الذين تخلوا عن موروثاتهم الثقافية والحضارية وحاولوا صبغتها بصبغة اشتراكية كمسوغ لانضمامهم إلى المعسكر اليسارى، ولم تفطن أى حكومة من تلك الحكومات المتعاقبة إلى ضرورة الحفاظ على خيط موصول بين العرب والغرب الكاثوليكى والمتمثل فى رفض الإلحاد ورسوخ المعتقد الدينى فى وجدان شعوب المنطقة حتى لو اتجهت للاشتراكية كحل سياسى واقتصادى لمشكلاتها، وذلك لتقطع على العدو الصهيونى الانفراد بساحة الدعاية ضد العرب دون وجود دعاية عالمية مضادة تحول دون توجيه الرأى العام النصرانى الكاثوليكى الرافض للصهيونية نحو مساندة إسرائيل المتدينة لأن رفضه للإلحاد أشد من رفضه للصهيونية، هكذا اتجهت الكاثوليكية الأوربية نحو إسرائيل.

أما الكاثوليكية الأمريكية ككنيسة مهاجرة وسط أغلبية بروتستانتية أبقت على ارتباطها بالفاتيكان كتعبير عن الهوية حتى لا تكون فى وضع هامشى فى مواجهة البروتستانت. وفى الوقت نفسه يحرص الأمريكيون الكاثوليك على أن تفصلهم مسافة عن الفاتيكان حتى لا يتهموا بولائهم للفاتيكان على حساب أمريكا وقيمها الوطنية والديمقراطية، يضاف إلى ذلك أن ما يقرب الأمريكيين الكاثوليك إلى أمريكا أكثر مما يقربهم من الفاتيكان كتجمع لاهوتى عالمى.

شهد عام ١٩٦٠م اعتذارا للبابا يوحنا بولس الثالث عشر عن دور الكنيسة الكاثوليكية فى نشر معاداة السامية، وكان هذا تمهيدا للإفصاح عن نية الكنيسة الكاثوليكية ورغبتها فى تغيير جلدتها وتبديل عقيدتها نحو نظرتها لليهود كقتلة للمسيح قد سفكوا دمه وعذبوه وغرسوا تاج الشوك على رأسه ثم صلبوه.

ثم أتى عام ١٩٦٥م ليكون نقطة فارقة فى التاريخ الكنسى برمته، إذ يشير هذا التاريخ إلى قرارات المجمع المسكونى الثانى المعروف اختصارا باسم « فاتيكان

اثنين»[1]، وهذا المجمع قد حضره ٢٦٥٠ من الأساقفة والكرادلة من كافة الأقطار والأجناس، وقد امتد انعقاده من ١١ أكتوبر عام ١٩٦٢م وحتى ٨ ديسمبر ١٩٦٥م. وقد قام المجمع بمراجعة تهدف إلى مماشاة الكنيسة الكاثوليكية مع العصر وفقا لرغبة البابا يوحنا الثالث والعشرين الذى اتخذ المبادرة إلى عقده. ووفقا للمصالح الاقتصادية والمتغيرات السياسية بالعالم، وصدرت عن المجمع ١٦ وثيقة، وكان من ضمن تلك الوثائق وأهمها وثيقة إعادة التأسيس المذهبى الكاثوليكى (المسيح هو نور الشعوب)، ووثيقة أخرى تحدد علاقة الكنيسة بالعالم (أفراح وآمال وأحزان وقلق بشر هذا الزمان).

وقد حددت وثيقة « المسيح هو نور الشعوب » دور المراتب الكنسية و البابا فى المرتبة الأولى و علاقة مجمع الأساقفة بالبابا و علاقة كنيسة روما بالكنائس.

أما الوثيقة الثانية « أفراح وآمال و أحزان وقلق بشر هذا الزمان » قد أدرجت أكبر قضايا العصر مثل التقدم والعدالة الاجتماعية ضمن منظور نصرانى [2] .

أما الوثيقة الثالثة فقد حوت مجلدات التربية النصرانية والتعامل مع غير النصارى. ويمكن تلخيص قرارات المجمع فى أحد عشر بنداً على النحو التالى :

١ ـ تبرئة اليهود من دم المسيح.

٢ ـ اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات.

٣ ـ اقتلاع الإسلام فى التسعينات.

٤ ـ توصيل الإنجيل إلى كافة البشر.

٥ ـ توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما مهما كان الاختلاف العقائدى معها.

٦ ـ فرض عملية التبشير على كافة النصارى حتى العلمانيين منهم.

---

(١) يشير اسم « فاتيكان واحد » إلى المجمع المسكونى الأول الذى عقد سنة ١٨٦٩م.

(2) Walter Abbot,Ed.,The Documents of Vatican II, Hardan&Harder,1996

٧ ـ استخدام الكنائس المحلية فى عمليات التبشير .

٨ ـ فرض بدعة الحوار كأسلوب للتنصير .

٩ ـ إنشاء لجنة خاصة للحوار مع غير النصارى .

١٠ ـ إنشاء لجنة خاصة لمهام تنصير الشعوب .

١١ ـ تغيير اسم لجنة محاكم التفتيش .

وسوف نتناول من هذه القرارات ما يهمنا ويخصنا منها :

الأول : بعد ألفى عام من الإدانة واتهام اليهود فى كل قداس أحد وفى كافة كنائس العالم ، اكتشف المسئولون فى الفاتيكان فجأة براءة اليهود من دم المسيح . وذلك استنادا إلى أن النصرانية ديانة نشأت فى جو يهودى ، وأن يسوع المسيح وسائر الأنبياء اليهود بدأوا بإيمان يهودى . فكرة أن المسيح ولد يهوديا ، وكذلك سائر الأنبياء قبله . كما أن المسيح أدان معاداة السامية ، وأن المسؤولين عن الموت بالصلب والتعذيب عدد قليل من الأشخاص لا كل اليهود ، وأخيرا أن التعذيب الجسدى والموت والصلب كان اختيار المسيح بنفسه بناء على رحمته الواسعة من أجل خلاص كافة البشر . فهم نفذوا مشيئة الرب .

وما يعنينا توضيحه هنا هو التلاعب بالنصوص وفقا للأهواء السياسية ، ذلك لأن هذه التبرئة تخالف نص عقيدة الإيمان النصرانى نفسه والذى تمت صياغته عام ٣٨١م ، وتأكد فى مجمع ترانت عام ١٥٦٣م ، كما أن نصوص الأناجيل ما زالت تؤكد إدانة الوالى بونس بيلاطس الذى نطق بحكم الموت ، أن اليهود وردت شاملة الفاريسيين والصادوقيين والكهنة الكبار الذين رفضوا جميعهم الإيمان بيسوع [(١)] .

البند الثالث : ومن خلال هذا البند (اقتلاع الإسلام فى عقد التسعينات) تكون الحرب الصليبية معلنة واضحة وصريحة ولا تدع مجالا للشك أو التأويل . والوثيقة الخاصة بالإسلام والمسلمين تمت صياغتها مع إدراج الإسلام ضمن الديانات الآسيوية ، والملاحظ أنهم قد حددوا زمنا لاقتلاع الإسلام الذى عجزوا بحروبهم الصليبية لقرون

---

(١) أ. د زينب عبد العزيز : حرب صليبية بكل المقاييس ، سلسلة صليبية الغرب وحضارته . دار الكتاب العربى . القاهرة ـ دمشق ٢٠٠٣م .

أن يقتلعوه، هذا يدل دلالة قاطعة على أن هناك مخططات ومكائد تعمل قبل هذا التاريخ بقرون تجعل التسعينات هى رؤيتهم للزمن المناسب تجنى ثمار ما غرسوه فى الأمة، وسوف نكشف فى الفصول التالية من هذا الكتاب هذه المخططات وتلك المكائد التى أطلقنا عليها اسم معاول الهدم فى جسد الأمة الإسلامية، والله غالب على أمره.

البند الخامس : توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما. وهذا التوحد ليس توحدا عقائديا، ولا يقصد به حل الإشكاليات الخلافية فى أصل العقيدة ومفاهيم الدين، فهناك بون شاسع بين الملل النصرانية، فلن تتنازل الأرثوذكسية عن معتقداتها، وكذلك لن ترضح البروتستانتية لما تمردت عليه من الكاثوليكية، ولن تعود لعباءة الكنيسة الكاثوليكية وسيطرة بابا الفاتيكان، ولكن التوحد هنا هو توحيد الجهود والطاقات وتجييش الجيوش ليكونوا صفا واحدا، يتحرك صوب تحقيق البند الثانى.

الخلافات العقائدية جذرية بين مختلف الكنائس، فهناك كنائس لا تؤمن بأن المسيح هو الله، وهناك كنائس لا تؤمن بأن القربان يتحول فعلا إلى لحم المسيح ودمه، وهناك أخرى لا تؤمن بأن السيدة مريم العذراء هى أم الله، وهناك من لا تراها عذراء أصلا وتطلق عليها اسم الخاطئة المقدسة. ومنها ما يصلى يوم الأحد، ومنها ما تجعل الصلاة يوم السبت وتنكر تحولها ليوم الأحد. . . . . إلى آخر نقاط الخلاف التى لا تكاد أن تحصى وهذا ما دعا بابا الفاتيكان إلى عرض فكرة تغيير سبعين آية من آيات الأناجيل حتى تتقارب العقائد.

حاول اللاهوتيون الكاثوليك فى أمريكا ابتداع كاثوليكية أمريكية مستسقاه من هذه المبادئ التى أقرها المجمع المسكونى عام ١٩٦٥م دون أن يعنى ذلك استقلالية الكاثوليكية الأمريكية عن كاثوليكية الفاتيكان، فالكاثوليك الأمريكيون يتبعون الفاتيكان فى المذاهب والممارسة الدينية ويحتفون بالبابا ويتبرعون للفاتيكان بسخاء، فعند زيارة الباب يوحنا بولس لأمريكا عام ١٩٩٥ حضر قداس البابا نحو ربع مليون وفى حملة تبرعات العام نفسه تبرع الكاثوليك الأمريكيون بأكثر من ثلث تبرعات الحملة وقدم ٣٠٠ ألف أمريكى تبرعات غير معلنة[1].

(1) Michele Dillon,Rome And American Catholics,In: The Annals,July,1998.

وبالنظر إلى التأثير المهم للفاتيكان فى الكاثوليك الأمريكيين فإن ذلك التأثير قد انعكس فى حركة الإحياء الكاثوليكى الأمريكى من ناحية، و فى دور الكاثوليك فى السياسة الأمريكية خاصة بعد إعلان العقيدة الجديدة للكاثوليكية بقرارات فاتيكان اثنين ١٩٦٥م.

كان لحرب سنة ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل للأراضى العربية أثرها فى منع الفاتيكان من الاعتراف الرسمى بإسرائيل، إلا أن هناك اعترافًا واقعيًا بالدولة اليهودية من خلال الاجتماع بمؤسسيها ومبعوثيها وموافقتها على تدويل القدس وعودة اللاجئين الفلسطينيين. لم تكن هزيمة العرب عام ١٩٦٧م مجرد نكسة عسكرية، بل كان لانتصار إسرائيل فى حرب يونيو واحتلالها أراضى ثلاث دول عربية آثاره التى ترتب عليها ظهور مظاهر مؤيدة لإسرائيل داخل الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية التى بدأت تشهد اختراقا مسيحيًا صهيونيا، فطالب الأب ردوارد فلانيرى بمراجعة الموقف الكاثوليكى من الشعب اليهودى ومن إسرائيل كما طالب الأسقف أوستريشد باعتبار أن القدس مدينة يهودية وأن إسرائيل هى تعبير عن إرادة الله.

ومع النصف الثانى من السبعينات تغلغلت الاتجاهات الصهيونية فى الوسط الكاثوليكى الأمريكى وقدر معهد جالوب أن من يعتقدون بالبعث اليهودى والمجىء الثانى للمسيح (الاعتقاد البروتستانتى) قد وصلت نسبتهم إلى ١٧ ٪ من الكاثوليك[١]. وجاء اعتلاء البابا يوحنا بولس الثانى للعرش البابوى ليدفع بالعلاقة بين الفاتيكان و اليهود واليهودية فى اتجاه تضافر التراث اليهو- نصرانى وتأكيد تبرئة اليهود من خطيئة قتل المسيح وصلبه وتعذيبه، بل والتأكيد على الأصل اليهودى ليسوع المسيح وكان ذلك مضمون الوثيقة التى أقرها الفاتيكان عام ١٩٨٥م، إلا أن البابا لم يستجب لمبادرة ٢٤ عضواً من أعضاء الكونجرس الأمريكى من الكاثوليك واليهود لإقامة علاقات مع إسرائيل فى ٢٤ من نوفمبر عام ١٩٨٤م.

رضا هلال : أمريكا الحلم والسياسة : من أوراق التغريبة الأمريكية، القاهرة، الحضارة للنشر .

من تداعيات السلام المبتور الذى لا يقوم على أى أساس من حفظ الحقوق، ومن سلام - وإن كابر المنادون به - هو للاستسلام أقرب، فيحقق مصالح الغرب ويلبى مطالبهم ومآربهم، والدليل ما رأيناه مع انطلاق التسوية السلمية بين إسرائيل والعرب بعد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، ثم بعد الاتفاق الإسرائيلى - الفلسطينى عام ١٩٩٣م، والذى لم يستفد منه الفلسطينيون شيئًا حتى الآن، حتى دماءهم لم تحقن. جاء اعتراف الفاتيكان بالدولة اليهودية فى العام نفسه. وبدأ الفاتيكان فى إعداد إستراتيجية مصالحة تاريخية بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود فبتوصية من البابا يوحنا الثانى نظم الفاتيكان مؤتمرا بين ٣٠ أكتوبر و٢ نوفمبر عام ١٩٩٧م لمناقشة وثيقة رسمية عنوانها «جذور معاداة اليهودية فى الوسط النصرانى» شارك فيها ٦٠ من رجال اللاهوت النصرانى.

و دعا مؤتمر سنة ١٩٩٧م لمراجعة وتعديل بعض النصوص الدينية فى العهد الجديد وتحديداً تعديل إنجيلى متّى وبولس لإنصاف اليهود كما أكد المؤتمر على أن النصارى واليهود يتقاسمون الاعتقاد بالإله « يهوه » الإله اليهودى وبأن المسيح والحواريين ولدوا يهوداً.

ولا أعرف كيف يزعمون أن كتابهم هذا من عند الله وهم يبدلون فيه ويغيرون وفقا لمقتضيات العصر، ومتطلباته السياسية، والمصالح الاقتصادية، ولا تعليق سوى قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)﴾ [البقرة : ٧٩]

وفى ختام أعمال المؤتمر وجه البابا كلمة اعتبر فيها أن المقاومة النصرانية ضد النازية لم تكن بالشكل المطلوب التى كانت تنتظره الإنسانية، ودعا إلى تنظيف « الذاكرة النصرانية » من الكتابات الظالمة للشعب العبرانى و كان المؤتمر كما قال البابا تمهيدا لفتح جديد فى العلاقة النصرانية - اليهودية نحو الشراكة بينهما.

وفى هذا السياق تمثل الوثيقة التى أصدرها الفاتيكان فى السادس عشر من مارس عام ١٩٩٨م إحدى حلقات المصالحة بين الفاتيكان وأورشليم تنفيذا للوعد الذى قطعه البابا قبل عقد من الزمن للمنظمات اليهودية بإصدار وثيقة تراجع الماضى اليهودى

النصراني. وفي واقع الأمر فأن وثيقة الفاتيكان التي حملت عنوان « نتذكر : تأمل في المحرقة » تجاوزت الهولوكست إلى تاريخ العداء الكاثوليكي اليهودي وفرقت بين معاداة السامية ومعاداة اليهودية.

فالمحرقة ـ كما تقول الوثيقة ـ صنيعة معاداة السامية ـ ومعاداة السامية صنيعة نظام عنصري يتسم بوثنية جديدة وليست صنيعة الكنيسة أما معاداة اليهودية فقد شارك نصارى في مسئولية نشرها وهنا يبرئ الفاتيكان نفسه من المحرقة و إن اعتذار عن عدم القيام بما يكفي لحماية اليهود منها واعتبر أن النصارى يتحملون واجبًا أخلاقيا لضمان ألا تتكرر أبدًا.

لقد رغب الصهاينة المتشددون في أن يدين الفاتيكان البابا بيوس الثاني عشر الذي يتهمونه بالتعاطف مع النازية، وغض البصر عن جرائمها. أما الفاتيكان فقد قصد من الوثيقة أن تكون وثيقة اعتذار وصفح من اليهود عن العداء الكاثوليكي التاريخي لليهود واليهودية وللجانبين اليهودي والكاثوليكي فإن أهمية الوثيقة تتبدى في اعتذار الفاتيكان عن العداء لليهودية و اليهود بعد ٣٣ عاما من المجمع المسكوني الثاني الذي أكد براءة اليهود من دم المسيح و أن يسوع المسيح هو من عدد من الأنبياء اليهود. ومما لا شك فيه أن هذا الاعتذار معناه مباركة الكنيسة الكاثوليك لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ودعم الدولة اليهودية.

ويقول الأستاذ رضا هلال : إنه ما من أحد يعترض على مصالحة تاريخية يهودية ـ كاثوليكية إلا المتطرفين والمعادين للسامية وأنصار المحارق ولكننا لا نريدها نصرانية ـ صهيونية جديدة تتنكر لحقوق المسلمين والمسيحيين في القدس والدولة الفلسطينية. فالبروتستانتية تحولت إلى نصرانية صهيونية سُخِّرت في خدمة تأكيد شرعية الدولة اليهودية واحتلالها للقدس والأراضي العربية وبذلك يتحول مفهوم « اليهو ـ نصرانية » إلى مفهوم علماني لمباركة الدعوة الصهيونية «اليهودية» بإقامة وطن قومي لليهود على الأراضي الفلسطينية العربية الإسلامية[1].

---

(١) رضا هلال : مصالحة بين الفاتيكان وأورشليم أو مسيحية صهيونية صاعدة. الحياة (لندن) ٢٩مارس ١٩٩٨م.

إذا كان بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثالث عشر قد قدم اعتذاراً عن دور الكنيسة الكاثوليكية فى تكوين النظرة الدونية التى كانت تنظر لليهود، باعتبارهم كفرة برسالة المسيح وأعدائه، وأن هؤلاء اليهود هم حفدة من عذبوه وصلبوه، وذلك تحت مسمى الاعتذار عن دور الكنيسة الكاثوليكية فى نشر معاداة السامية، وبالرغم صحة هذا الادعاء وفق عقيدتهم فاليهود كفروا برسالة المسيح وعذبوه ولم ينكر اعتقادهم بأنهم علقوه على الصليب وقتلوه، وأن انتصاره على الموت لا يعنى بأنهم لم يقتلوه. ولكن مستجدات أحداث العصر ومستحدثاته والمصالح الاقتصادية اقتضت تغيير العقيدة وتقديم الدنيا على الدين، وتقديم الاعتذار الذى يرضى القوى الرأسمالية الصهيونية الاستعمارية المتحكمة والمهيمنة على العالم.

إذا كان البابا يوحنا بابا الفاتيكان يبحث عن الاعتذار لمن ناله الأذى والضرر الجسيم من جراء النصائح والتعاليم الكاثوليكية الخاطئة ابتغاء مرضاة الرب فمن الأولى به أن يقدم اعتذاراً للدول العربية والإسلامية عن قيام الكاثوليك بالحملات الصليبية ضد الأمة الإسلامية والتى استمرت فى تصدير الأذى للمسلمين على مدى قرون من الزمان، ورغم أن بابا الفاتيكان يقوم بزيارات للدول العربية والإسلامية، ويستقبل استقبالات حافلة عظيمة بينما لا يجرؤ أحد من حكام الأمة أن يطالب البابا بمجرد الاعتذار عن الحملات الصليبية وحروبها، بينما يفرض علينا الواجب أن نطالبه بتعويضات كبيرة عوضا عما سببته حملاتهم الغاشمة علينا، مثلما دفعت ألمانيا تعويضاتها المادية والمعنوية لليهود، ولكن ما يحدث هو أن بابا الفاتيكان يلوك عبارات عدائية ينتهلها من كتب تاريخهم الصليبى، ويجيب إذا ما وجهت له الأمة الإسلامية اللوم أو العتب الجميل بأن العرب لم يفهموا كلامه أو مقصده، فقد كان يسرد نصًا تاريخيًا، منتهى الاستخفاف بالعقول، وفى الحقيقة ليس استخفافا بالعقول فهو يدرك حجم العقول المسلمة ولكنه استخفافًا بالأمة التى أضعفها حكامها الذين يدعون الزعامة، وقبلوا التبعية الذليلة للغرب فى مقابل المحافظة على عروشهم أو توريثها لبنيهم حتى ولو كانت النظم جمهورية غير قابلة للتوريث، وآمنوا بأن الأمر بيد الغرب ونسوا أن لله الأمر من قبل ومن بعد. وعلى هذا تمادى الغرب بالسب والتطاول على الإسلام والمسلمين وعلى سيد المرسلين وأشرف الخلق أجمعين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

النصارى الصهاينة والمحافظون الجدد بالولايات المتحدة:

أثناء الحرب الباردة بين القوتين العظمتين فى العالم برز فى الولايات المتحدة الأمريكية تياراً سياسيا قويا يناهض الأفكار الشيوعية، وخاصة فى نهاية السبعينات حيث توسعت معارضتهم للعلاقات مع الاتحاد السوفيتى واتفاقيات الحد من الأسلحة الإستراتيجية SALT وعارضوا سياسة كارتر الرخوة، وكانت أفكارهم غاية فى الوضوح إذ ينظرون لعملية السلام فى الشرق الأوسط فكرة مشبوهة، وإلى المعاهدات والاتفاقيات باعتبارها « قيداً على القوة الأمريكية »، كما أنهم يؤمنون بمبدأ أن **الأفكار هى التى تغير الواقع** (وهذا ما جعل البعض يرى وجه الشبه بين هذا التفكير وتفكير لينين وتروتسكى).

ومن أبرز أعلام هذا الفكر اليوم والذين تولوا مناصب رسمية خاصة فى إدارة بوش الثانية : لويس ليبى، رئيس موظفى مكتب نائب الرئيس ديك تشينى، والمستشار الخاص للرئيس الأمريكى إليوت ابرامز، ونائب وزير الدفاع بول وولفيتز، وجون بولتون ودافيد وورمزر من الخارجية، وفى الأجهزة الاستشارية ريتشارد بيرل واليوت كوجين، ومن الأكاديميين دونالد كاجان الأستاذ فى جامعة بريستون برنارد لويس، وآرون فريدبرج، وفى الإعلام محرر مجلة ويكلى ستاندرد ويليام كريستول وهو من الجيل الأول للمحافظين الجدد، وشارلز كرونهامر كاتب عمود فى واشنطون بوست، ومعظم كتاب الرأى فى جريدة الوول ستريت جورنال، ومحطة فوكس نيوز، ومدير المخابرات الأسبق جيمس وولس، وفى مراكز الأبحاث ماكس بوت فى مجلس العلاقات الخارجية، ونورمان بورهرتز وميرياف وورمز فى معهد هدسون، ومعظم الباحثين فى معهد أمريكان انتربريز، ومن النصارى الصهاينة الذين تتلاقى أفكارهم مع المحافظين الجدد وهم أصحاب نظرية انفراد أمريكا بالهيمنة على العالم ومقدراته، نائب الرئيس ديك تشينى، ووزير الدفاع الأسبق رامسفيلد، وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب : جاك كمب، والسيناتور دانيل باتريك مونيهان، وتوم نويت جينجرتش، وجوزيف ليبرمان وجميعهم وراء الأعمال العسكرية الأمريكية بالشرق الأوسط.

ويشهد التاريخ أنهم فى عام ١٩٨٠م وقفوا وراء مرشح الجمهوريين رونالد ريجان الذى تبنى أجندتهم التى تتبلور أهم نقاطها فى الآتى :

ـ أن أمريكا لديها الفرصة والإمكانيات ـ رغم وجود الاتحاد السوفيتى ـ لتكون القوة المسيطرة على العالم والمهيمنة عليه وليست إحدى قوتيه أو أقطابه. إلا أن هذا يتطلب الرجوع إلى القيم التقليدية (الأصولية) أى التمسك بمبادئ النصرانية الصهيونية، وهذا هو الرباط العضوى الذى وحد بين جهود كل من النصارى الصهاينة وهؤلاء المحافظين الجدد خاصة فى خدمة إسرائيل.

ـ إن الدفاع القومى هو الشرط الرئيسى للقوة والمكانة الأمريكية، وأن القوة العسكرية وبنائها يجب أن يكون لهما الأولوية المطلقة.

ـ إن الولايات المتحدة ليست هى المسؤلة أو المطالبة بالتكيف مع العالم، ولكن قوتها هى التى ستجعل العالم يتكيف معها [1].

بهذه المفاهيم طبق ريجان فى فترة رئاسته الأولى وهو أحد النصارى الصهاينة سياسة سباق التسلح وكانت أكبر ميزانية للبناء العسكرى فى تاريخ الولايات المتحدة، وكان طبيعيا أن يحتل عدد من رموز هذا التيار مناصب مؤثرة فى إدارة ريجان من أمثال : ريتشارد بيرل، وإليوت إبرامز، وجين كيركباتريك.

وفى متابعة أصول ومصادر تيار المحافظين الجدد وتحالفه مع قوى أخرى، فمن الطبيعى أن نجد ارتباطات وثيقة بين عناصر تيار المحافظين الجدد وعناصر من اليمين النصرانى الأصولى أوالنصارى الصهاينة من أمثال جيرى فالويل، وبان روبرتسون حيث كانوا من الشخصيات المقربة لريجان وإدارته والبارزة فى مؤتمراتها، وليس مصادفة أن تكون هذه الشخصيات هى المقربة لجورج بوش الابن.

فى عام ١٩٩١م قدم بول وولفيتز وأى لويس ليبى عن التيار ما أسموه (دليل السياسات الدفاعية عن الاستراتيجية الأمريكية خلال غقد التسعينات) وهو يرتكز على ثلاث ركائز :

ـ ضمان التفوق العسكرى الأمريكى.

---

(١) الدكتور السيد أمين شلبى : أمريكا والعالم متابعات فى السياسة الخارجية الأمريكية ٢٠٠٠ـ٢٠٠٥م. عالم الكتب. القاهرة (بتصرف).

ـ العمل على منع قيام قوة أخرى تنافس الولايات المتحدة فى وضعها الدولى العالمى. (وذلك بإحباط تنامى الأمم والدول الأخرى لضمان الهيمنة الأمريكية على العالم).

ـ إمكانية قيام الولايات المتحدة بعمليات (الضربات الوقائية) ضد أخطار محتملة. وهو مبدأ برروا به غزو العراق ونهب ثرواته.

وفى عام ١٩٩٧م جدد التيار جهوده لتقديم مفاهيمه الاستراتيجية حيث قدم مشروعًا باسم (مشروع القرن الأمريكى الجديد) الذى يرى وجوب سياسة السيطرة العسكرية لضمان استمرار العالم بقطب واحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ونهاية الحرب الباردة لقيادة العالم والهيمنه عليه والتحكم فى ثرواته ومقدراته، وهم مهندسو خطة الشرق الأوسط الجديد التى سنتناولها فى الفصل القادم.

وبتسلسل الأحداث نجد أن الفكر الصهيونى الذى ربط المحافظين الجدد بالنصارى الصهاينة ومنظماتها التى تراعى مصالحها، قد جمع معه بطبيعة الحال المنظمات اليهودية الصهيونية المتطرفة والمنتشرة فى معظم دول العالم الغربى، والمنظمات الماسونية التى تعمل علنا وسراً. الأمر الذى جعل مصالح إسرائيل وأمنها من ركائز أجندة المحافظين الجدد فى تبنى التحالف الاستراتيجى الذى تبنى عليه العلاقات الأمريكية الإسرائيلية. والدول التى تدور فى فلكها ولها تاريخ فى ازدهار الصهيونية النصرانية كانجلترا، ودول الأرض المنخفضة بأوروبا كهولندا والدانمارك وفرنسا ذات العقيدة الألفية، واستراليا التى طبق مهاجروها الصهاينة نفس التجربة الأمريكية فى استئصال شأفة سكانها الأصليين والاستيلاء على خيراتهم وثرواتهم، والدول التى جندوا أنظمتها الحاكمة لتصبح دولا خادمة لمصالح الصهيونية ومنفذة لمخططاتها حتى لو كان ذلك على حساب شعوبها، ومقدراتها وثرواتها، وأراضيها، بل وعلى عزتها وكرامتها، وتكالبت قوى الكفر واتحدت عقائدها المتباينة، وتجمع شتات شرقها وغربها ولم تتفق إلا على معاداة الإسلام والانصياع لتنفيذ المآرب الصهيونية، وعلينا أن ننتبه، ونصحو من غفلتنا، ولا ندع الغرب وإعلامه وأعوانه ينأون بتفكيرنا عن القضية التى يجب أن تكون أساسية ومحورية فى حياتنا. فهى تعنى وجودنا نفسه. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الفصل الحادى عشر

خدعة السلام المزعوم
لخدمة المخططات الصهونية

معول خدعة السلام المزعوم :

إن المخطط الصليبى الصهيونى للقضاء على الإسلام وإبادة أهله ليس وهما نتوهمه، أو ادعاء ندعيه بالباطل على الغرب، ولكنه حقيقة قد كشفنا أبعادها الدينية والسياسية والاقتصادية، وسقنا للقارئ الكريم بداية المخطط ونشأته، وتطور الفكرة مذ زرعها إبليس اللعين فى رأس مارتن لوثر ومرورا بوعد بلفور إلى اغتصاب فلسطين وإلى الأحداث الجارية اليوم بأرضنا الطاهرة بفلسطين والعراق. وهذا ما يجعلنا لا ننخدع بمن ينادى بحقوق الإنسان فى كل مكان إلا فى جوانتانامو، ويداه مخضبتان بدماء أهلينا فى العراق وفلسطين.

إن كلمة «السلام» كلمة عظيمة المعنى، قد شرفها رب العزة فجعلها اسمًا من أسمائه الحسنى، وهو مطلب للإنسان يحتاج إليه فى كل مكان وزمان، ولكن السلام الأمريكى الحادث فى الشرق الأوسط ليس سلاما قائما على أى أساس من أسس العدالة، ولكنه مناورات وحيل وحركات التفاف للحصول على مكاسب وتحقيق أهداف صهيونية قد تفوق مكاسب يمكن الحصول عليها بالحرب، أو لم تستطع الحرب تحقيقها. والسلام فى وقت الخطر استسلام وأسوء أنواع البلادة والتقاعس، فالسلام الآن هو أول معول من معاول تحطيم الأمة الإسلامية والقضاء على أبنائها، فالمناداة

بالسلام وقتما ينفخ العدو نفير الحرب خيانة للوطن، وخيانة لكل ما نعرفه ونحمله من مبادئ وقيم، ولن أجعل من نفسى موضع من يقيم الاتفاقيات أو يقومها ولكنى ببساطة سوف أعرض على القارئ اللبيب بعض التفاصيل التى نسجت كيان السلام الهيلولى الزائف بين العرب وإسرائيل وأدع له الحكم والتقويم. فلن أضع تحليلا سياسيا أدعيه أو أبدى رأيا فى أشخاص بعينهم كأنور السادات الذى لن ننسى له بطولة قيادة الحرب والانتصار فى ١٩٧٣م ضد إسرائيل واقتحام خط بارليف الأسطورى، ولم نزل ننظم الرحلات لزيارة مواقعه الحصينة التى سقطت فى أيد أبنائنا البواسل، كى لا تنسى الأجيال التى ولدت فى ظل السلام الزائف، بطولات الآباء والأجداد، ولكى تعرف أن ما تراه من تخاذلات مصرية وعربية الآن ليس إلا سحابة صيف وسريعا ما تنقشع، ويشاهدوا بأعينهم آثار بطولات آبائهم الشجعان الذين قادهم أنور السادات إلى النصر، ولكن اتفاقيات السلام لم تسر مثلما أراد لها، أو كما أعلن، فقد نادى السادات فى الكنيست الإسرائيلى بالسلام الشامل القائم على العدل، ولم يطالب أو ينادى بحل منفرد بين مصر وإسرائيل، فلا أشكك فى مقاصد الرجل، أو أى حاكم مصرى أو عربى، ولكنى أسرد الحقائق من المصادر الموثقة، وإن مست أحد الحكام فقد ظهرت هذه الوثائق فى عصره وأوان حكمه، ولم تصادر هذه الصحف أو الكتب، فقد حصلت عليها من الأسواق المصرية، ولم تصل إلى سرا من أى مكان.

كامب ديفيد.. واستقالة وزير الخارجية المصرية أثناء المفاوضات [1]:

يقول محمد إبراهيم كامل: كنت أرغب فى تحديد موقفى بينى وبين نفسى من المبادرة فى حد ذاتها، ثم فى دراسة كيفية وضعها موضع التنفيذ والتكنيك الذى يتبع فى هذا السبيل وخلصت من تفكيرى إلى الاقتناع بنظرية المبادرة وإمكانية تحقيق تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط على أساسها وحتى إذا لم تنجح فسيصيب إسرائيل الفشل ويكشفها دوننا.

---

(١) قراءة من كتاب السلام الضائع فى اتفاقيات كامب ديفيد: مذكرات محمد إبراهيم كامل وزير خارجية مصر الذى استقال فى كامب ديفيد أثناء مسرحية المفاوضات التى لعبها السادات مع أمريكا وإسرائيل.

فقد ظهر لى من استعراض المواقف العربية منذ قيام إسرائيل أنه حافل بالفرص الضائعة. ففى كل مرة كان العرب يفوتهم القطار فإذا ما عادوا لمحاولة اللحاق به تكون إسرائيل قد رسخت قدمها فى أرض جديدة. وكان ما يعوق العرب ويسبب ترددهم هو ضعفهم وتفرقهم وروح المزايدة والتناحر بينهم وإصرارهم بعناد على وصف إسرائيل بأنها دولة (مزعومة) رغم اعتراف أغلب دول العالم بها.

وتذكرت سنة ١٩٥٤م بالذات عندما دعا أنتونى إيدن وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت إلى عقد اجتماع مائدة مستديرة تشترك فيه الدول العربية وإسرائيل لبحث تسوية النزاع، ولم يلبث جمال عبد الناصر أن أعلن أنها فكرة جديرة بالنظر وأنه سيقوم بدراستها، إلا أن القيامة قامت فى بعض الدول العربية وخاصة سوريا والفلسطينيين وانهالت الاتهامات بالخيانة على جمال عبد الناصر وبأنه يبيع القضية الفلسطينية للعدو الصهيونى وكان الهجوم فى وسائل الإعلام عنيفا فتراجع جمال عبد الناصر عن تصريحاته وادعى أنها حرفت وفهمت على غير حقيقتها. فهدأت العاصفة وعاد الموقف العربى إلى ما كان عليه.

عادت إلى ذهنى تلك الواقعة التى حدثت فى وقت كانت كل ما تطالب به إسرائيل هو أن تقبل الدول العربية التفاوض معها والاعتراف بها فى حدودها التى بينها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولة فلسطينية وأخرى يهودية، وأحسست بسخرية القدر فلم تكن إسرائيل وقتها تحتل سيناء ولا الضفة الغربية ولا القدس، ولا غزة ، ولا الجولان، إذ لم يتم ذلك إلا فى حرب ١٩٦٧م فما كان من الدول العربية إلا أن أعلنت فى مؤتمر الخرطوم أنه لا مفاوضة ولا اعتراف ولا صلح مع إسرائيل.

وقد أدركت إسرائيل كيف تستغل موقف الرفض العربى هذا فظلت تعمد بعد احتلالها للأراضى العربية فى سنة ١٩٦٧م إلى مطالبة العرب بالاعتراف بها، والتفاوض معها وهى مطمئنة واثقة بأن رد الفعل العربى سيكون مزيدا من الرفض مما يتيح لها الوقت والفرصة لوضع مخططاتها التوسعية موضع التنفيذ عن طريق تعزيز مواقعها فى الأراضى الجديدة المحتلة وإقامة المستوطنات فيها وقطع أواصر هذه الأرض وعزلها عن وطنها الأم.

هذا ما دار بذهن السيد محمد إبراهيم كامل إلا أننى أراه مخطئا ـ كما أثبتت له الأيام ذلك ـ فهذه الفرص الضائعة لم تكن فرصا حقيقية لأن السلام والحل السلمى النهائى ليس فى تخطيط النصارى الصهاينة ولا فى نواياهم، حقيقة كانت الصهيونية تدعى أنها تطلب المفاوضات السلمية بين العرب وإسرائيل والاعتراف بإسرائيل، ولكنها فى نفس الوقت كانت توعز لعملائها والمتعاونين سرا معها بنبذ فكرة المفاوضات ومعارضتها بشدة حتى يبدو أن العرب يرفضون السلام ويرفضون القرارات الدولية ويزداد التعاطف الدولى لإسرائيل وتُبرر أمام المجتمع الدولى حجم المساعدات العسكرية والمعونات الاقتصادية لإسرائيل، وليبدو المعتدى الغاصب رجل سلام، ويبدو المعتدى عليه همجيا رافضا للسلام، فكل هذه مناورات وسيناريوهات مرسومة لا يقصد منها إلا مصلحة إسرائيل التى يجب أن تسود وعلى الكنعانيين والعرب المسلمين أن يموتوا تنفيذا لمشيئة الرب لعودة المسيح واكتمال أحداث الأساطير التى سقناها من مصادرهم وكتبهم التى يقدسونها.

ثم قال محمد إبراهيم كامل : صحيح أن السادات كان يتعين عليه أن يحاول الإعداد لهذه المبادرة بالتشاور والتنسيق مع الدول العربية أو على الأقل مع دول المواجهة والدول العربية المعتدلة قبل أن يطرحها على إسرائيل فيتفادى بذلك الفرقة والمعارك الجانبية مع بعض الدول العربية، إلا أنه يبدو أن السادات قد احتوته فكرة المبادرة لم يطق صبرا وخشى ـ إن هو فاتح الدول العربية فى الأمر ـ أن تذبل وتتبدد من بين من يديه نتيجة اختلافات وتعارض فى وجهات النظر بينها وتفقد بذلك بريقها وقوة تفجير المفاجأة وأخذ إسرائيل والعالم على غرة.

وحقيقة نجحت قوى الصهيونية الأمريكية والإسرائيلية فى جعل السلام الشامل الذى نادى به السادات وحولته المباحثات المنفردة (فض الاشتباك الأولى ١٨ يناير ١٩٧٤م، وفض الاشتباك الثانية الموقعة فى جنيف ٤ سبتمبر ١٩٧٥م، و كامب ديفيد إلى حل سلمى منفرد مع مصر وهذا ما أدى إلى إحداث النقاط الآتية :

ـ أولا : عزل مصر عن أشقائها العرب عزلا تاما، خاصة وأن السادات أقدم على مبادرته دون مراعاة للدول العربية أو استشارتها وردود الفعل العربية غاضبة ساخطة.

وبهذا أحدث هذا السلام المزعوم صدعا قويا فى التلاحم العربى الذى ظهر بقوة أثناء حرب ١٩٧٣م، وظهرت مدى قوة العرب إذا اتحدوا.

- ثانيا : لأن مصر أقوى الدول العربية وكانت أكثرها خطرا على مخططات الصهيونية التوسعية، فعزلها يوهن من بأسها ويضعف من شدتها، ويجعلها أيسر كسرا.

- ثالثا : بخروج مصر من دائرة الدول العربية فلن تشكل باقى الدول العربية خطرا على إسرائيل وعلى المخططات الصهيونية ولن تملك حراكا فعالا. ثم أن عزل مصر عن الدول العربية يقطع عليها الكثير من مقومات قوتها ويضعفها هى نفسها بالتالى.

- رابعا : السلام الجزئى مع مصر أو الصلح المنفرد معها يجعلها مكبلة اليدين أمام قوى الصهيونية التى تصول وتجول (تبرطع) دونما رادع، وتتفرغ فى هدوء ودونما مقاومة تذكر لابتلاع وهضم الأراضى العربية الأخرى المحتلة، أو التى ستقوم باحتلالها فيما بعد كجنوب لبنان (وفقا لمخططاتها).

- خامسا : تحطم فكرة مؤتمر جنيف الذى كان يتم الاستعداد له فقد كان هذا المؤتمر يجمع الدول العربية متحدة أمام إسرائيل تحت مظلة الأمم المتحدة وبرئاسة الدولتين العظميين.

- سادسا : السلام المنفرد ونسف مؤتمر جنيف قبيل انعقاده بمبادرة السادات لزيارة القدس قد أزاح الاتحاد السوفيتى القوة العظمى الثانية حينذاك عن المشاركة فى صنع السلام العادل مما يجعل المباحثات قاصرة على أمريكا الصهيونية المنحازة انحيازا تاما لإسرائيل ومصالحها التى هى نفسها مصالح أمريكا النصرانية الصهيونية.

- سابعا : إزاحة الأمم المتحدة عن طريق السلام المزعوم يبعد دول أوروبا ويمنعها من المشاركة وتقديم المقترحات، حيث أن أوروبا بعد حرب ١٩٧٣ اتخذت مبادرات ومواقف أوضحت تفهم النزاع العربى الإسرائيلى والأساس الذى يجب أن تقوم عليه التسوية بالانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة، وإقرار حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة. وقد كانت ومازالت إسرائيل فى هذا الوقت تسعى بكل السبل إلى تحييد موقف أوروبا ومنعها من التدخل بشكل أو بآخر من تقديم مقترحات أو حلول.

ـ ثامنا : السلام المزعوم مع مصر وإنشاء علاقات معها يفتح الباب أمام إقامة مباحثات فردية مع الدول العربية المنفردة فتتمكن إسرائيل من إقامة علاقات تجارية واقتصادية ودبلوماسية ـ بشروط إسرائيلية وضمانات أمريكية ـ مع بقية الدول العربية مما يمكن إسرائيل من اقتحام الأسواق العربية ذات القوة الشرائية الكبيرة كالتى بدول الخليج النفطى .

ـ تاسعا : بعد عزل مصر عن أشقائها العرب ، لن يكون أمام قياداتها إلا الرضوخ للضغوط الأمريكية لقبول تنازلات لم تكن مصر لتقبلها فى الظروف العادية مما يحقق مكاسب صهيونية ، وحقيقة من هذه المكاسب السماح بمرور البضائع الإسرائيلية بحرية المرور عبر قناة السويس ذهابا وإيابا ، وهو ما يعد تقويضا لسلاح المقاطعة العربية الذى كان فعالا حينذاك .

ـ عاشرا : السلام مع مصر واتفاقيات تطبيع العلاقات والتبادلات التجارية والزراعية تجعل مكان العدو الصهيونى يتحول من المواجهة إلى أن يكون بيننا وداخل بيوتنا ، كما عرفنا بعد ذلك عن المزروعات جالبة السرطان والفشل الكلوى وغيرها من السلع والمأكولات المسممة والمسببة للأمراض الفتاكة والوبائية (والغريب أن الدولة لا تلقى بالا أو تقضى على المتآمرين والمتورطين فى الصفقات المشبوهة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل) ، وسوف نتناول بعد ذلك أضرار التطبيع والاتفاقات مع العدو الصهيونى .

الاتفاقات السرية :

أكد الزعماء والسياسيون المصريون أن الاتفاقيات مع الصهاينة جميعها معلنة ، ولا توجد اتفاقيات سرية ، وربما لم تكن هناك اتفاقات سرية مصرية صهيونية سواء كانت إسرائيلية أو أمريكية ، ولكن كانت هناك اتفاقات صهيونية بين نصارى الصهاينة ويهودها ، وكان الهدف من هذه الاتفاقيات تدعيم الصهاينة اليهود ضد أية مواجهة أو أى أخطار عربية مما يؤكد أن النصارى الصهاينة هم الممسكون بدفة المسار الصهيونى فى المنطقة ، وقد أورد ما كتبه الأستاذ محمد إبراهيم كامل فى مذكراته عن يوم ٤ سبتمبر

١٩٧٥ يوم توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانية ما أنقله بتصرف : « ولكن المصيبة تكمن فى الاتفاقيات السرية الثلاث التى أبرمت مع هذه الاتفاقية بين إسرائيل والولايات المتحدة واعتبرت من ملحقاتها وتتضمن العديد من الالتزامات الأمريكية نحو إسرائيل ومنها :

- تستعمل الولايات المتحدة الفيتو فى مجلس الأمن بالنسبة لأية محاولة لتعديل قرارى مجلس الأمن ٢٤٢، ٣٣٨.

- تلتزم الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بكل ما يلزمها من الأسلحة المتطورة مثل طائرات الفانتوم ١١.

- تتقدم الإدارة الأمريكية إلى الكونجرس **سنويا** بطلبات الموافقة على مساعدات عسكرية واقتصادية لإسرائيل.

- تلتزم الولايات المتحدة بتلبية احتياجات إسرائيل من العتاد الحربى ومستلزمات الدفاع وكل احتياجات إسرائيل من الطاقة وكل احتياجاتها الاقتصادية.

- تتفق الولايات المتحدة سوف ترفض أية محاولة لطرح مقترحات تعتبرها هى وإسرائيل ضارة بمصالح إسرائيل وفى نفس الوقت سوف تسعى لمنع جهود الآخرين من القيام بذلك.

- تقر الحكومة الأمريكية بأن التزامات مصر بمقتضى الاتفاقية المصرية الإسرائيلية (سيناء الثانية) لا تتوقف على تصرف أو أى تطور تجرى بين دول عربية أخرى وإسرائيل. (أى أن يتم تكتيف يدىّ مصر ودورها أن تقف موقف المتفرج إزاء أى عدوان تقوم به إسرائيل على أى من أشقائها العرب، وهذا ضوء أخضر لإسرائيل كى تصول وتجول وتفعل ما يحلو لها فى المنطقة التى خلت من الردع).

أما الطامة الكبرى فهى أن هذه الاتفاقيات السرية لم تمتد سريتها إلى مصر، فقد نصت الفقرة الأخيرة من الاتفاقية الثالثة على : « إن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قد أخطرت حكومة إسرائيل بأنها قد حصلت على **موافقة مصر** على ما تضمنه الاتفاق المشار إليه أعلاه ».

استقالة الوزير

فى كامب ديفيد وقبل التوقيع على اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل يذكر محمد إبراهيم كامل هذا الحوار الذى قدم على أثره استقالته، وهو آخر محاولاته لمنع مصيبة السلام المزعوم :

وحملت مقعدى بالقرب من حيث يجلس السادات وقلت فى هدوء : « إنى أرغب فى أن أتحدث إليك لا بوصفى وزيرا للخارجية يتحدث إلى رئيس الجمهورية، ولكن بوصفى صديقا وأخا أصغر لك، أكلنا معا العيش والملح فى السجن منذ ثلاثة وثلاثين عاما، وأنت تعلم مدى إخلاصى لك وللحق، وإنى حريص على ألا تقدم على شىء نندم عليه فيما بعد ». وقال السادات بصوت هادئ : « وهل بينى وبينك حجاب يا محمد ؟ قل ما تريد ولا تتردد ».

محمد كامل : لقد اطلعت على المشروع الذى قدمه لك أمس الرئيس كارتر بإطار السلام، وقد وجدته بعيدا كل البعد عن تحقيق السلام الشامل الذى نستهدفه والذى حددت معالمه بحق ووضوح فى خطابك فى الكنيست الإسرائيلى عند زيارتك للقدس، فالمشروع الأمريكى رسم الطريق إلى سلام كامل بين مصر وإسرائيل مستقلا تماما عما يجرى فى الضفة الغربية وغزة، فلا رابطة بينهما تضمن التزامن بين حل مشكلة سيناء وحل المشكلة الفلسطينية وهى الأصل، وستكون النتيجة أن ينتهى الأمر إلى معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل بينما تبقى الضفة الغربية وغزة تحت قبضة إسرائيل تمارس فيها تنفيذ تخطيطها لضم هذه الأراضى فى النهاية، وفيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة فالمشروع الأمريكى يعكس فلسفة بيجن فى مشروعه للحكم الذاتى، ويلبى طلبه فى تعليق السيادة على هذه الأراضى، وقد صيغ عمدا بالغموض والميوعة، وحفل بالثغرات مما يجع التوصل إلى هدفنا بانسحاب إسرائيل من تلك الأراضى وممارسة الشعب الفلسطينى لحقه فى تقرير المصير من رابع المستحيلات، ويمكن أن تستمر المفاوضات والمراوغات الإسرائيلية بشأنه إلى عشرات السنين فى حين أننا نعلم أن كل ما تحتاج إليه إسرائيل هو سنوات قليلة لتكون قد مكنت نفسها من الاستحواذ على الأراضى من الناحية العملية، وقد زود المشروع الأمريكى إسرائيل بحق (الفيتو) فى كل خطوة وعلى أى إجراء قد تراه معوقا لهدفها الواضح فى ضم تلك الأراضى،

فمهما أجمع الجانب المصرى والأردنى وسلطة الحكم الذاتى الفلسطينى على أمر فلن يتحقق، إذ يشترط المشروع إجماعا كاملا يتضمن موافقة إسرائيل، وهناك نقطتان هامتان فى هذا الصدد، الأولى : أننا غير مفوضين من ممثلى الشعب الفلسطينى صاحب الشأن ولا من الدول العربية المشاركة جميعا فى تحمل مسؤولية حل المشكلة الفلسطينية فى الموافقة والتوقيع على تسوية لهذه المشكلة، والمشروع الأمريكى بإحكامه وصياغته لن تجذب الأردن بحال إلى المشاركة فى الفترة الانتقالية، كما أنه لن يحظى بموافقة أى من الدول العربية الأخرى، ولا بطبيعة الحال بموافقة أى من الدول العربية الأخرى، ولا بطبيعة الحال بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية، والنقطة الثانية : هى أن الاحتلال الإسرائيلى لأراضى الضفة الغربية وغزة سيظل دائما احتلالا غير مشروع لأراضى الغير، ليس له من سند إلا العدوان والقوة الغاشمة وهو لن يكسب إسرائيل حقا مهما طال الأمد، بينما المشروع الأمريكى يحاول أن يضفى على هذا الاحتلال- على الأقل خلال فترة السنوات الخمس- صيغة من الشرعية مظهرها مطعون فيها بطبيعة الحال، لأننا غير مفوضين من أصحاب الشأن ولكنك تعلم جبروت الدعاية الصهيونية الذى سيصور أن وجود السلطة الإسرائيلية وقواتها إنما يستند إلى صك واتفاق وقعت عليه مصر كبرى الدول العربية ودعت إليه الأردن، ولم يعد مجرد احتلال غير مشرع لا يسانده إلا القوة والبطش والعدوان، وسيؤدى ذلك إلى تمييع القضية وبعثرة التأييد الدولى على مستوى الدول والرأى العام العالمى الذى جاهدنا طويلا فى بنائه ويضعف الضغوط على إسرائيل. لذلك أرجوك وأستحلفك أن ترفض التوقيع على مثل هذا الاتفاق المدمر.

السادات : إنك لا تعلم شيئا عن العرب، اسألنى أنا إنهم لو تركوا وشأنهم فلن يحلوا أو يربطوا، وسيظل الاحتلال الإسرائيلى قائما إلى أن ينتهى إلى التهام الأراضى العربية المحتلة دون أن يحرك العرب ساكنا غير الجعجعة وإطلاق الشعارات الفارغة، كما فعلوا منذ البداية ولن يجمعوا على حل أبدا.

محمد كامل : إنى لا أشاركك الرأى فيما قلته وهو ليس صحيحا على إطلاقه، فقد اجتمعت كلمة العرب واتحدوا على يديك أنت نفسك وحققوا تضامنا وتكاتفا عظيما، عسكريا وسياسيا واقتصاديا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وبعدها، وهذه حقيقة واقعة لا

يمكن إنكارها ولم يبذر بذور الشقاق والتفتت العربى من جديد غير مجىء كيسنجر إلى المنطقة وتوقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانية بين مصر وإسرائيل، والآن وقد ظهر العجز والتخاذل الأمريكى عن تحقيق السلام العادل الشامل ألا ترى أن نعود إلى العرب من جديد، ونبذل جهدا معهم لاستعادة التضامن الذى كان من جديد، وسيكون موضوعه هذه المرة ليس الحرب بل الحل السلمى كما أشارت إليه مقررات مؤتمر القمة العربى فى الرباط، إنك ستعود إليهم حاملا رصيدا ضخما من التأييد الدولى والوعى العالمى بعدالة القضية العربية حققته مبادرتك، وستنقشع الخلافات كسحابة صيف وسيلتفون حولك على السلام كما التفوا على الحرب وهذه مسؤولية مصر بوصفها الدولة الأم الرائدة، ونحن متفاهمون ومتفقون مع السعودية والأردن بالفعل على هذه الإستراتيجية وهم رهن الإشارة ليبدءوا مساعيهم، فلتعد إلى العرب ولتقم بمبادرة نحوهم كما قمت بمبادرة نحو إسرائيل، ثم لتعد إليها من جديد على رأس مبادرة عربية شاملة على نفس الأسس التى حددتها فى مبادرتك السابقة، ولكن تحمل ثقل الإمكانيات العربية الضخمة الهائلة ولن تقوى إسرائيل هذه المرة على إجهاضها ولا أمريكا على الانحراف بها.

وسكت السادات برهة طالت، وعيناه شاخصتان إلى الهواء لا تنمان عن شىء ثم قال: إن مشروع الحكم الذاتى سيؤدى إلى إلغاء الحكومة العسكرية الإسرائيلية فى الضفة وغزة وسيؤدى ذلك إلى رفع المعاناة عن كاهل الفلسطينيين [1]، وقد أصر

---

(١) لعل الرئيس السادات كان يتصور ذلك حينذاك، لكن ما حدث قبيل توقيع الاتفاقية مما أسماه المحللون السياسيون مذبحة التنازلات، إذ علق كل من كارتر والسادات مصيره السياسى بنجاح مباحثات كامب ديفيد، فالتف الصهاينة من حوله يبتزون منه تنازلا وراء الآخر وقد بات فريسة التلهف على توقيع الاتفاقية - على حد قول محمد كامل - بأى شكل وبأى ثمن فلا يجد مناصا من أن يعود للسادات ويقتطع من لحمه تلك التنازلات مثل ما يخص موضوع القدس التى تهم كل مسلمى العالم، ومثل إضافة (مجلس إدارى) بين قوسين أمام عبارة الحكم المحلى للفلسطينيين حتى يتقلص اختصاص هذه السلطة ويقتصر على المسائل الإدارية ويجردها من الاختصاص التشريعى والقضائى، كما حذفت من المادة المتعلقة بالاتفاق بين مصر وإسرائيل على الإجراءات المنظمة لحل مشكلة اللاجئين، الفقرة التى كانت تنص على اتخاذ قرارات الأمم المتحدة بعين الاعتبار عند بحث هذا الموضوع، وهى القرارات التى كانت تنص صراحة على حق اللاجئين فى العودة والتعويض (والتى صارت اليوم حلما وليست قرارا) ويذكر محمد كامل إبراهيم فى مذكراته: ولم يترك بيجن فقرة أو نصا أو كلمة يشتم منها حق أو شبه حق للشعب الفلسطينى إلا ودمغها بطابعه ما بين تشويهها أو إضفاء اللبس والغموض عليها.

الرئيس كارتر على إضافة وصف « الكامل » لعبارة الحكم الذاتى رغم معارضة بيجن الشديدة حتى تكون منطقة سلطة الحكم الذاتى كاملة لكل شيء ما عدا بعض المسائل كالأمن، ولن يكون الفلسطينيون وحدهم، فستكون معهم وكذلك الأردن فى خلال الفترة الانتقالية، وإذا لم يقبل الفلسطينيون بالحل الذى تنتهى إليه الفترة الانتقالية فسيكون لهم حق « الفيتو » لأنهم سيصوتون على هذا الحل، وقد قال لى الرئيس كارتر إن لغة المشروع وصياغته ربما فيها غموض ولكن ليس هذا ذا أهمية، فالمهم أنه سيكون معنا فى مفاوضات الحكم الذاتى كشريك كامل، وقد أكد لى الرئيس كارتر أنه عندما يعاد انتخابه رئيسا للفترة الثانية فسيكون فى وضع قوى جدا، يمكنه من الضغط على إسرائيل ويستطيع عندئذ تدارك العيوب والنقص فى الصياغة التى لم تتمكن فى الوقت الحالى من التوصل إلى أحسن منها بسبب جمود بيجن وحرص كارتر ألا يفشل المؤتمر ويقضى على عملية التفاوض بين مصر وإسرائيل إلى الأبد وتعود احتمالات قيام حرب جديدة، وقد أكد لى كارتر مرارا وتكرارا أنه يحس بأن عليه التزاما أدبيا وشخصيا نحو عمل شيء للفلسطينيين وأن هذا ما ستمكنه إعادة انتخابه، من القيام به.

محمد كامل : إننا نخدع أنفسنا إذا فكرنا أن هذا المشروع سينتهى بتحقيق حل عادل للقضية الفلسطينية، إنه سيكون سند إسرائيل وإدارتها لتصفية هذه القضية وفقا لنواياهم التوسعية، وهذا رأى كل مستشارى وفدنا بالإجماع، ولماذا تظن بيجن يحارب ويدقق فى كل كلمة يتضمنها المشروع ؟ لأنه متى وقعنا عليه فسيكون هذا هو الأساس الذى يجرى عليه التفاوض ولن يستطيع كارتر أو غيره أن يخرج عن نطاق النصوص والصياغات، ثم ما يدرينا أن كارتر سيعاد انتخابه فترة جديدة وينفذ وعوده لك[1] ؟

السادات : لا لا . . . لقد قال لى الرئيس كارتر أن نجاح مؤتمر كامب ديفيد فى

---

(١) أعيد انتخاب جيمى كارتر ن ولكنه لم يفى بأى وعد مما وعد به السادات، ولكنه وفى بكل ما وعد به إسرائيل والصهاينة ليعيدوا انتخابه، فلا يستطيع أى رئيس لأمريكا الصهيونية أن يقف ضد مصالح النصارى الصهاينة والصهيونية العالمية. وتلك حقيقة أثبتتها لنا التجارب وأكدها لنا التاريخ.

التوصل إلى اتفاقيات بشأن إطار السلام الشامل سيؤكد نجاحه فى الانتخابات القادمة بسهولة ويسر، وأنا واثق بأنه سينفذ وعوده لى لأنه رجل قيم ومبادئ.

محمد كامل : ولكن هذه الاتفاقيات وفقا للمشروع الأمريكى ـ لن تؤدى إلى حل شامل، بل ستنتهى إلى صلح منفرد بين مصر وإسرائيل، بينما تظل الضفة الغربية وغزة والجولان تحت السيطرة والاحتلال الإسرائيلى، وسيؤدى ذلك إلى عواقب وخيمة أخطرها عزل مصر وانعزالها عن العالم العربى وما سيؤدى إليه ذلك من إطلاق يد إسرائيل فى المنطقة، لماذا لا تصر على ما كنت تنادى به من وجود رابطة بين الانسحاب من سيناء والانسحاب من الضفة الغربية وغزة، بحيث يسيران جنبا إلى جنب وتعلق كل خطوة فى سيناء على خطوة مقابلة فى الضفة الغربية وغزة ؟

السادات : ها أنت تردد كالببغاء ما يقوله الاتحاد السوفيتى عن صلح منفرد، كيف يكون صلحا منفردا إذا كنت سأظل ملتزما بأن أقوم بدور فى الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة خلال فترة السنوات الخمس الانتقالية وحتى تحل القضية الفلسطينية من جميع وجوهها ؟ وما معنى أن أبقى سيناء تحت السيطرة الإسرائيلية حتى تحل المشكلة الفلسطينية لتغمرها إسرائيل بمستوطنات جديدة يوما بعد يوم. أليس هذا من الغباء ؟ إنك تتكلم لأنك لا تعرف شيئا عن أحوال مصر الداخلية لقد ترك لى عبد الناصر تركة مثقلة بالهموم والمشاكل، وان أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية فى غاية السوء وكل مرافق البلد منهارة ولن تستطيع مصر أن تخرج من أحوالها المتردية إلا إذا حصلت على السلام وكرست كل مواردها للتنمية، وعندئذ ستكون مصر فى مركز أقوى لمساعدة الفلسطينيين فى حل مشكلتهم.

محمد كامل : ولكنك لم تقم بمبادرتك على هذا الأساس، لقد بنيتها على أساس الحل الشامل، ولو كمان الأمر هو استعادة سيناء وإقامة سلام بين مصر وإسرائيل فقط لما كان هناك حاجة إلى كل هذا اللف والدوران، ولهرع إلى القاهرة مناحم بيجن بإشارة منك ليوقع مثل هذا الاتفاق ويعيد سيناء إلى مصر ويقبل ظهر يدك ووجهها ويعود إلى إسرائيل راضيا قرير العين، وأنا لا أدعى أنى أعلم كثيرا عن مشاكل مصر الداخلية فأنت الرئيس وأنت أدرى بها، ولكن إذا كان الأمر كما تقول فلماذا محاولة التظاهر بأنك تحل النزاع العربى الإسرائيلى حلا شاملا عادلا دائما وتعطى لإسرائيل

سندا مزيفا خداعا يتيح لها اغتيال الضفة الغربية وغزة والقضاء على القضية الفلسطينية تحت ستار حل هذه القضية نفسها حلا كريما عادلا ؟ إن رأيى لا يزال هو عدم التوقيع على شيء والعودة إلى العرب والعمل معهم من خلال جبهة واحدة كما أسلفت . . ولكن إذا كنت تقدر ظروفنا تحتم علينا التوصل إلى حل مرحلى فورى مع إسرائيل فلماذا لا تعلن ذلك صراحة ، وفى الإمكان أن تصدر بيانا تقول فيه : إن مصر وقد تحملت الشطر الأعظم من التضحيات البشرية والمالية والاقتصادية من جراء تصديها للعدوان الإسرائيلى على الدول العربية فى أربع حروب ، وقد استنفدت كل إمكانياتها وطاقاتها وجهودها ، وأن ظروفها الاقتصادية والاجتماعية قد تدهورت إلى أوضاع لا تستطيع معها المضى فى حالة اللا سلم واللا حرب ، لذا قد قررت إبرام اتفاق مرحلى مع لإسرائيل تنهى بمقتضاه حالة الحرب مع إسرائيل ، وأنها ستواصل مع باقى الدول العربية والمجتمع الدولى مساعيها السلمية لتحقيق انسحاب إسرائيل من كافة الأراضى العربية المحتلة ، وإقامة السلام العادل الشامل فى المنطقة . . .

السادات (مقاطعا) : ماذا جرى لك ؟ أتريد أن أتعرض لشماتة الاتحاد السوفيتى وحافظ الأسد والقذافى فيقولون : إن ما ادعوه على مبادرتى منذ البداية من أنها ترمى إلى حل منفرد كان صحيحا ؟

محمد كامل : إنك إذا وقعت على اتفاقية على أساس المشروع الأمريكى فستكون حلا منفردا بكل المعايير ولن تنجح فى خداع أحد بغير ذلك ، وأفضل لنا وأشرف أن نقول ذلك صراحة على أن نتستر وراء مسرحية الحكم الذاتى كما وردت فى المشروع .

السادات : بل إنى أسير على إستراتيجية بعيدة المدى ستنتهى بالحل الشامل فى الشرق الأوسط وسيكون معنا الرئيس كارتر ، وستنضم إلينا السعودية والملك حسين .

محمد كامل : إذا وقعت مثل هذا الاتفاق فلن يستطيع كارتر عمل شيء ، ولن يجذب ذلك السعودية والأردن بحال ، أرجو منك مرة ثانية أن تعيد النظر فى الأمر . . ولنعد إلى مصر ونجرى مشاورات مع الدول العربية . . . لنرى ماذا تكون خطواتنا التالية؟

السادات : لا ، أنا أعلم ما أفعله ، وسأمضى فى مبادرتى إلى النهاية .

محمد كامل : إذن فأرجو أن تقبل استقالتى .

السادات : كنت أعلم من البداية أنك تلف وتدور لتقول هذا فى النهاية .

محمد كامل : لا . لقد حاولت إقناعك بما أراه وفشلت، فلم يبق أمامى إلا هذا المخرج ، فأنا لا أستطيع أن أوافق على شىء يبدو لى من المؤكد خطؤه وخطره، ولا أنا استطيع أن أغشك وأغش نفسى وضميرى فإنه كامن داخلى يعيش معى ليل نهار .

السادات : إذا كان هذا يريحك فإنى أقبل استقالتك .

هكذا تدور الأحداث فى معظم دول عالمنا الثالث ، أن تصرف الحاكم حتى فى الأمور المصيرية يكون من خلال أهوائه ورؤيته المزاجية فقط ، فقد تنهار الدنيا وتضيع القضايا القومية حتى لا يشمت فيه شامت، وهل هذه هى السياسة بعيدة النظر والإستراتيجية الحكيمة العليا التى لا يفهمها أحد ممن حوله ولا تدركها سوى عبقريته؟!

ودعونى أعرض جزءا من رد الرئيس أنور السادات على السفير نبيل العربى مدير الإدارة القانونية بالخارجية المصرية عندما علم الأخير بأمر خطابات متبادلة بين السادات وبيجن وكارتر بشأن القدس فكان منزعجا وراح للرئيس يخبره عن عدم جدواها القانونية . فقال السادات : لقد استمعت إليك كما رأيت دون مقاطعة من أجل ألا يقول أحد أنى لا أستمع ولا أقرأ كما يشيعون عنى، ولكن اعلم أن كل ما قلته لى قد دخل من أذنى وخرج من أذنى اليسرى، وإنكم فى وزارة الخارجية تظنون أنكم تفهمون فى السياسة ولكنكم لا تفهمون شيئا على الإطلاق ولن أعير كلامكم أو مذكراتكم أى التفات بعد ذلك، إنى رجل أعمل وفقا لإستراتيجية عليا لا تستطيعون إدراكها أو فهمها ولست فى حاجة إلى تقاريركم السفسطائية الهايفة .

وهكذا تستمر الاتفاقيات التى أراها تخدم المصالح الصهيونية التى بدأها السادات، ولم يزل من خلفوه يسيرون على دربه، وإنى أضع بين يدى القارئ نموذجا من الاتفاقيات الاقتصادية بين مصر وبين العدو الصهيونى .

الاتفاقيات الاقتصادية فى ظل السلام :

ورد ما سبق نشره بقلم الأستاذ إبراهيم عيسى بجريدة الدستور بعنوان (العار) العدد ٧٥ الإصدار الثانى الأربعاء ٢٣ أغسطس ٢٠٠٦م أى أثناء الحرب التى شنتها

إسرائيل على لبنان بأوامر وتوجيهات أمريكية، ورفضت إنهاء الحرب رغم هزيمة إسرائيل الواضحة أمام حزب الله الذى صدق الله فى قتال الصهاينة فكان له النصر من عند الله : « أى حرب عسكرية لا يمكن أن تتم بغير وقود، غاز وبنزين وبترول، لن تتحرك الدبابات ولن تطير الطائرات ولن تنطلق الصواريخ بدون التزود بالوقود، من أين تأتى إسرائيل بالبترول الذى يزود طائراتها وأسلحتها ودباباتها (وباقى مظاهر الحياة المدنية فى إسرائيل) ؟. لا يوجد بترول فى أرض فلسطين المحتلة، ومن ثم تستورد إسرائيل كل احتياجاتها من الوقود والتى تصل إلى ١٠,٥ مليون طن سنويًا، إذن أى دولة تصدر لإسرائيل البترول ؟

أقول لسعادتك! مصر حاليًا تحتل المركز الثانى فى تصدير البترول لإسرائيل، نعم نحن ثانى دولة بعد الكومنويلس السوفييتى فى تصدير البترول لإسرائيل طبقًا لإحصائيات المعهد الاقتصادى لجامعة تل أبيب التى اعتمد عليها فى سرد هذه الأرقام (الحقائق)، بل كانت مصر حتى عام ١٩٩٩م تصدر ثلث احتياجات إسرائيل من البترول ووصلت الكمية التى تصدرها مصر لتل أبيب رقما قياسيًا فى تاريخ الدولتين عام ١٩٩٧م حيث تنقذ مصر إسرائيل دائمًا فى أزمة احتياجاتها العاجلة للبترول !

وستسمع هنا إفكا وتضليلاً من رجال الحكم وأذنابه الذين سيردون بأمرين : الأول أن هذا طبقا للاتفاقية والمعاهدة المصرية الإسرائيلية ومن ثم فهذا الالتزام سياسى قانونى، والإجابة عن ذلك الزعم أن الاتفاقية انتهت مدتها أساسا ولم يتم تجديدها !

الزعم الثانى الذى ستسمعه أن كمية البترول التى نصدرها لإسرائيل ليست مهمة لهذه الدرجة ويمكن لإسرائيل أن تستوردها من غيرنا، والإجابة هنا وحتى لو كانت كمية كبيرة فكيف نصدر سلاحا قاتلا لإسرائيل تستخدمه ضد العرب والعروبة وضد الإنسانية، ثم لو كانت صغيرة لماذا تصدرونها أساسًا ؟ وأما إن إسرائيل سوف تستورد هذا من غيرنا، فلتذهب فى ستين داهية وتستورد من غيرنا.

كيف لعربى مسلم أن يقدم لإسرائيل وقودا يشارك فى سلاحها الغادر والقاتل، كيف لإنسان محترم أن يعاون القاتل على القتل، والمغتصب على الاغتصاب ؟! ليس الأمر أن مصر تتفرج على ما تفعله إسرائيل من عدوان وتقتيل وتدمير فى فلسطين وفى

لبنان، بل وتشارك فى هذه الحرب وذلك العدوان بنصيب مخز ومذل ومقرف، لا نفهم معنى أن تمنع السلاح وتهريبه عن فلسطين فى حماس وكتائب الأقصى بينما تعطى لإسرائيل البترول والغاز اللذين يمكنان دباباتها وطائراتها من ضرب وقتل كل فلسطينى ولبنانى، أين الخجل وأين الضمير ثم . . . وأين الشعب ؟!!

هل نظل نتفرج على النظام المصرى وهو يمد إسرائيل بوقود قتل العرب فلسطينيين ولبنانيين ولا تعرف من غدًا وأين بعد غد؟

ليس هذا فقط بل لقد جاءت مؤخرا اتفاقية تصدير الغاز المصرى لإسرائيل عارا واضحا وتحالفا مثيرا للتقزز فى دعم إسرائيل فى حروبها ضد العرب، إنها تتيح لإسرائيل نهب موارد مصر من الغاز بأسعار متدنية بما يدعم اقتصاد إسرائيل ويقوى شوكته ويزيد من قدرته على تمويل وتطوير القوة العسكرية الإسرائيلية التى تهدد مصر وكل البلدان العربية كما يؤكد ويقول الخبير الاقتصادى الكبير أحمد النجار فى كتابه (الانهيار الاقتصادى فى عصر مبارك) ويضيف: (وإذا كانت هذه الاتفاقية المشينة قد تلاها تخفيف الضغوط الابتزازية الأمريكية على نظام مبارك بشأن الإصلاح السياسى، فإن ذلك يوضح الثمن الحقيقى الذى تلقاه النظام مقابل التفريط فى المصالح الوطنية المصرية بالتطبيع الاقتصادى الساخن مع إسرائيل ومنحها جزءا من موارد مصر من الغاز بأسعار متدنية ولأجل طويل يقيد مصر بالتزامات لا يوجد أى مبرر وطنى لها. لكن هذا السلوك من قبل نظام مبارك يعكس ضعف إدراكه لحقيقة أن المطالبة بالديمقراطية وحقوق الإنسان هى قضية مصيرية تماما كافح الشعب المصرى ونخبته الثقافية وقواه الحية وجمعياته الأهلية وبعض أحزابه الوطنية من أجلها منذ عقود، ووصل الأمر إلى حد أن أصبحت هذه القضية حياة أو موتا بالنسبة لمستقبل مصر)

ولكن ماذا تحمل هذه الاتفاقية وكيف تدعم القوى العسكرية لإسرائيل ؟ هنا يجيب الخبير أحمد النجار : (كعادتها فى التعتيم على كل شىء، وفى حرمان الشعب من حقه فى العلم بما تفعله حكومته فى تصريف الشئون الداخلية والخارجية لم تعلن الحكومة المصرية تفاصيل اتفاق الغاز، ولم تقدم وزارة البترول سوى ما أعلنه المتحدث باسم مجلس الوزراء عن هذا الاتفاق، بينما لم نتمكن من الحصول على أى وثائق رسمية تفصيلية بشأنه». وعلى أى الأحوال فإن الحكومة أعلنت أنه سيتم تصدير نحو

١٦٠ مليون قدم مكعب من الغاز يوميًا إلى إسرائيل أى ما يوازى نحو ١٧ مليار متر مكعب من الغاز فى العام لمدة ١٥ عامًا قابلة للمد ٢٠ عامًا. كما تم الإعلان عن أن التصدير سيتم من خلال خط أنابيب يمتد من الشيخ زويد حتى عسقلان.

ووفقا لهذا الإطار العام الذى تم إعلانه فإن مصر تصدر نحو ٢٥٥مليارمتر مكعب من الغاز لإسرائيل على مدار ١٥ عاما بقيمة ٢٧ مليار دولار بواقع ١٠٦ سنت أمريكى لكل متر مكعب كأسعار ثابتة على مدار الـ ١٥ عاما وهذا يعنى أن سعر الوحدة يساوى نحو ٢٨ دولار، وهذا السعر بمثابة كارثة وسطو صريح على موارد مصر، لأن السعر الآنى فى سوق لندن هو ٦٢ دولار، بينما تبلغ الأسعار الآجلة للشحنات التى ستسلم مستقبلا نحو ١٣ دولار فكيف يمكن تثبيت السعر لمدة ١٥ عاما عند مستوى ٢٨ دولار؟!!!)

معنى ذلك أن مصر تدعم إسرائيل بالغاز، أى والله العظيم، كأنها منحة أو إتاوة، السعر العالمى الآن أكثر من ستة دولارات ونحن نبيعه لإسرائيل بحوالى ثلاثة دولارات وبينما سيصل سعره لثلاثة عشر دولارا سنظل نبيعه لهم بثلاثة دولارات !!! ما هذا التواطؤ والتحالف وإهدار ثروة مصر وطاقة وطن ؟! نبيع لعدو يقتل العرب ويغتصب أرضهم غازا ووقودا كى نساعد جيوشه وأسلحته على مزيد من القتل وبأسعار منخفضة ومدعمة فى الوقت الذى نرفع فيه سعر البنزين على المواطن المصرى لأن حكومة (. . . . . ورجالته) لم تعد تتحمل دفع الدعم للمواطن المصرى بينما تدعم الحكومة المصرية (. . . . . ورجالته) المواطن الإسرائيلى!

هل هناك جريمة أكثر من تلك الجرائم حتى يسقط نظام فى سلة مهملات التاريخ؟.
أعود إلى دراسة الخبير الكبير أحمد النجار وهو يصف اتفاقية رجال مبارك ونجله مع إسرائيل لتصدير الغاز على أنها (نموذج لإهدار موارد الشعب المصرى وإمداد دولة معادية لها بأبخس الأثمان على حساب مستقبل مصر وقوت أبنائها، فهل هناك سلوك لحاكم ائتمنه الشعب على موارده، أسوأ من هذا السلوك، وهذه الاتفاقية المشينة واللصوصية التى عقدها نظام . . . . . دون عرضها على نواب الشعب، ومثلما تهرب من عرض اتفاقية الكويز على مجلس الشعب، فإنه تهرب هذه المرة أيضًا مستخدما نفس الادعاء بأنها ملحق لاتفاقية التسوية السياسية المعقودة عام ١٩٧٩م بين إسرائيل

وبين نظام حكم الرئيس السادات الذى قتل عام ١٩٨١م، وهو ادعاء فاسد تم اختلاقه لتبرير العدوان الغاشم من السلطة التنفيذية على حقوق الشعب ونوابه، وقد بررت الحكومة هذا الاتفاق بأنه يستهدف تنويع أسواق الغاز، لكن هذا التبرير الواهى والسمج يفتقد لأى مصداقية لأن أسواق العالم طولا وعرضا مفتوحة أمام صادرات مصر من الغاز كمصدر للطاقة النظيفة وغير الملوثة للبيئة. ولن يتوقف الأمر على السوق الإسرائيلية الصغيرة).

لكن فعلا يبقى السؤال لماذا يصر حكم ونظام مصر (أو مبارك نفسه) على هذه العلاقة الاقتصادية الداعمة لإسرائيل ؟

قلتم لن نحارب ولن نقاطع ولن نطرد أو نسحب سفيراً، وضربتم مواطنى مصر المتظاهرين الغاضبين وأعلنتم فى مذلة أن سلامكم سلام استراتيجى وأنكم ستنهزمون لو حاربتم وأن سيناء يمكن أن تضيع مرة أخرى لو هاجمتنا إسرائيل، وكل هذا جبن صار طبيعيًا ومفهوما فمتى كنتم غير ذلك ؟ أنتم أبطال علينا، فرسان ضدنا، بواسل أمامنا وليس على أو ضد أو أمام العدو الإسرائيلى !

لكن كله كوم وأن نكون موردا رئيسيًا لبترول مصانع وأسلحة وطائرات ودبابات ومدرعات إسرائيل فهذا ما لا يطيقه أحد، لا تدافعوا عن لبنان، عن فلسطين. . .، تضغطون على المقاومة كى تلقى سلاحها وترون نصر حزب الله هزيمة. . ليست هذه أول مره !!، لكن أن تشاركوا فى قتل اللبنانيين والفلسطينيين فهذا العار كامل ومكمل!!

نحن الشعب المصرى للأسف نشارك بثروتنا من البترول والغاز بأوامر حكومتنا فى قتل العرب فى لبنان وفى فلسطين وكل دبابة ترمى بمدافعها منزلا أو مواطنًا فلسطينيًا إنما يجلس فى مخزن وقودها مواطن مصرى يحمل فى راحة كفيه بترولاً، نحن شركاء للقتلى الصهاينة، نحن نقتل المدنيين الأبرياء و نشارك ببترولنا وغازنا فى الحرب ضد العرب!!

كيف تصف هذه الدولة وكيف لا يخجل هذا الشعب من أن هذه هى حكومته وهؤلاء حكامها لذين يريدون البقاء على مقاعدهم للأبد، وتوريث حكمهم ؟

هكذا عرضت على القارئ اللبيب خدعة السلام المزعوم وما حصل عليه الصهاينة من مكاسب باسم السلام، إن الذين ارتضوا أمريكا شريكا فاعلا ووحيداً للسلام ظنا منهم أنها محايدة فهم واهمون أو مخدوعون فهل هناك دلالات على صدق النوايا الأمريكية فى خلق السلام بعدما ثبت بالأدلة القاطعة أن أمريكا تكيل بمكيالين، وأن مبادئها وقيمها الدينية الصهيونية تجعلها متلاحمة مع إسرائيل ضد العرب والمسلمين ومصالحهما، بل من مبادئها أن تكون أمام إسرائيل كالكلاب التى تأكل من فتات موائد أسيادها، وأنها ليست شريكا فاعلا فى السلام كما يصور حكام العرب ذلك لأنفسهم، وآخر دعم وصل لإسرائيل كان فى صورة مساعدات مالية مقدارها ٣٠ مليار دولار مخصصة للسلاح والمعدات العسكرية وذلك فى ١٥ أغسطس ٢٠٠٧م، وهو الخبر الذى تناقلته نشرات الأخبار ووكالات الأنباء العالمية.

إن الصهيونية تعد عدتها الآن للإبادة الشاملة ولم تزل لبنان وسوريا الأهداف المصوبة لها سهام الصهيونية، ثم سيأتى الدور على مصر وعلى كل عربى ومسلم فى جميع أوطانهم، فمعركة هرمجدون التى يعدون لها تتطلب القضاء على كل المسلمين والعرب، دونما استثناء، فأفيقوا يا من تنتمون إلى خير أمة أخرجت للناس. فانتبهوا انتبهوا حفظكم الله.

***

الفصل الثانى عشر

معاول الحملة الصليبية الصهيونية

لتدمير الإسلام ومحو شريعته

تاريخ صناعة المعاول :

سبق القول بأن الحملات الصليبية التى نفثت نار الحقد والضغينة على الإسلام كانت نابعة من سقوط بلاد الشرق كالشام ومصر التى كانت تدين بالنصرانية، وتم حصر النصرانية فى الرقعة الشمالية من أوروبا، وانطلق الرهبان والقساوسة يجوبون شمال أوروبا ليدخلوا الهمج الهامج فى دين النصرانية حتى جيشت الجيوش من هؤلاء النرمنديين والصقالبة والسكسون وملوك الإقطاع ، وبدأت الحروب الصليبية التى أعلنها البابا أوربان وعلى مدى خمسة قرون وأوربا النصرانية استمرت فى إرسال حملاتها ضد الأمة الإسلامية بالشرق، ولم يفلح السلاح فى النيل من الإسلام وحضارته، ومالبث النصارى الصليبيون يفرحون بخروج الإسلام من أوروبا بسقوط الأندلس، حتى وقعت عليهم الواقعة، واكتسح المسلمون النصرانية فى آسيا وفى شمال الشام، ودخلت برمتها فى حوزة الإسلام، وفى يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ الموافق ٢٩ مايو ١٤٥٣م [(١)] سقطت القسطنطينية عاصمة النصرانية، ودخلها محمد الفاتح بالتكبير والتهليل، وارتفع الأذان فى شرق أوروبا، وتحولت كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد، واهتز العالم الأوروبى هزة عنيفة .

---

(١) محمود محمد شاكر : رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ٢٠٠٢م.

ومن يومئذ، بدأت أوروبا تتغير، إذ عرفت أن معركة السلاح لن تغنى عنها شيئا، وأشعلت الهزة نار البغضاء فى نفوس النصارى الأوربيين ودفعتهم دفعا إلى طلب الخروج من المأزق الضنك، فهذه الهزة أيقظت الهمم يقظة لا تعرف الإغماض، وباليقظة المتوهجة قامت حركات الإصلاح بجميع جوانب الحياة النصرانية الأوروبية، وهذه اليقظة الشاملة حددت لها هدفين محوريين هما : أولا : معالجة الخلل والجهل بالحياة النصرانية وذلك بمعرفة أسرار عظمة الإسلام وامتلاك مفاتيح قوته وعلومه، والثانى : الوقوف على نقاط الضعف بالمسلمين لتعميقها، وصناعة المعاول التى باستخدامها تنهار صروح حضارتهم وتجف منابع قوتهم حتى يصيبهم الضعف والوهن.

فغيرت الأفعى جلدها، وبدأت فى استخدام أساليب القتال الخفية، إذ فشل السلاح أيما فشل فى مواجهة المد الإسلامى فنحوا أمره جانبا إلى أن يحين حينه، ولكن لم يكن هناك يومئذ من سبيل ولا مدد للعلم، إلا المدد العلمى الكائن فى دار الإسلام، من علم حى عند علماء المسلمين، ومن علم مسطّر فى كتبهم، فانفكت بعلوم العرب المسلمين أغلال القرون الوسطى، وانبعث عصر النهضة الحديثة. ولم تكن اللغة العربية لغة العلم والعلماء يومئذ - بغريبة على أوروبا التى جاورت الأندلس سنينا، فكان تعلم اللغة العربية ميسورا، فانطلقت من قلب النصرانية المدفوعة بالغل والحقد على الإسلام بعثات بأعداد كبيرة ممن تعلموا العربية وأجادوها، وراحت تسيح فى أرض الإسلام، تجمع الكتب شراءً وسرقة وتلاقى الخاصة من العلماء، وتخالط العامة من المثقفين والدهماء، وتدون فى العقول وفى القراطيس ما عسى أن ينفعهم فى فهم هذا العالم الذى استعصى عليهم، مستغلين سماحة الإسلام فى التعامل مع من يخالفهم فى الدين، ولا سيما اليهود والنصارى باعتبارهم أهل كتاب، ويسر هذا لهم أن يجوبوا فى الأرض مطمئنين غير مروعين، ويسّر لهم أن يداهنوا العلماء والعامة وينافقوهم، ويوهموهم بالمكر والمحَال أنهم طلاب علم لا غير، خالصة قلوبهم لحب العلم والمعرفة، والله عليم بالسرائر. ومع هذه النهضة الأوروبية ظهرت البروتستانتية التى خلقت الصهيونية، ومجدت اليهود، وزادت أوروبا غلا للمسلمين، الذين أحرقوا كبد النصرانية، واغتصبوا أرض اليهود المقدسة وحالوا دون إقامة دولتهم بعد جمعهم من الشتات، ليعيدوا بناء الهيكل تمهيدا للمجىء الثانى للمسيح.

ومن خلال هذه الأفكار الحاقدة، والحركات الخفية نشأت طبقة من الأوربيين الذين عرفوا فيما بعد باسم المستشرقين، الذين وهبوا أنفسهم للجهاد، ورضوا أن يظلوا مغمورين فى حياة بدأت تموج بالحركة والغنى والصيت الذائع، وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختفية وراء أكداس من الكتب، مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التى ينتمون إليها، وفى قلوبهم كل اللهيب الممضّ الذى قلب أوروبا [1]، ولا هم لهم ليلا ونهارا إلا حيازة كنوز علم دار الإسلام بكل سبيل، تتوهج أفئدتهم ناراً بينما يخالطون أهل الإسلام وفى وجوههم سيمياء البراءة واللين والتواضع وسلامة الطوية والبشر، وبفضل هؤلاء المتبتلين المنقطعين عن زخرف الحياة الجديدة، كانت تصمم المعاولَ التى يستخدمونها إلى اليوم، وبفضلهم وحدهم ظهرت طبقة الساسة الذين يعدون ما استطاعوا من عدة لرد غائلة الإسلام ثم قهره فى عقر دياره، ولتحقيق الأحلام والأشواق التى كانت تخامر قلب كل أوروبى، أن يظفر بكنوز الدنيا المدفونة فى دار الإسلام، وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم رجال الاستعمار ، وهم الذين مولوا صناعة هذه المعاول وجندوا مستخدميها. وسوف نكشف فى الأسطر الباقية من هذا الكتاب إن شاء الله هذه المعاول، والأساليب الخبيثة لاستخدامها، والله ولى التوفيق.

الدمار الدينى الشامل

تعتبر الحملة التى يقودها العدو الصليبى الصهيونى الجديد هى أشرس حملة يتعرض لها العالم العربى والإسلامى على مدى التاريخ، وذلك لأنها ليست حملة احتلال واغتصاب أراض فقط ولكنها حملة احتلال أرض وهدم عقيدة ودين وإبادة شعب أصلى، وإحلاله شعب مغتصب بديل محله، وتسعى قوى الصهيونية إلى إضفاء صفة الشرعية على هذا الاغتصاب، والحصول على مباركة دولية على هذه الإبادة، ولذا فإن جيوش التدمير ليست عسكرية فقط، ولكنها جيوش مختلفة، تحمل الكثير من معاول وأدوات الهدم، ولا يفرق هذا التدمير بين أى من بلادنا، فحتى النصارى فى المنطقة لم يسلموا من مخالبهم و مكائدهم، فالنصارى فى فلسطين يعانون مثلما يعانى

---

(١) محمود محمد شاكر : المرجع السابق (بتصرف).

المسلمون، و فى العراق لم تميز القنابل العنقودية بين المسلمين والنصارى، فمعاول الهدم تبطش بالمسلمين فى المنطقة والنصارى، فالأقباط الأرثوذكس فى مصر قالوا : إنهم لم يسلموا من مكائد الصهيونية فصنعوا لهم فى بلاد الصهيونية بابا بعقيدة نصرانية أرثوذكسية موالية للسياسة الصهيونية الأمريكية ليعكروا صفو البابوية الأرثوذكسية للبابا شنودة، كما بثت أمريكا الصهيونية سمومها بمن أسمتهم أقباط المهجر فغرروا بعض حدثاء الأسنان الموالين للنصرانية الصهيونية، والعاملين فى حزبهم الجمهورى (حزب النصارى الصهاينة والمحافظين الجدد بالولايات المتحدة) وأمدوهم بالمال اللازم والتأييد الإعلامى والسياسى الذى يدفعهم للتبجح فى إلقاء الأباطيل التى من شأنها أن تسىء إلى شعب مصر المسلم، ويطالبون بمطالب ليس من حقهم أن يطلبوها أصلا، فقد نسوا أنهم أصحاب جنسيات غير مصرية، وأنهم لم يعيشوا فى مصر حتى يتحدثوا بلسان أهلها، ويقال إنه قد بلغت بأحدهم الصفاقة، فطالب الكونجرس الأمريكى بقطع المعونات الاقتصادية عن مصر، فإن صح هذا فمن أوصل هذا الغر الغرير إلى الكونجرس، كل هذه الأشياء قد أحدثت البلبلة فى الأجواء الدينية القبطية فى مصر والتى من مظاهرها ظهور دعوات باسم الإصلاح أو إصلاح الكنيسة الأرثوذكسية بمصر مطالبين باسم التطوير والحداثة هدم أصول العقيدة ونبذ التقاليد الكهنوتية المتوارثة، وبمثل هذه الدعوات نالوا من الكاثوليكية فى أوروبا وأقاموا البروتستانتية الصهيونية.

يقدم النصارى الصهاينة دعماً كاملاً لبعض الدعوات النصرانية المعادية للأرثوذكسية كجماعة شهود يهوه، وكنائس السبت الصهيونية التى تعمل الآن فى مصر على استقطاب أصحاب النفوس الضعيفة من المسلمين والأقباط ليدخلوهم فى ملتهم، ولهم العديد من المطبوعات التى تشرح عقيدتهم يوزعونها مع أشرطة صوتية وجميعها يوزع مجانا، وهذه الأشياء تسبب بلبلة فى أوساط المسلمين والأقباط المصريين، فليس مسلمو المنطقة العربية وحدهم هم المستهدفين، فالهدف هو إحداث الدمار الدينى الشامل، ولكن الله غالب على أمره، وسأحاول فى هذه الأسطر القليلة أن أشير إلى أهم هذه المعاول المستخدمة وأعمقها أثرا وخطورة على الأمة إذ يمكن تصنيف هذه المعاول إلى قسمين، الأول أسلحة ومعاول هدم العقيدة والدين، و الثانى أسلحة ومعاول هدم أبناء الأمة وكيانها.

فأما معاول هدم الدين الإسلامى فأولها عزل الدين أى إبعاد الناس عن المنهج السماوى القويم، وذلك بعمل تطويق له فتمنع انتشاره، ثم تنهال المعاول الأخرى لتحل عرى الدين عروة عروة. للنيل من الشريعة، ومن نصوصها المقدسة القرآن الكريم السنة المطهرة، ومن العقيدة، ومن مذاهب الفقه وأصوله، حتى يصبح المنهج الذى مع الناس منهجا مختلا، ليس المنهج الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فإذا ما ضاع الإسلام من صدور أبنائه ضاع المسلمون. وتحققن ـ لا قدر الله ـ المآرب الصهيونية.

معول التطويق بتشويه صورة الإسلام ورسوله الكريم

يسعى أعداؤنا من الصهاينة إلى إغلاق أبواب الدعوة إلى الإسلام، وذلك بتشويه صورته باستخدام وسائل الإعلام الصهيونية وأساليبها المتطورة لتربط الإسلام ظلما بالتخلف والهمجية والإرهاب، ويتهمون عقيدته بأنها دعوة إلى الجمود ونبذ العلم والتقدم، وقد يتأثر الجهّال أو ضعاف النفوس من المسلمين، وبالتالى يتضاعف تأثر غير المسلمين أو ممن لم يعرفوه أو لم تصلهم دعوته.

وقد رد الشاعر (معروف الرُصَافى[1]) حين ظهرت هذه الدعوات الضالة والمضللة فى العراق والوطن العربى وقد رددها الشيوعيون والبعثيون الذين وصفوا أنفسهم بالتقدميين فى النصف الأول من القرن العشرين، ووصفوا الإسلام بالرجعية والتخلف :

يقولون فى الإسلام ظلما بأنه ... يصد ذويه عن طريق التقدم

فإن كان ذا حقا فكيف تقدمت ... أوائله فى عهدها المتقدم

وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا عن الإسلام من جهل مسلم؟!

---

(1) معروف الرصافى (١٨٧٧ ـ ١٩٤٥ م) : شاعر عراقى وأديب كبير ولد من أب كردى ينتسب لعشيرة الجبارة التى تسكن مدينة كركوك، وأم تركمانية من عشائر القرغول والتى يرجع أصولها إلى قبيلة الشاة السوداء التركمانية التى حكمت العراق و قسمًا من إيران زمنًا ما قبل العثمانيين. وقد أنشد هذه القصيدة التى أخذنا منها بعض الأبيات ردا على من وصفوا الإسلام بالرجعية والتخلف.

وهذه الادعاءات الكاذبة تجعل الإسلام محصورا إقليميا لا يخرج من بلاده، ويظهر بمظهر الدين الإقليمى المرتبط بجنس محدد كالعرب بعينهم، وبعض المناطق التى تأثرت بحضارتهم حينما كانت تحت حكمهم، ثم يقوم الإعلام الصهيونى بوصف أو تصوير الحملة التى يشنها ضد الإسلام و المسلمين، ومقاومة حماة الدين لهذه الحملات بأنها صراع للحضارات، لا صراع بين الصهيونية والدين الإسلامى القويم الذى أنزله الله للناس كافة.

ومن الأساليب الحقيرة التى يلجأ إليها الصهاينة محاولتهم النيل من سيرة نبى الرحمة سيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك من خلال قضايا تعدد زوجاته ﷺ متناسين أن العرب لم يكن عندهم حد لعدد الزوجات قبل بعثته ﷺ، وأن هناك فرقًا بين تعدد الزوجات وتعدد العشيقات، وأن الزواج علاقة اجتماعية سوية بالمجتمع المسلم، وأداة تراحم وتقارب بين بنى البشر وميثاق غليظ تُبنى به الأسر القادرة على تربية الناشئة تربية صالحة، وليس انسياقا للغرائز والنزوات.

وفى الآونة الأخيرة يلجأ الصليبيون الصهاينة إلى أسلوب استفزاز المسلمين واستثارة عواطفهم حيث يسبون الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه، ويصورونه كاريكاتيريا بأشكال لا تليق بذاته الكريمة، وذلك ليخرج المسلمون عن شعورهم، وتتناول وسائل إعلامهم ردود الأفعال الغاضبة وتصور على أنها همجية وعدم قبول الرأى الآخر إلى آخر قاموس ألفاظ المغالطات، ولكن الله قد ألهم المسلمين ردا يفسد على الكافرين كيدهم، واستخدموا سلاح المقاطعة الاقتصادية لمنتجات هؤلاء المتطاولين وهو ما يسبب خسائر فادحة لهم، فيعضون أيديهم ندما على سوء ما اقترفوه. والله هو الهادى إلى سواء السبيل. ولن أطيل فى تناول هذا المعول، وأكتفى بالإشارة إليه، والحقيقة أن كل معول من هذه المعاول لا تكفيه هذه السطور القليلة ويتطلب دراسة خاصة. وأسأل الله أن يجند لها من مفكرينا ودعاتنا وعلمائنا من هم أهل إخراج مثل هذه الدراسات بصورة تحيى همم الأمة، لتقيلها من عثرتها. وهو على ما يشاء قدير.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » . فقال قائل : « من قلة نحن يومئذ؟ « فقال : « بل أنتم يومئذ كثيرون ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن !» . قيل : « وما الوهن يا رسول الله ؟» . قال : «حب الدنيا وكراهة الموت » .[1] صدق رسول الله ﷺ .

والحقيقة أن النصارى الصهاينة يستغلون كل ما يملكونه من قدرات اقتصادية تجعل من أمريكا الصهيونية دولة القطب الأوحد المسيطرة على العالم ، فإذا ما جيشت جيوشها لضرب إحدى الدول الإسلامية كأفغانستان أو العراق دعت حلفاءها ليشاركوها فى جريمتها لبت دول الصهيونية إنجلترا وأستراليا النداء بلا تردد ، فتدفع بأبنائها وجيوشها وفلذات أكبادها لتحقيق مآرب الصهيونية ، ولبت بعض الدول كفرنسا ذات العقيدة المللينية وغيرها من الدول النداء بعد مساومة لتحقيق بعض المكاسب الاقتصادية وذلك بمسمى الدعم اللوجيستى ، وبعض الدول تكون مغلوبة على أمرها فتشارك مكرهة ولو بقوات رمزية ، وهكذا تتكالب علينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها وذلك تحت مسمى القوات متعددة الجنسيات أو قوات التحالف ، هذا على الصعيد العسكرى أما الصعيد السياسى فإن دول العالم تدور مع مصالحها حيث دارت ، ومصلحتها بطبيعة الحال مع القوة العسكرية والاقتصادية . والأمة الإسلامية كغثاء السيل لا تخشاها بقية الأمم بفعل معاول الهدم ، ومهما كانت الدول الإسلامية مسالمة ، فإن هناك جيشا صهيونيا إعلاميا يقوم بتكوين رأى عام يتعاطف مع الصهيونى المغتصب ، ويتحامل على المجنى عليه ، وهذا التحامل ليس لما ذكر من

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد والبيهقى عن ثوبان رضى الله عنه . وفى رواية لأحمد والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان : « كيف بك يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منها ؟» قال ثوبان : « بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، أمن قلة بنا؟» قال : « لا ، وأنتم يومئذ كثير ، ولكن يلقى فى قلوبكم الوهن » . قال : « وما الوهن يا رسول الله ؟» قال : « حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت » . والمقصود بكراهية الموت بالحديث الشريف كراهية الموت فى سبيل الله .

أسباب القوة الأمريكية الغاشمة وحدها، ولكن الإعلام الصهيونى يستعدى الأمم على المسلمين من باب أن اليهود والنصارى يشتركون فى كتاب مقدس، وأن رسالات السماء جاءت باليهودية والنصرانية، أما الإسلام فجاء من جزيرة العرب مدعيا أنه من السماء، وأنه بدعة ابتدعها عربى عاش فى الصحراء، وألا علاقة له بأنبياء الله ورسله السابقين، فيستميلون الرأى العام والعالم نحوهم، ويستعدونهم ضد المسلمين.

معاول تفتيت عضد الدين (الشريعة- العقيدة).

معاول هدم الشريعة

إن المعاول التى تستهدف النيل من الإسلام باعتباره دينا ومنهج حياة تعمل أول ما تعمل على محاربة الشريعة، والتشريع الإسلامى من أحكام تكليفية (مباح ومستحب وواجب وحرام ومكروه) ينبع من خلال علم أصول الفقه، وهو العلم الذى يبحث فى كيفية استنباط الأحكام من النصوص من كتاب الله ومن سنة رسوله الكريم، وهذه القواعد الأصولية هى التى يسير عليها ما يسمى بالمذاهب الفقهية، فالاختلافات المذهبية ليست اختلافات فى العقيدة ومفاهيم الدين ولكنها اختلافات علمية فى أصول الفقه فلكل مذهب منهجه فى الأصول، وفى هذه الأسطر نتناول لماذا يحارب الصهاينة الصليبيون التشريع الإسلامى ؟ وكيف ؟

معول الحيلولة دون تطبيق الشريعة الإسلامية

أولا : الشريعة الإسلامية ليست مجرد أحكام فقهية تحتوى على أوامر ونواه للعبادات والمعاملات، ولكن الله قد وضعها لتستقيم الفطر على ما فطرها سبحانه وتعالى عليه، فإذا ما استقامت الفطر صلح حال المسلم واستقام مع نفسه، ومع بيته، ومع مجتمعه، وصلح المجتمع أفرادا وجماعات، ويؤدى هذا الصلاح إلى التفوق فى جميع مجالات الحياة، فيمسك المسلم بتلابيب التقدم والرقى، فالصهاينة لا يستطيعون تنفيذ أغراضهم الخبيثة إلا فى أمة يسحقها الوهن، وليس هذا الوهن عن قلة عددنا كما أخبرنا رسولنا الكريم، وإنما هو وهن العزائم، وخور الهمم، فإذا ما انقضوا على الأمة الواهنة تكالبت معهم الأمم الطامعة تكالب الأكلة على قصعتها ، أما الأمة التى تطبق

الشريعة الإسلامية فيستقيم رجالها، وتستقر أحوالها، فلا يصيبها الوهن بل تكون أمة قوية تدفعها الاستقامة للتفوق فى جميع مجالات الحياة، وهذا ما يزعج العدو، ويفسد مخططاته، لذا يحارب كل من يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، وقد صرح زعماء الصهاينة ورأيناهم فى الأحاديث التليفزيونية عبر الفضائيات يقولون بأنهم ليسوا ضد الإسلام كدين، ولكنهم ضد من أسموهم بالراديكاليين (الأصوليين) من المسلمين، وقد عرفوا المتطرفين بأنهم الذين ينادون أو يعملون على تطبيق الشريعة الإسلامية، ويبررون ذلك كذبا بقولهم : إن المنادين بتطبيق الشريعة يريدون استرجاع حضارة الشرق المسلم ويرون أنها لن تعود إلا إذا انهارت حضارة الغرب (أى عود إلى أكذوبة صراع الحضارات).

ثانيا: تطبيق الشريعة يعنى الحكم بما أنزل الله تبارك وتعالى، وهذا فيه صلاح للمجتمع المسلم كافة حكاما ومحكومين، فالحاكم العادل الذى يحكم بما أنزل الله لن يتخذ الكافرين أولياء من دون الله عملا بقوله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ①﴾ [الممتحنة : ١]، فلن يجدوا من بين المسئولين والأمراء والحكام وأهل الحل والعقد فى المجتمع الذى يطبق الشريعة الإسلامية من يصبح عميلا لهم، يرعى مصالحهم وينفذ مآربهم مثلما هو مُدَوَّن فى بروتوكولات حكماء صهيون عن مخططاتهم فى استقطاب الحكام والقادة.

وبعد استخدام معول الحيلولة دون تطبيق الشريعة الإسلامية يأتى معول هدم هذه الشريعة من خلال إنكار المذاهب الفقهية وقواعدها الأصولية أى معاول هدم المذاهب الفقهية، وذلك من خلال معول اللامذهبية أى إنكار الالتزام بأى من المذاهب، كما يستخدمون معول التعصب المذهبى.

معول إنكار المذاهب الفقهية

أما إنكار المذاهب فهو بدَعْوَى أن باب الاجتهاد لم يقفل وهو مفتوح للجميع بغض النظر عن مقدار ما عندهم من مؤهلات علمية للاجتهاد، لتعم الفوضى ويسود الجهل، فيفتى من يفتى بغير علم وبغير إلمام بعلوم القرآن ناسخه و منسوخه وعلوم اللغة العربية وأصولها بنحوها وصرفها وعلوم الحديث النبوى الشريف ومصطلحاته وعلم أصول الفقه ومذاهبه لكيفية استنباط الأحكام من النصوص كى يعرف ما إذا كان الأمر فى النص على سبيل الوجوب أم الاستحباب، والنهى فى النص هل هو نهى على سبيل الكراهة أم على سبيل التحريم وما إلى ذلك من مؤهلات الاجتهاد ومقتضياته، و يعتبر الاجتهاد بغيرها فوضى وضياعًا للشريعة. وفتح باب الضلالات المضلة، وهذا ما يفسد على الناس دنياهم وآخرتهم . والحقيقة أن باب الاجتهاد لم يقفل، ولكنه مفتوح أمام أهل العلم وخاصته، وطلب العلم حق مكفول ومتاح لكل مسلم. أما انتشار الفتوى بغير علم أو استناد إلى أصول فقهية فهذه فوضى علمية مرفوضة .

معول التعصب المذهبى

أما التعصب المذهبى فهو آفة أخرى ومعول لهدم الشريعة يستخدمه أعداء الدين، فالاختلافات المذهبية اختلافات علمية، ليس فيها صواب وخطأ فللحقيقة أوجه متعددة، والتعصب لم يكن فى منهج العلماء أصحاب المذاهب أنفسهم، فجميعهم تتلمذ على يد بعض، فلم يقبل الإمام الشافعى وهو فى المدينة أن يفتى فى مسألة سُئل فيها وأجاب بأنه لا يُفْتَى ومالك فى المدينة، وسأضرب مثلا للاختلاف فى القواعَد الأصولية حتى يقف القارئ اللبيب على هذه الفروق، فعندما لا يكون عندنا فى المسألة أى نص غير حديث واحد مرسل، وهو الحديث الذى سقط من رواته اسم الصحابى الذى سمع من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبالتالى فإن هذا الحديث يصنفه علماء الحديث كحديث ضعيف وهو أول درجات الضعف سقوط اسم الصحابى، فمذهب الإمام الشافعى أن يؤخذ بهذا الحديث فى الحكم والتشريع، لعدم مخالفته أى نص لآية أو حديث آخر، وأن جهالة الصحابى الساقط من السند هى جهالة عين لا جهالة حال، فالقاعدة الفقهية وعند أهل الحديث أن الصحابة الرواة

جميعهم عدول، ولا يمكن رد حديث أو تضعيفه بسبب الصحابى الراوى للحديث، ولذلك يجيز الشافعى فى مذهبة الأخذ بالحديث المرسل فى الأحكام ما لم يكن هناك نص من الصحيح أو الحسن، أما مذهب الإمام مالك فالأخذ بالحديث المرسل له شرط فى الأخذ به، وهذا الشرط هو مضاهاة عمل أهل المدينة بأحكام هذا الحديث، لأن عمل أهل المدينة المنورة تواتر يدل على إقرار من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالفعل أو الحكم الذى تم استنباطه من نص الحديث المرسل.

وهكذا فى بقية الاختلافات الأصولية، فمن أخذ بالحديث المرسل وفق ما سبق فقد أخذ أو أفتى على المذهب الشافعى، ومن أخذ بشرط الإمام مالك فقد أفتى أو أخذ بالمذهب المالكى. وهكذا كان الاختلاف بابًا من أبواب الرحمة والسعة، وليس اختلافا يسبب التشاحن والبغضاء بين أفراد الأمة من أبناء الدين الواحد. وفق الله الأمة بنور العلم الذى وضعه لنا هؤلاء العلماء، كى نحسن الاقتداء بهدى نبينا وحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

معاول النيل من نصوص التشريع

وبعدما يستخدمون معاول الهدم ورفض المذاهب، بحجة أنهم ينادون بأخذ الأحكام مباشرة من نصوص القرآن والسنة، وأنهم ليسوا فى حاجة إلى علم أصول الفقه، ومناهجه تأتى معاول هدم منابع نصوص التشريع، أى النيل من الكتاب والسنة.

معاول النيل من القرآن الكريم

فأما الكتاب فقد حفظه المولى جل وعلا إذ قال تعالى ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ⑨﴾ [الحجر: ٩]. و﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ㊷ ﴾[فصلت: ٤٢]، فمهما حاول النصارى ومن بعدهم النصارى الصهاينة طباعة كتب قد أسموها بأسماء القرآن مثل (كتاب الله) و(الفرقان الحق) وهى كتب مليئة بآيات محرفة أو مدسوسة ويروجون لها فى بلاد المسلمين خاصة التى

لا تتحدث اللغة العربية كماليزيا وأندونيسيا، وقد فشلت هذه الكتب فى تحقيق أهدافها المنشودة، وآخر هذه الكتب ما طُبعَ فى أمريكا باسم (الفرقان الحق)، ويروج له فى الكويت، ويسعى لتدريسه بالعراق المحتل، ولكن الله غالب على أمره، وحافظ لكتابه العزيز، لذلك تحاك الدسائس حول القرآن ويستخدمون المعاول الآتية :

معول تمزيق المصحف بالفصل بين الآيات المكية والآيات المدنية، فيدعون أن الآيات المكية هى التى تشرح العقيدة والتشريع الدائم الصالح لكل مكان وزمان، أما الآيات المدنية فأحكامها تخص الدولة الإسلامية فى وقت وجود الرسول ﷺ بها، وجل أحكام النصوص خاصة بعصره ومقتضيات الأحوال حينها وليست لكل زمان ومكان، وبهذا يشطرون القرآن، ويلغون نصفه، والحقيقة أن مستخدمى هذا المعول ينكشف للبيب بسهولة منبع نشأته إذ أن القرآن والسنة ما تناولا اليهود وكشفا فساد طويتهم ونقضهم للعهود إلا بالمدينة المنورة بعد الهجرة، لذا يريدون إسقاط الحقبة المدنية بنصوصها من أصل الدين ونصوصه. وهذا المعول يعطونه دائما لمن هم من جلدتنا سواء كانوا مضَلَّلين، أو عملاء مضلِّلين.

معول إثارة الشبهات حول الناسخ والمنسوخ، وهى قضية يعرفها أهل العلم جيدا، ويعرفون أسبابها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قضية التدرج فى الأحكام إذ أن هناك أحكامًا لم تنزل على الأمة دفعة واحدة ولكن الله أراد لها التدريج، كى تطيقها الأمة لارتباطها بعادات يصعب منعها مرة واحدة، كحكم تحريم الخمر، فقد ألفَ الناس شربها قبل الإسلام واعتادوه، فحرّم الله على المسلمين أولا أن يقربوا الصلاةَ إذا شربوها ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا** ﴾ [النساء : ٤٣]، فتدرب المسلمون على الابتعاد عن الخمر تدريجيا، حيث إن الصلاة خمس أوقات فى اليوم غير قيام الليل والتهجد، ثم نزل قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)** ﴾ [البقرة : ٢١٩]، و ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾ المائدة : ٩١]، حتى نزل حكم تحريم الخمر

واجتنابها والابتعاد عنها تماما بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾ [المائدة: ٩٠]، فأخذ المغرضون من هذا التدرج ما يدعون أنه تضارب فى الأحكام ويستغلون جهل العامة بالأحكام رغم أن النسخ موجود فى كل شرائع السابقين فالنسخ كما يعرفه العلماء بأنه إلغاء حكم شرعى بحكم شرعى متراخ عنه.

معاول هدم السنة النبوية المطهرة

أما معاول هدم السنة المطهرة فهى تتلون وتتشكل بألوان وأشكال عدة منها:

معول رفض السنة والأحاديث برمتها، ومن يستخدمون هذا المعول يغلّفون دعواهم بغلالة مزركشة فيقولون بالقرآن وكفى، فيرفضون الأخذ بما ورد فى السنة من أثر عن رسول الله ﷺ، فيهدمون المصدر الثانى لنصوص التشريع فى الوقت الذى يحاولون فيه هدم نصف القرآن، ويستغلون حب الناس وارتباطهم بالقرآن كما يستغلون الجهل السائد لدى العوام بعلوم الحديث النبوى الشريف، فيشككون فى علوم تصنيف الحديث بين الصحيح والحسن والضعيف وبين الموضوع وهو ما ليس بحديث، وبعلم الجرح والتعديل الذى يضع مراتب الرواة ودرجاتهم وما إلى آخر علوم الحديث النبوى الشريف، ويدعون أنها مليئة بالإسرائيليات.

معول الطعن فى الصحاح، هذه الكتب التى جمعت الأحاديث الصحيحة كصحيح البخارى وصحيح مسلم والترمذى. . . . إلى آخر كتب الصحاح، وكذلك معاول الطعن فى رواة الأحاديث ومن يستخدمون هذا المعول يجهلون منهج علماء الحديث فى جمع الأحاديث بالإضافة إلى جهلهم بعلم الجرح والتعديل، وناسخ ومنسوخ الحديث. ويستبدلون المنهج العلمى فى رد الحديث وقبوله بالأهواء الشخصية. فهناك من يرفض أحاديث البخارى لأنه لم يرو عن شخص بعينه كالإمام جعفر الصادق، وهناك من يرفض أحاديث أبى هريرة لأنه قال: خير من وَطئَ الحصى بعد رسول الله هو العباس عم النبى، ولم يقل على بن أبى طالب أو غيره، وهكذا تتحكم الأهواء لا المنهج العلمى فى الرفض والقبول.

معاول هدم العقيدة

أما معاول هدم العقيدة أو الحرب ضدها فهى تتم بخلق فرق تدعى انتماءها للإسلام، وهى بعيدة كل البعد عنه، ولكنها تستهدف زعزعة عقيدة المسلمين، وتعمل كل فرقة على زيادة عدد المضَلّلين، وتمدهم النصرانية الصهيونية بكل وسائل الدعم المتاحة، ومن أشهر هذه الفرق وأكثرها انتشارا وأكثرها تأثيرا : القاديانية - البهائية - الماسونية - الإخوان الجمهوريون. ولذلك نتناولها على سبيلا المثال لا الحصر، وأكتفى بتناولها بإيجاز شديد لأوضح الارتباط بين الصليبيين الصهاينة وبينهم، وما تقدمه هذه الفرق من خدمات للصهيونية بيهوديتها ونصرانيتها :

القاديانية : عندما استقرت أقدام الانجليز فى الهند كمستعمرين غاصبين مستندين كما سبق القول على ركيزة عقائدية صهيونية تبيح لهم نهب ثروات ما يستعمرون من بلاد، ووجدوا فى الهند خمسين مليونًا من المسلمين يتحركون بتعاليم الدين ورؤى القرآن الذى يتلى عليهم ويحرضهم على الجهاد والمقاومة ضد الكافرين، كما أقلقت بريطانيا حركة الإمام الشهيد « أحمد بن عرفات » (١٨٤٢ م) الذى استطاع حمل مشعل الجهاد والمقاومة وبث روح النخوة الإسلامية، والحماس الدينى فى صدور المسلمين فى الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى فى بلاد الهند، وقد عانت منهم الحكومة الإنجليزية مصاعب جمة، كان هذا ما جعل المستعمرين الإنجليز يبحثون عن سبل إزالة هذا الدين من أرض الهند ومن الوجود كله أو محاولة إضعافه فوجدوا أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هى اختيار رجل ذى منصب دينى ومن المسلمين أنفسهم وهكذا كان (ميرزا غلام أحمد القاديانى) المولود سنة ١٢٦٥ هـ بقاديان إحدى قرى البنجاب الهندية ، هو الرجل الذى ينهض بهذا الدور الخطير ويحقق للمستعمر الإنجليزى غاياته وأغراضه وقد كان طموحًا لتأسيس ديانة جديدة تترك بصماتها على قلب التاريخ. ادعى أنه مجدد للدين الإسلامى ومُلْهَم من الله، ثم تدرج درجة أخرى فادعى أنه المهدى المنتظر والمسيح الموعود، يقول فى ذلك: « إن المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير أن المسيح ابن مريم قد رفع إلى السماء بجسده العنصرى، وأنه سينزل من السماء فى عصر من العصور، وقد أثبتُّ فى كتابى أنها عقيدة خاطئة، وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام عن طريق الاستعارة

بقدوم مثيل المسيح، وأن هذا العاجز - يعنى نفسه - هو مصداق هذا الخبر حسب الإعلام والإلهام»!!.

ثم انتقل من دعوى المثيل والشبيه بالمسيح عليه السلام إلى دعوى أنه المسيح نفسه، فقال: «وهذا هو عيسى المرتقب، وليس المراد بمريم وعيسى فى العبارات الإلهامية إلا أنا»، ولما كان المسيح نبيا يوحى إليه، فقد ادعى ميرزا أنه يوحى إليه، وكتب قرآنا لنفسه أسماه «الكتاب المبين» يقول: «أنا على بصيرة من رب وهّاب، بعثنى الله على رأس المائة، لأجدد الدين وأنور وجه الملة وأكسر الصليب وأطفئ نار النصرانية، وأقيم سنة خير البرية، وأصلح ما فسد، وأروج ما كسد، وأنا المسيح الموعود والمهدى المعهود، منّ الله على بالوحى والإلهام، وكلمنى كما كلم الرسل الكرام».

ويبدو أن دعوى أنه المسيح لم تلق القبول المرجو، ولم تحقق الغرض المؤمل منها، فانتقل من دعوى أنه المسيح النبى إلى دعوى أنه محمد النبى صلى الله عليه وسلم، وأن الحقيقة المحمدية قد تجسدت فيه، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قد بُعث مرة أخرى فى شخص ميرزا غلام، يقول ميرزا: «إن الله أنزل محمدﷺ مرة أخرى فى قاديان لينجز وعده»، وقال: «المسيح الموعود هو محمد رسول الله وقد جاء إلى الدنيا مرة أخرى لنشر الإسلام» ثم ادعى أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اتبع هذه الدعوة من اتبع من الدهماء والغوغاء وأهل المصالح الدنيوية وأهل الجهل بالدين والمضللين بالعبارات والأحاديث التى تدعو فى ظاهرها للإسلام وتدافع عن نبوة سيدنا محمد ورسالته وفى باطنها تحقق غايات صهيونية. وكانت أهم الغايات المنوط بالقاديانية تحقيقها للصهيونية هى تثبيت سلطة المستعمر الإنجليزى، ودعم ولايته على المسلمين، فبهذه الولاية سيقوم الكيان الصهيونى بفلسطين، وتقويض حركة الجهاد والتحدى التى يحملها المسلمون فالجهاد فى القاديانية لا يكون بالقتال أو الحرب وإنما بالإقناع العقلى.

أما بقية معتقدات القاديانية فيمكن تلخيصها فى النقاط الآتية:

١ ـ تعتقد القاديانية بتناسخ الأرواح : وفكرة تناسخ الأرواح مأخوذة من العقيدة الهندوسية ، وعلى أساسها زعم ميرزا غلام أحمد أن إبراهيم عليه السلام ولد بعد ألفين وخمسين سنة فى بيت عبد الله بن عبد المطلب متجسدا بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بُعث النبى صلى الله عليه وسلم مرتين أخريين أحدهما عندما حلت الحقيقة المحمدية فى المتبع الكامل يعنى نفسه .

٢ ـ يعتقدون أن الله يصوم ويصلى وينام ويخطئ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، يقول ميرزا غلام : « قال لى الله : إنى أصلى وأصوم وأصحو وأنام » وقال : « قال الله : إنى مع الرسول أجيب أخطئ وأصيب إنى مع الرسول محيط » .

٣ ـ يعتقدون أن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ بل هى مستمرة ، وأن الله يرسل الرسول حسب الضرورة ، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعًا ! ! وأن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد بالوحى ، وأن إلهاماته كالقرآن .

٤ ـ ينادون بإلغاء الجهاد ، ووجوب الطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية التى كانت تحتل الهند آنذاك ، لأنها ـ وفق زعمهم ـ ولى أمر المسلمين ! !

٥ ـ يعتقدون أنهم أصحاب الإسلام الجديد ، وشريعتهم مستقلة ، وأن رفاق الغلام كالصحابة ، كما جاء فى صحيفتهم «الفضل ، عدد ٩٢ » : « لم يكن فرق بين أصحاب النبى ﷺ وتلاميذ الميرزا غلام أحمد ، إن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية» .

٦ ـ كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية : كما أن من تزوج أو زوَّج لغير القاديانيين فهو كافر ! ! .

٧ ـ يعتقدون أن الحج الأكبر هو الحج إلى قاديان وزيارة قبر القاديانى ، ونصوا على أن الأماكن المقدسة ثلاثة مكة والمدينة وقاديان ، فقد جاء فى صحيفتهم : « أن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب ، لأن الحج إلى مكة لا يؤدى رسالته ولا يفى بغرضه » .

ومن تصدى لحركة الميرزا غلام الخبيثة الشيخ العلامة أمير جمعية أهل الحديث فى عموم الهند أبو الوفا ثناء الله الذى ناظره وأفحمه وكشف خبثه وكفره وانحراف غلته .

وقد أصر الميرزا غلام على كلامه وكفره فباهله الشيخ أبو الوفا على أن يموت الكاذب منهما فى حياة الصادق. ولم يمض سوى أيام قلائل حتى هلك الميرزا غلام أحمد القاديانى فى عام ١٩٠٨م.

ويطلق القاديانيون اليوم على ديانتهم اسم (الأحمدية) ولهم قنوات فضائية تتحدث بلسانهم وتبث سمومهم، كما أن لهم مواقع عديدة على الإنترنت تنشر دعوتهم التى تبدو إسلامية فى ظاهرها، ويتحدثون بصحيح الإسلام أحيانا للتمويه والتضليل، وهى فى جوهرها عقيدة فاسدة ضالة ومضللة. وهى أوسع الفرق التى تدعى الإسلام انتشاراً، وأكثرها تدعيماً.

البهائية : صنعت الصهيونية هذه الديانة وأظهرتها على يد الميرزا حسين على النورى الذى عرف باسم بهاء الله، وإليه تنسب البهائية، إلا أن نشأة هذه الديانة قد ارتبط تاريخها بالبابية، وهذه البابية قد صنعتها الصهيونية سنة ١٨٤٤م / ١٢٦٠هـ بيد الميرزا على محمد رضا المعروف فى بعض المراجع باسم الميرزا على رضا الشيرازى، الذى أطلق على نفسه « الباب » استنادا إلى الحديث النبوى : «أنا مدينة العلم وعلى بابها ». فقصد نفسه لا على بن أبى طالب، ثم ادعى أنه المهدى المنتظر ولقد آمن بالباب ١٨ شخصا من ضمنهم امرأة تعرف بالطاهرة أو قرة العين. وهى التى شرّعت لهم الزنا كطريقة للاحتفال بيوم النيروز إذ قالت لهم فى خطبة لها فى هذا اليوم بعد أن كشفت وجهها : إن النساء رياحين خلقن للشم، فلا تمنعوا عن أحبائكم حلائلكم. ومنح هؤلاء الثمانية عشر لقب حروف الحى.

وبعد أن شاع أمر البابية قامت السلطات الإيرانية بالقبض على «الباب» سنة ١٨٤٧م وإيداعه السجن. وكانت إيران محكومة آنذاك من قبل أسرة القاجار التركمانية. وظل أتباع الباب رغم حبسه يترددون عليه فى السجن وأخذوا يظهرون إيمانهم به وبرسالته على عامة الناس. وازداد عدد اتباع الباب رغم حبسه وذلك نتيجة جهود اتباعه وقياداتهم. ودعوا إلى عقد مؤتمر يجمع أقطابهم، فاجتمعوا فى صحراء «بدشت» بإيران فى رجب سنة ١٢٦٤هـ، ١٨٤٨ م وقرروا نسخ الشريعة الإسلامية، لأن «الباب» قد أبطل العمل بها. وفى نهاية المطاف أُعدم «الباب» سنة ١٨٥٠م رميا بالرصاص أمام العامة رغم وساطة بعض الدول الغربية للصفح عنه ومن ضمنها روسيا وبريطانيا اللتان كانتا تدعمانه بقوة، وتساعدانه على نشر ضلالاته.

وكان من أشد أنصار فكرة إلغاء الشريعة والمتحمسين لها، حسين على نورى، والذى استطاع أن يتميز فى ذلك المؤتمر ويخرج بلقب « بهاء الله » تمهيدا لما يخطط إعلانه من أنه خليفة «الباب».

اشترك «البهاء» فى محاولة اغتيال الملك « ناصر الدين» شاه إيران، إلا أن المحاولة باءت بالفشل، وكشف الفاعلون، ففر «البهاء» إلى سفارة روسيا التى قدمت له الحماية الكاملة، ولم تسلمه إلى السلطات الإيرانية إلا بعد أن أخذت وعدا منها بعدم إعدامه. ولم تكتف بذلك بل ساعدت على إخراجه من إيران، فنفى « البهاء » وأخوه «صبح أزل» إلى بغداد فى جمادى الآخرة ١٢٦٩هـ الموافق إبريل ١٨٥٣م، ومن بغداد إلى إستانبول فى ذى القعدة ١٢٧٩هـ الموافق إبريل ١٨٦٣م، ومن إستانبول نقلا إلى أدرنة، ومكثا هناك نحو أربع سنوات ونصف، اختلف خلالها الأخوَان، وتنافسا المناصب والألقاب، وقام «البهاء» خلالها بنشر دعوته بين عامة الناس، فتبعه طائفة سموا «البهائية» وتبعت طائفة أخرى أخاه فسموا «الأزلية» أو «البابية».

أدركت الدولة العثمانية خطر «البهاء» وأخيه «صبح أزل» على الناس فقامت بنفيهما مرة أخرى وفرقت بينهما، فنفت «صبح أزل» إلى قبرص وظل بها حتى مات، فى حين نفت « البهاء» إلى عكا، ومعه بعض أتباعه، فنزل بها سنة ١٢٨٥هـ الموافق ١٨٦٨م، حيث لقى حفاوة بالغة من اليهود الذين أحاطوه بالرعاية والعناية لما بينهما من مصالح فهو أحد خدام الصهيونية، وأضحت عكا منذ ذلك التاريخ مقرا دائما للبهائية ومكانا مقدسا لهم يحجون إليه.

عقائد البهائية وأفكارها وشعائرها :

١ ـ الإيمان بحلول الله فى بعض خلقه، وأن الله قد حلَّ فى «الباب» و حل فى «البهاء».

٢ ـ الإيمان بتناسخ الكائنات.

٣ ـ يعتقدون بأن القيامة قد قامت، فقيامها هو قيام البهاء.

٤ ـ الإيمان بأن الثواب والعقاب يقعان على الأرواح فقط، ولا عقاب أو ثواب بالجسد بعد الموت فالبعث للأرواح وليس للأجساد.

٥ ـ الاعتقاد بأن جميع الأديان صحيحة، وأن التوراة والإنجيل غير محرَّفين، ويرون ضرورة توحيد جميع الأديان فى دين واحد هو البهائية.

٦ ـ يقولون بنبوة بوذا وكنفشيوس وبراهما وزرادشت منظّر المجوسية، وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس.

٧ ـ يؤمنون ـ موافقة للنصارى ـ بصلب المسيح.

٨ ـ ينكرون معجزات الأنبياء وحقيقة الملائكة والجن كما ينكرون الجنة والنار.

٩ ـ كتابهم هو (الأقدس) أى أقدس من القرآن والكتاب المقدس.

١٠ ـ يحرّمون الحجاب على المرأة، ويحللون المتعة، ويدعون إلى شيوعية النساء والأموال (إنهن رياحين خلقن للشم).

١١ ـ يقولون إن دين الباب ناسخ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٢ ـ قبلتهم هى إلى البهجة بعكا بفلسطين بالمحتلة (حيث قبر البهاء) بدلاً من المسجد الحرام.

١٣ ـ الصلاة عندهم تؤدى فى اليوم ثلاث مرات فى اليوم، كل صلاة ثلاث ركعات، صبحا وظهرا ومساء، والوضوء لها بماء الورد، وإن لم يوجد فيكتفون بالبسملة «بسم الله الأطهر الأطهر» خمس مرات.

١٤ ـ لا يجوزون الصلاة جماعة إلا عند الصلاة على الميت.

١٥ ـ يقدّس البهائيون العدد تسعة عشر، ويجعلون عدد أشهر السنة تسعة عشر شهرا، عدد كل شهر تسعة عشر يوما.

١٦ ـ يصوم البهائيون شهرا بهائيا واحدا هو شهر العلا ويبدأ من ٢ إلى ٢١ مارس وهو آخر الشهور البهائية، وفيه يجب الامتناع عن تناول الطعام من الشروق إلى الغروب، ويعقب شهر صومهم عيد النيروز.

١٧ ـ يحرم البهائيون الجهاد وحمل السلاح وإشهاره ضد الكفار الأعداء خدمة للمصالح الصهيونية والاستعمارية طبعا .

١٨ ـ ينكرون أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، مدعين استمرار الوحى بعده .

١٩ ـ يبطلون الحج إلى مكة ، ولهذا كان حجهم إلى حيث دفن هالكهم «بهاء الله» فى البهجة بعكا بفلسطين المحتلة .

الماسونية : كلمة ماسونية من الكلمة الإنجليزية "Mason" وتنطق ميسون ، وتكتب فى العربية خطأ ماسون ، ولكن الخطأ قد شاع [١] ، وتعنى لغة البنَّاء ، وتعرف المنظمة باسم (الماسونيون الأحرار) . وتعرّف الماسونية بأنها فى الاصطلاح منظمة صهيونية سرية هدامة ، إرهابية غامضة ، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة الصهيونية واليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد ، وتتستر تحت شعارات خداعه (حرية ـ إخاء ـ مساواة ـ إنسانية) . جل أعضائها من الشخصيات المرموقة فى العالم ، من يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام تمهيداً بحفظ جمهورية ديمقراطية عالمية ـ كما يدعون ـ وتتخذ الوصولية والنفعية أساسًا لتحقيق أغراضها فى تكوين حكومة لا دينية عالمية.

لقد كانت نشأة الماسونية قبل نشأة النصرانية الصهيونية بقرون ، إذ كانت اليهودية هى منبع الماسونية ومعينها ، وهناك كثيرون ممن كتبوا عن الماسونية وخطرها على المجتمع الإنسانى وعن المنظمات المنبثقة منها كأندية الروتارى والليونز وعن أساليبها للسيطرة على العالم وكيف تكون ما أسموه الحكومة الخفية التى تشكّل سياسة جميع الحكومات على وجه الأرض . وقد ارتبطت اليوم ارتباطا عضويا بالصهيونية العالمية بنصرانيتها ويهوديتها ، ولها من النشاط والخطورة ما يجعلنا ندرجها ضمن أعتى التنظيمات أو الفرق معاداة للإسلام والمسلمين .

---

(١) د. عبد الوهاب المسيرى : اليد الخفية دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية . دار الشروق ١٩٩٨م.

تأسست الماسونية عام ٤٤م على يد هيرودس أكريبا أحد ملوك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهوديين) حيران أبيود) الذى عين نائبا للرئيس ، و (موآب لامى (الذى عين كاتم سر أول . كانت تسمى فى عهد التأسيس (القوة الخفية) ومنذ بضعة قرون تسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البنَّائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها ثم التصق بهم الاسم دون حقيقة ، ولقد قامت الماسونية منذ أيامها الأولى على المكر والتمويه والإرهاب حيث اختاروا رموزاً وأسماء وإشارات للإيهام والتخويف وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل سليمان عليه السلام

تلك هى المرحلة الأولى . أما المرحلة الثانية للماسونية فتبدأ سنة ١٧٧٠م عن طريق آدم وايزهاويت المسيحى الألمانى (ت ١٨٣٠م) الذى ألحد واستقطبته الماسونية ووضع الخطة الحديثة للماسونية بهدف السيطرة على العالم وانتهى المشروع سنة ١٧٧٦م ، ووضع أول محفل فى هذه الفترة (المحفل النورانى) نسبة إلى الشيطان الذى يقدسونه ، واستطاعوا خداع ألفى رجل من كبار الساسة والمفكرين وأسسوا بهم المحفل الرئيسى المسمى بمحفل الشرق الأوسط ، وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية ، وأعلنوا شعارات براقة تخفى حقيقتهم فخدعوا كثيراً من المسلمين .

جذور الماسونية يهودية صرفة ، من الناحية الفكرية ومن حيث الأهداف والوسائل وفلسفة التفكير . وهى بضاعة يهودية أولاً وآخراً ، وقد اتضح أنهم وراء الحركات الهدامة للأديان والأخلاق وقد نجحت الماسونية بواسطة جمعية الاتحاد والترقى فى تركيا فى القضاء على الخلافة الإسلامية ، وعن طريق المحافل الماسونية سعى اليهود فى طلب أرض فلسطين من السلطان عبد الحميد الثانى ، ولكنه رفض رحمه الله وقد أغلقت محافل الماسونية فى مصر سنة ١٩٦٥م بعد أن ثبت تجسسهم لحساب إسرائيل .

من معتقدات الماسونية وأفكارها : يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات ويعملون على تقويض الأديان . ويقومون بالعمل عل٠ى إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية فى البلاد المختلفة والسيطرة عليها . يستخدمون المرأة والجنس كوسيلة للسيطرة والضغط .

كما يقوم الماسونيون بتقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم وتسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها وبث سموم النزاع داخل البلد الواحد وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية كما تعمل على هدم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد واستعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة ذوى المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية والغاية عندهم تبرر الوسيلة والعمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.

وتعمل الماسونية للسيطرة على الشخصيات البارزة فى مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية لبث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم كما تعمل الماسونية من خلال وسائل الإعلام هذه على دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس فى الرذيلة وتوفير أسبابها لهم وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسرى كما تسعى للدعوة إلى العقم الاختيارى وتحديد النسل لدى المسلمين.

السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين كالمنظمة التابعة للأمم المتحدة ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة والشباب والشابات فى العالم.

للماسونية درجات ثلاث :

العمى الصغار : والمقصود بهم المبتدئون من الماسونيين

الماسونية الملوكية : وهذه لا ينالها إلا من تنكر كليًا لدينه ووطنه وأمته وتجرد لليهودية ومنها يقع الترشيح للدرجة الثالثة والثلاثين كتشرشل وبلفور، ورؤساء أمريكا (كاشتراط فى الترشيح).

الماسونية الكونية : وهى قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم آحاد، وهم فوق الأباطرة والملوك والرؤساء لأنهم يتحكمون فيهم، وكل زعماء الصهيونية من الماسونية الكونية كهرتزل، وهم الذين يخططون للعالم لصالح اليهود والصهيونية.

حقائق الماسونية لا تكشف لأتباعها إلا بالتدريج حين يرتقون من مرتبة إلى مرتبة وعدد المراتب ثلاث وثلاثون. ويردد الماسونيون كثيراً كلمة « المهندس الأعظم للكون »

والبنّاء الأعظم ويفهمها البعض على أنهم يشيرون بها إلى الله سبحانه وتعالى والحقيقة أنهم يعنون « حيراما » مهندس الهيكل وهذا هو الكون فى نظرهم .

أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بيانًا بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتارى جاء فيه : « يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها وواجب المسلم ألا يكون إمَّعةً يسير وراء كل داعٍ وناد بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله ﷺ حيث يقول : « لا يكن أحدكم إمَّعةً يقول : إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .

وواجب المسلم أن يكون يقظًا لا يغرر به ، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم ، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية ، فليس فى الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم .

رئيس الفتوى بالأزهر

عبد الله المشد

كما أصدر المجمع الفقهى التابع لرابطة العالم الإسلامى فتوى أخرى جاء فيها « : وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة ، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد ، وما نشر من وثقائها فيما كتبه ونشره أعضاؤها ، وبعض أقطابها من مؤلفات ، ومن مقالات فى المجلات التى تنطق باسمها ، وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلى :

١ ـ أن الماسونية منظمة سرية تخفى تنظيمها تارة وتعلنه تارة ، بحسب ظروف الزمان والمكان ، ولكن مبادئها الحقيقية التى تقوم عليها هى سرية فى جميع الأحوال محجوب علمها حتى عن أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها .

٢ ـ أنها تبنى صلة أعضائها بعضهم ببعض فى جميع بقاع الأرض على أساس ظاهرى للتمويه على المغفلين وهو الإخاء الإنسانى المزعوم بين جميع الداخلين فى تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب .

٣ ـ أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسونى مجند فى عون كل أخ ماسونى آخر، فى أى بقعة من بقاع الأرض، يعينه فى حاجاته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده فى الأهداف إذا كان من ذوى الطموح السياسى ويعينه إذا وقع فى مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته فى الحق لا الباطل. وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية.

٤ ـ إن الدخول فيه يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التى تصدر إليه بطريق التسلسل فى الرتبة.

٥ ـ أن الأعضاء المغفلين يتركون أحرارًا فى ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم فى الحدود التى يصلحون لها ويبقون فى مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقى مراتبهم تدريجيًا فى ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.

٦ ـ أنها ذات أهداف سياسية ولها فى معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية.

٧ ـ أنها فى أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط.

٨ ـ أنها فى أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام بصفة خاصة.

٩ ـ أنها تحرص على اختيار المتنسبين إليها من ذوى المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذًا لأصحابها فى مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء وكبار موظفى الدولة ونحوهم.

١٠ ـ أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهًا وتحويلاً للأنظار لكى تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية فى محيط ما، وتلك الفروع

المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتارى والليونز . إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التى تتنافى كليًا مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية ، وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية ، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسؤولين فى البلاد العربية وغيرها ، فى موضوع قضية فلسطين ، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم فى هذه القضية المصيرية العظمى ، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية .

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهى اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله .

والمراجع العديدة [1] توحى بأن اليهود كانوا خلف جمعية «فرسان المعبد» وجمعية : القداس الأسود «وجمعية الصليب الوردى »، وجمعية «البنائين الأحرار» التى تسمى « الماسونية» وغيرها من الجمعيات. وكانوا خلف القرامطة ، وغلاة الشيعة ، وغيرهما من الجمعيات التى ناصبت المسلمين العداء ، رغبة النيل من الإسلام . وما الماسونية وما تفرع عنها من هيئات ومنظمات وأندية ، سوى الوجه الحديث للقوة الخفية تلك ، لقد اتخذت القوة الخفية منذ أن تأسست شعار « الحية النحاسية » شعارا لها واضعة ذيلها فى فلسطين ، وتاركة الرأس والجسد يعيثان فى العالم فسادا وإفسادا ، ولم ولن يهدأ لها بال إلا إذا التقى الرأس بالذنب ، وقامت دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل ، تحكم العالم ، وتتحكم فى مصيره ومقدراته .

الإخوان الجمهوريون : وهى دعوة أسسها محمود محمد طه فى السودان ، والدعوة فى ظاهرها المناداة بالتجديد ولكنها تحت هذا الشعار تقوم بهدم جميع القواعد المستخلصة من الأدلة الشرعية كأصول الفقه وغيرها ، ودعوات هذه الجماعة منقولة عن فرق قد ظهرت من قبل فى مجتمعاتنا الإسلامية ، ولكن المسلم يلفظها حتى تعود فى ثوب جديد ، وتحت قيادة صنيعة جديدة من صنائع الصهيونية .

---

(١) د. مانع الجهمى : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ةالأحزاب المعاصرة . دار الندوة . الطبعة الخامسة . ٢٠٠٢م .

وفى ١٨/ ١١/ ١٩٦٨م انعقدت المحكمة الشرعية العليا بالخرطوم برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ توفيق أحمد صديق للنظر فى الدعوة التى قدمها الغيوران على دين الله د. محمد الأمين داود الأستاذ بجامعة أم درمان الإسلامية وحسين محمد زكى من طوفان الزندقة المتمثل فى كتب هذا الزعيم، وقد حكمت المحكمة بردة هذا المدعى التجديد فيرى أن الشريعة الإسلامية وقد أطلق عليها اسم الشريعة الموروثة قد جاءت لتحل مشكلات مجتمع القرن السابع الميلادى ولا تصلح للزمن الحالى، وأن منبع شريعتها هو الآيات المدنية التى جاءت للحلول المؤقتة وفق مقتضيات عصرها، أما الآيات المكية فهى الآيات التى تحمل التشريع الدائم وأسماها (أصل القرآن)، وقال : إن هذه الآيات هى التى تقتضى المساواة بين مواطنى الدولة فى الحقوق والواجبات بلا تمييز بسبب العقيدة أو الجنس أو العنصر، وكذلك مساواة المرأة بالرجل فى كل شىء فى الشهادة والميراث والزواج والطلاق وجميع آفاق الحياة. ووضع كتابا أسماه الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، واعتبر دعوته هى الرسالة الثانية ووضع كتابا بهذا الاسم. وبعد صدور حكم الردة عليه، لم ينفذ فيه حكم الإعدام نتيجة تدخلات وضغوط من دول النصارى الصهاينة، وظل يحتفل بذكرى صدور هذا الحكم عليه سنويا، وأشهر هذه الاحتفاليات نشرها بكتاب: محكمة الردّة عار القضاء السودانى بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة.

وفى سبتمبر من عام ١٩٨١م ذهب شيخى ووالدى فضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى صاحب تكملة المجموع شرح المهذب للشيرازى ضيفا على اتحاد طلاب السودان، وكانت السودان تموج بتيارات واتجاهات فكرية متباينة، وتتوجه الحكومة والقيادة إلى تمهيد الطريق لتطبيق الشريعة الإسلامية، فوجد الداعية المجاهد رحمه الله ضالته فشمّر عن ساعديه، وانبرى لهذه الدعوة الضالة، وأنقل هنا مما كتبه عن المآخذ التى أودت بمؤسس هذه الجماعة إلى حبل المشنقة [1]، إذ لم يترك شيخنا السودان إلا بعد أن أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية هناك، وتم تنفيذ حكم الإعدام شنقا على الزنديق الكافر محمود محمد طه أو (تاها) كما أسماه شيخنا إذ كتب :

---

(١) محمد نجيب المطيعى : حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة ١٩٨٦.

وعندما أتيحت لى فرصة التحدث فى تليفزيون السودان (حديثا يوميا)، وكنت رئيسًا لقسم السنّة وعلوم الحديث بجامعة أم درمان الإسلامية، ثم دعيت لقسم الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم وكذلك للمركز الإسلامى الأفريقى حيث دبلوم الدعوة لضباط القوات المسلحة وكلية القرآن الكريم التابعة للمجلس القومى للتعليم العالى وخطبة الجمعة بمسجد امتداد ناصر وأحيانا بمسجد التقوى الذى يصلى فيه اللواء عمر محمد الطيب وهو الذى شيده، ودروس الجمعة بمسجد جامعة الخرطوم، وأجل انتهزت فرصة هذه المواقع كلها فجعلت حلقات تليفزيونية عن التيارات الهدامة فى السودان، وكذلك فعلت فى كل ما ذكرت من مجالات، حتى اهتز المجتمع السودانى كله ليتنبه لخطورة هذه الدعوة التى تطفح بالعمالة والخيانة ومساوئ الأخلاق، وأحط ألوان الشقاق والنفاق. الأمر الذى أقض مضجع ذلك المخلوق الزنديق

١ ـ فلقد اتهمناه بالتآمر على الدين والأمة بإنكار قرآن ما بعد الهجرة وأحكام الشريعة التى اكتملت صورها وشملت برحمتها وعدلها آفاق الحياة جميعا، إذ به ينكرها ويجحدها، وكأنها دعوة منضودة ومبرمجة فى معامل الصهيونية للوصول إلى غسيل مخ المسلم فلا يذكر ما وقع من اليهود مع النبى ﷺ من وقائع وما سلكوه من غدر وخسة ونقض للمواثيق والعهود، وتنفيذ أمر الله تعالى فيهم حين كتب عليهم الجلاء فأجلاهم الرسول والمؤمنون. وهذه الذكريات لو تمكن أعداء الإسلام أن يواروها غياهب النسيان لفعلوا حتى لا تظل شبحا يلاحقهم بما يجعل تطبيع العلاقات بينهم وبين المسلمين له وجهة أخرى طبيعية لا مصطنعة، نابعة من القلب المعمور لا من الورق المسطور.

٢ ـ أخذت عليه سرقة دعوة العيسوية التى قام بها فى العصر العباسى أبو عيسى الأصفهانى وتسمى طائفته بالعبرية فى تاريخ الصهيونية (اليودجآنيم) وهى دعوة ترتب عليها مقاومة معتنقيها لسلطان الدولة وكان الخليفة السفاح فقتل أبو عيسى الأصفهانى فى خلافته ونسى العالم العيسوية حتى سطا عليها محمود تاها وانتحلها واعتبر نفسه متولى كبرها.

٣ ـ أخذت عليه عمالته للصليبية فقد جحد ما أثبته القرآن من نفى صلب عيسى ابن مريم عليه السلام فجاء هذا الزنديق ليكذب القرآن فأمر أتباعه أن يؤمنوا بالصلب والفداء وذلك لعمرى أصل النصرانية وعقيدة أهلها.

٤ ـ أخذت عليه دعوته إلى الشيوعية، وهو الذى يقول : إن محمدا هو الشيوعى الأول، ويستدل بقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)﴾ [البقرة: ٢٦٩] على أنه لا يجوز لأحد أن يدخر شيئا ليكون عنده نصاب يزكيه فالزكاة فى دينه أو نحلته باطلة، وإنما ينفق المرء كل ما زاد على قوته.

٥ ـ أخذت عليه دعوته إلى الرسالة الثانية وأثبتُّ أنه سطا على كتاب لمحيى الدين بن عربى اسمه الرسالة الثانية وهو مطبوع ضمن كتاب (معارج الأملاك فى مدارج الأفلاك) وهو كتاب طبع فى الثلاثينات بتحقيق المرحوم طه عبد الباقى سرور نعيم، ونظرًا لنفاد طبعة الكتاب وندرته أو فقدانه فقد موَّه ودلَّس ولفق على السذج البسطاء من أتباعه فأذاب كتاب الرسالة الثانية فى بعض عباراته العصرية إمعانًا فى التلفيق، وسوء نية فى انتحال كتب لها مؤلفوها وقد أفضوا إلى ما قدموا.

٦ ـ أخذت عليه دعوته للهيبز حتى إن أتباعه يعتبرون فى واقع حالهم قبيلة من قبائل مانسون الابن غير الشرعى لإحدى عاهرات أمريكا فقام بدعوى أنه ابن الإنسان وأنه مسيح القرن لأنه بغير أب، وأنه جاء برفض الشرائع والتقاليد، وأباح الاختلاط وكل ما ترتب عليه من عظائم ومآثم، وجاء زنديق السودان واستحسن هذه الدعوة واعتبرها فضيلة من الفضائل التى ينبغى دعوة الشباب إليها مع تطعيمهما بأحماض جمهورية طهوية إضافية من أفكاره وضلالاته.

٧ ـ أخذت عليه دعوته إلى الحرية المطلقة للتفلت من قيود الدين والفضيلة، ونوازع الفطرة الإنسانية المتجاوبة مع (الحلال بين والحرام بين) واجتياح هذه الأسوار التى تحول بين الشباب وبين إشباع غرائزه، مما جعل جميع المحيطين به من الشبان والشابات يشتركون مختلطين فى توزيع المنشورات وبيع الكتيبات وعقد الاجتماعات والسفر كل فتاة مع فتى إلى الأقاليم النائية وقطع المسافات فى فيافى السودان وقفاره بين فتاة بضة ناهد شبه عارية فى ملبسها حيث نزعن الثوب السودانى الجميل واستبدلن به المينى والميكرو والكات وما إلى ذلك من مهيجات قرم الشهوة عند الشباب.

٨ ـ أخذت عليه دعوته إلى نبذ الصلاة المكتوبة والتحقير منها بإطلاق عبارة (صلاة التقليد) عليها، وهو تعبير غريب أيضا على جو الصلاة، إذ المسلم عندما يسمع عن صلاة التقليد يتصور القرد الذى يحاكى غيره فى تصرفاته، أو الببغاء الذى يردد ما يلقى على سمعه دون وعى أو إدراك لما يحاكيه هذا أو ذلك مستدلا بقوله ﷺ : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ولم يشفع الحديث بما يكمل مقاصد الشرع من الصلاة وتحديد الصلاة المقبولة منها فى قوله صلى الله عليه وسلم : «ليس من صلاتك إلا ما عقلت منها».

٩ ـ أخذت عليه فراره من المواجهة والفرار من مجالس أهل العلم، وإذا ذهب إلى مكان ليلقى فيه ما يسميه محاضرة ليقىء فى آذان الناس ضلالاته وخياناته وعمالته، وتصدى أحد للرد عليه ممن أتوا بعض المعرفة ممن يرون الباطل يتجسد فى كل حرف يقذف من لهاته، إذا بمجموعة مسلحة بالعصى والخناجر من الصعاليك والأوشاب الذين يتبعونه، ولعلهم يأخذون ويأخذن نظير تفرغهم وتفرغهن أجراً لنصرته والاعتداء على من يكابره أو يقاطعه عندما يشعر المسلم أن السيل بلغ الزبى وأن الزندقة طف صاعها حتى ما يطاق السكوت عليها.

١٠ ـ أخذت عليه ما هو أدهى من كل ما مضى من دعوته أنه هو الله الحادث وما ينفى فى الحقيقة وجود الله القديم الواحد الأحد.

هكذا أيها القارئ اللبيب نكشف لك بعض الفرق الضالة والمضللة ذات النشاط والواسع ولعلك تلاحظ كيف أن هناك معاول هدم تمسك بها كل من القاديانية والبهائية، ومنها ما يمسك بها الجمهوريون والقاديانية، ومنها ما يمسك بها البهائية والجمهوريون، وهكذا كل الفرق الضالة فجميعهم قد طفحوا من وعاء واحد، وكلهم صنيعة معامل الصليبية الصهيونية وهم خدامها الأوفياء، اجتمعوا على هدم العقيدة الإسلامية وشريعتها، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة : ٣٢].

جماعات الهوس الدينى :

ما كنت أحب أن أضيف كلمة الهوس إلى من ينادون بالدين، ولكن الحقيقة أن هناك جماعات وأفكاراً تم تأليفها فى معامل الاستشراق الصليبية، وهى التى قد أنشأتها

بهذا الهوس، فمنها من نحا نحو التصوف مستغلا ما فى الفكر الصوفى من سمو الروحانيات، ومنها ما نحا نحو تكفير المجتمع وضرب العزلة بينه وبين المجتمع.

أما من سلك مسلك الطرق الصوفية ليتوارى خلف ستار الشطحات اللفظية للمتصوفة الحقيقيين الذين كانت لهم شفرة خاصة ورموز لها دلالاتها فى سياق عباراتهم وأحاديثهم، وكان المقصد الأسمى لمستغلى هذا الفكر من صناع معاول الهدم ومستخدميه هو تلهية الناس عما يحاك لهم من مؤامرات صليبية صهيونية تستهدف أوطانهم وأرواحهم، وأن ينخرط الناس فى جماعات تبعدهم عن شئون الدنيا وعلومها باسم العبادة والبحث عن الحقيقة.

أما جدلية الشريعة والحقيقة، فإن أحسن ما قرأت فى الكلام عنها جوابا للإمام أبى بكر بن عبد الله العيدروس على سؤال ورد إليه من بعض الفقهاء عن الفرق بين الشريعة والحقيقة أذكر هنا بعضا منه إذ قال: «ويا أيها المترسمون بألفاظ الحقيقة لم تحصل لكم الهداية إلا بالاجتهاد على أوامر الشريعة واجتناب مناهيها، وكأنكم جاهلون ما جمع الله لعباده فى فاتحة الكتاب، إذ قال له بعد أن عرّفه: كيف يحمده وأنه يستحق عليه الحمد بربوبيته على جميع العالمين، وخصّ بلفظه الرب لما فيها من غاية الشفقة واللطف ثم آنسه به، وعرّفه به أنه رحمن فى الدنيا، ورحيم فى الآخرة. فجمح به جامح الرجاء، فشمّ منه تيه الطبع فقرّعه بأنه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④﴾ [الفاتحة: ٤]. لأن حقيقة الملك العدل، ويوم الدين يوم الجزاء، فأقام له جناحى الخوف والرجاء، وعرّفه كيف يطير بهما إليه. فقال له قل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] وهو الشريعة، فلما أقامه بالعبادة ظن أن له إرادة فكاد أن يخلد إلى الأرض بالعجب والرياء والمن عليه. فأراد أن يعرفه أن طاعته من استعانته فقال له: قل ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤﴾ [الفاتحة: ٥] وهى الحقيقة، فعلم العبد الموفق حينئذ أن له إرادة بنفسه، وأصلها من عند الله تعالى، وعند وارد الأمر والنهى لإقامة حدود الشريعة.

ثم قال: وإن شئت قلت: الشريعة علم، ومعلومها الطريقة وهى العمل، وثمرتها الوصول إلى الله وهو الحقيقة.[1]» فهذا هو الفكر المستنير لورع العالم، أما الطرق

---

(١) الإمام العارف بالله: السيد أحمد مشهور بن طه الحداد: مفتاح الجنة. دار الحاوى. دمشق. الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

التى تلهى المسلم عن جادة طريقه، فتصرفه عن الأخذ بتلابيب التقدم والرقى بالمجتمع المسلم، ويتصور أن جوهر الدين هو الاستغراق فى تغييب الوعى والإتيان بحركات أو رقصات أو مخالفات شرعية ويدعى أنها عبادة فذلك ما نحذر المسلمون منه، ونعتبره معولا للهدم لا أداة للبناء، وشره كشر بقى المعاول.

أما بقية معاول الهوس الدينى كتكفير جماعة المسلمين ومجتمعهم، وغيرها من الجماعات والفرق التى لا تأتى إلا بأفعال تخدم المصالح الصهيونية ولا تخدم الإسلام وتضر بمصالح المسلمين، فتجد طبيبا أو مهندسا قد ترك عمله، وراح يعمل بائعا متجولا لأن راتبه الحكومى يراه حراما، أليس تركه لخدمة أبناء المسلمين حراما، ألا يعلم أن الأمة تكون آثمة إن خلت من الطبيب المسلم والمهندس المسلم. إن وجود الطبيب المسلم والمحاسب المسلم والمهندس المسلم يؤدى إلى نهضة الأمة المرتكزة على ركيزة الدين الذى يدعوا إلى الإجادة وإتقان العمل، كما أن وجوده يقلق مضاجع العدو الصهيونى.

اعلم أخى المسلم أنك مستهدف، وعقيدتك مستهدفة، فاستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، وتمسك بتلابيب الدين الحنيف، ملة أبينا إبراهيم، ولا تغرنك كثرة الخبيث، واستمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وعلى آله، والله المستعان على ما يصفون.

* * *

الفصل الثالث عشر

معاول الصليبية الصهيونية لإبادة المسلمين والعرب أجمعين

معاول تغريب اللغة العربية :

إن الله تبارك وتعالى قد شرف هذه الأمة الإسلامية بلغتها العربية، لغة القرآن الكريم التى خاطب بها رب العزة كل البشر من خلقه ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ [الشعراء١٩٢ : ١٩٥]. وأمر المسلمين على وجه الأرض قاطبة بأن يحبوا أهل هذه اللغة على لسان نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ ورد فى صحيح حديثه أنه قال فيما رواه الطبرانى فى الكبير : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا العلاء بن عمرو الحنفى حدثنا يحيى بن يزيد الأشعرى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحبوا العرب لثلاث، لأنى عربى، والقرآن عربى، وكلام أهل الجنة عربى ». ثم إن اللغة العربية هى عنوان هويتنا وقوميتنا، ومفتاح وحدة وطننا العربى.

والأمة إذا ما تمسّكت بلسانها العربى، ظلت الصلة بينها وبين منهجها القويم المبين بكتاب الله قائمة، وفهمته الأجيال المتلاحقة جيلا بعد جيل، فاستمسكوا بقيمه و معانيه، وعرفوا قيمته ومدى إعجازه، وإذا ما ضيعوا لغته فلن يفهموا كلامه ولن يعرفوا أحكامه، ولن يدركوا إعجاز القرآن.

فاللغة هى الرباط الذى يربط المسلمون بالدين الإسلامى ومفاهيمه ونصوصه، ولذلك قد ركز العدوالصهيونى الصليبى ضرباته ومعاوله نحو لغتنا العربية.

ومن مظاهر محاربة اللغة العربية الفصحى ما يمكن صياغته فى المعاول التالية :

الإعلام ومعاول تغريب اللغة الفصحى

- معول ظهور المنادين بتدوين العامية فى الصحف ووسائل الإعلام المقروءة، وإحياء اللهجات العامية على حساب الفصحى، فالزجال يقال له شاعر، وتفتح له الصحف والمجلات والإذاعات والفضائيات أبوابها، ويظل شاعر الفصحى الفصيح محجوبا عن الإعلام ووسائله حتى ينضب الإحساس باللغة الأم وبلاغتها. وليس ذلك بجديد فهدم الفصحى بمعول العامية قد كتب عنه مصطفى صادق الرافعى[1] فى مطلع القرن العشرين ما نصه : وقد نبتت فى مصر نابتة من الزنادقة الملحدين فى آيات الله، الصّادين عن دين الله، قد سلكوا فى الدعوة إلى الكفر والإلحاد شعابا جُدداً، والتشكيك فى الدين طرائق قدداً، منها الطعن فى اللغة العربية وآدابها والتمارى فى بلاغتها وفصاحتها وجحود ما روى عن بلغاء الجاهلية من منظوم ومنثور، وقذف رواتها بخلق الإفك وشهادة الزور ودعوة الناطقين باللسان العربى المبين، إلى هجر أساليب الأولين واتباع أساليب المعاصرين. ومنهم الذين يدعون إلى استبدال اللغة العامية المصرية بلغة القرآن المضرية، والغرض من هذا وذاك صدّ المسلمين عن هداية الإسلام، وعن الإيمان وإعجاز القرآن، فإن من أوتى حظا من بيان هذه اللغة وفاز بسهم رابح من آدابها، حتى استحكمت له ملكة الذوق فيها، لا يملك أن يدفع عن نفسه عقيدة إعجاز القرآن وبلاغته وفصاحته، وبأسلوبه فى نظم عبارته، وقد صرح بهذا من أدباء النصرانية من المتأخرين الأستاذ جبر ضومط مدرس علوم البلاغة بالجامعة الأمريكانية فى كتابه الخواطر الحسان.

---

(١) مصطفى صادق الرافعى : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. الطبعة الثالثة. طبعت على نفقة ملك مصر أحمد فؤاد الأول عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م. مطبعة المقتطف والمقطم بمصر.

ـ معول إقامة قنوات فضائية لا تستخدم إلا العامية فى النطق والتدوين، بداية من عناوين البرامج حتى النشرة الإخبارية (حال الدنيا) تقرأها المذيعة باللهجة العامية، ومثل هذه القنوات لابد للمسلم اللبيب أن يحذر منها، وعادة ما يكون القائمون عليها أو أصحابها من النصارى الصهاينة الذين يدسون لنا السم فى الدسم. فانتبهوا انتبهوا أعزكم الله.

ـ معول السخرية من المتحدثين باللغة الفصحى، فظهور المتحدثين باللغة العربية الفصحى فى وسائل الإعلام على هيئتين :

الأولى فى أعمال درامية من أفلام ومسلسلات تاريخية منفصلة عن واقعنا، وتكون اللغة جزءا من المناخ التاريخى كالديكور إلا أن هناك أحد المخرجين السينمائيين المصريين ممن يعرفون بلا دينيتهم، وتناولهم أنبياء الله بسوء فى أعمالهم، قد تناول أحد الشخصيات البارزة فى فلسفة الفكر الإسلامى فتناولها بالتسطيح الشامل حتى بدا وكأنه على قول أحد المشاهدين يتحدث عن (ابن رشدى أباظة) فلم يحترم الشخصية التاريخية وبيئتها العلمية، حتى لغة العصر الذى عاشه قد طمسها وجعل الحوار يدور باللهجة العامية السمجة والركيكة، وهكذا فتح الباب للدراما الفاسدة بأن تتناول التاريخ بغير لغته الفصحى.

الهيئة الثانية دائما ما يُقدم فيها متحدث الفصحى فى كثير من الأعمال الدرامية بشكل هزلى جدا ليكون محل سخرية المشاهد فيظهر فى صورة المأذون الذى يكتب عقود الزواج والطلاق، أو شكل إمام مسجد القرية الذى يحرّم الحلال ويحلل الحرام لصالح السلطة المتمثلة فى العمدة أو ما شابه، أو فى شكل المستتر بمظهر الدين ويتحدث بالفصحى ليخفى فسوقه وفجوره. . . . إلى آخر الصور الهزلية أو المشينة.

ـ تسهم وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ولا أعرف جهلاً أم عمدًا أم غفلةً فى تعميق مشكلة تغريب الفصحى، فقد كانت أفلام الرسوم المتحركة المقدمة لأبنائنا الصغار يتم لها الدوبلاج باللغة العربية الفصحى، وكان الأطفال يستمتعون بها، وتألف آذانهم اللغة الفصحى، ولكن الظاهرة الحادثة اليوم أن يتم الدوبلاج باللهجات العامية الركيكة، وإمعانا فى المغالاة بالعامية يستخدمون أحيانا عبارات سوقية لا

يستخدمها سوى الرعاع والسوقة بقيعان المدن، ويتعللون بأنهم يسايرون العامة، وهم يسوقونها لفساد الذوق واضمحلال الحس البلاغي واللغوى لديهم.

التعليم ومعاول تغريب اللغة العربية الفصحى

معول وضع مناهج اللغة العربية بطرق غربية واستخدام طرائق تدريس تتبع لمدارس تربوية أجنبية لا تتوافق أساليبها مع أساليب تدريس اللغة العربية تصلح للغات الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية، ولكنها لا تتفق مع روح اللغة العربية وبلاغتها، وتركيباتها البلاغية، كما أن مناهج اللغة العربية نفسها تفتقد لوسائل الجذب نحوها، كما أن الكتب المدرسية فى بعض البلدان العربية والإسلامية تفتقد لعناصر جذب الطلاب للمادة، بل إن منها ما هو منفر، خاصة كتب القواعد من نحو وصرف فإن أساليبها قد تتصف بالسماجة، كى تنفر الطلاب من اللغة العربية.

ـ معول إعلاء اللغات الأجنبية. ما يحدث فى الدول العربية والإسلامية من تمجيد للمؤسسات التعليمية من المدارس والجامعات التى تدرس مناهجها الدراسية باللغات الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية) ويشاع أن خريجى هذه المدارس سوف تكون لهم الأولوية فى التوظيف ويتم تحقير خريجى المدارس والجامعات التى تدرس مناهجها باللغة العربية، ونجد فى واقعنا المعاصر ـ مع الأسف ـ أن الآباء وأولياء الأمور يدفعون بأبنائهم وبناتهم فى هذه المدارس الأجنبية حتى ولو كانت مدارس للراهبات ومؤسسات تعليمية كنسية، فالمدرسة داخل الكنيسة أو ملحقة بها، ونجد هؤلاء الآباء المغرر بهم يتباهون بأن أبناءهم يدرسون فى مدارس القديس فلان أو كنيسة القديسة فلانة ويدفعون أموالاً طائلة من أجل تعليم أولادهم بهذه المؤسسات التبشيرية، وقد ساعد على تفشى هذه الظاهرة هبوط مستوى التعليم بالمؤسسات الحكومية والمؤسسة الدينية التعليمية الاسلامية الأولى بمصر (الأزهر الشريف).

هناك من خريجى المدارس العربية من يتقنون اللغات الأجنبية كهؤلاء الذين حرموا من إتقان لغتهم العربية، صحيح أن هناك بعض العلوم أو المقررات بالتعليم الجامعى قد يحسن تدريسها باللغة الإنجليزية لكثرة ما فيها من مصطلحات لم تعرب، لأن حركة التعريب بطيئة فيها فلم تتمكن من مجارات تقدمها، وإنى أدعو إلى أن نتعلم أكثر من

لغة ، وبأكثر من لغة ، حتى نتمكن من توصيل دعوتنا لأصحاب هذه اللغات ، ولكن تعلم لغة أجنبية يختلف عن التعلم بلغة أجنبية خاصة فى المراحل الأولى للتعليم . فهذا يؤدى بالمتعلم لنبذ اللغة العربية فهناك فرق بين أن نتقن أكثر من لغة ، وأن ننبذ لغتنا الأم .

معول هدم الكتابة العربية ورسمها كما كتب بها القرآن

مما نلمحه اليوم استحداث طريقة غريبة لكتابة اللغة العربية خاصة العامية ، إذ تكتب بالحروف اللاتينية ، والحروف التى لا تتماثل هجائيا مع الأحرف اللاتينية تستبدل بأرقام مثل 7 ، 3 وتسمى هذه اللغة الشاذة التى ابتدعها الأوشاب (لغة الشات) وذلك لأن النصارى يتداولونها دائما فى المحادثات بينهم على مواقع المحادثة بشبكة الإنترنت ، كى يدمروا الكتابة العربية ، التى تعد جمالياتها من مفردات التكوين فى الفنون التشكيلية الحديثة والمعاصرة ، ويتعامل بهذا المسخ اللغوى بعض المسلمين من الشبان المخدوعين ، ونسوا أن الاعتزاز باللغة العربية يجب أن ينبع من الوازع الدينى ، وأن من واجبهم المقدس المحافظة على هذه اللغة التى نعرف بها الدين ونقرأ بها القرآن الكريم .

- المحلات التجارية الكبرى والأماكن الراقية أو مدعية الرقى بأنشطتها المختلفة لابد أن تعنون بلغة أجنبية ، وتكتب اللافتات باللغات الأجنبية ، والبعض يكتب بالأحرف العربية بجوار الكلمات الأجنبية ، والبعض يهمل العربية تماما كى تصير اللغة العربية غريبة فى بلادها .

ومما يثبت أن هذا الاتجاه لتغريب اللغة العربية الفصحى عن أبنائها تتبناه بعض الدول العربية ، وأحزابها الحاكمة ، ففى مصر العربية ، رفع الحزب الوطنى الديمقراطى ، وهو الحزب الحاكم فى مصر ، شعارا باللهجة العامية الركيكة (مصر بتتقدم بينا) وجعلوه شعارا للمؤتمر العام التاسع للحزب ، وهذا المؤتمر هو الذى يحدد ملامح وسياسات الحكم فى مصر ، فهل أسقط هذا الشعار قناع الحكومة الزائف ، وأوضح أنها تخدم المصالح الصهيونية ، سواء كانت هذه الخدمات الجليلة عن قصد أو بدون قصد؟ عن علم أو عن جهل؟ أفلم يكن منهم رجل رشيد يرد الأمور لنصابها؟ . حزب يفشل فى صنع شعار ، كيف يؤتمن على حكم مصر وشعبها ويتحكم فى مصيرها ومستقبلها ؟!!

معول التفرقة بين الأشقاء ومؤامرة الشرق الأوسط الجديد:

أثناء الحرب التى شنتها إسرائيل على لبنان عام ٢٠٠٦ م ظهر واضحًا للعيان أنها كانت بأوامر أمريكية حيث حاولت إسرائيل وقف عملياتها الفاشلة وسحب قواتها المهزومة التى تتعرض للتدمير والقتل فى أراضى الجنوب. وهذا ما تقدر عليه إسرائيل بعدما فشلت فى الصمود أمام هجمات حرب العصابات التى شنها المجاهدون والمقاتلون بحزب الله وصدها، فهى لا تقاتل سوى العزل فى فلسطين وفى أى مكان تستعرض قوتها وترسانتها العسكرية على المدنيين والعزل من السلاح. إلا أن أمريكا كانت ترفض وتعترض على كل من ينادى بوقفها، وراحت وزيرة خارجيتها الصهيونية كونداليزا رايس تصف حجم التدمير الشامل الذى يصيب البنية التحتية فى بيروت عندما تعالت صيحات المجتمع الدولى بوقف المهزلة وتبرره بأن هذه آلام المخاض لولادة شرق أوسط جديد !!!

هذا هو الهدف قد انكشف وسقطت ورقة التوت فالتقسيم الجديد وفق خططهم موضوع على أساس عرقى ويعنى تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ، وهى كما وصفها السيد حسن نصر الله الذى نشيد ببطولته فى حربه ضد الصهاينة رغم اختلافنا المذهبى معه. إذ وصف خطتهم بأنها لن تبقى على دولة عربية كبيرة كبيرة، ولا دولة إسلامية غنية غنية، وتقوم آلية تنفيذ مؤامرة الشرق الأوسط الجديد على تطبيق نظرية الفوضى الخلاقة وهى من قاموس مصطلحات المصالح الصهيونية يحاولون فرضه على لسان أمتنا، كالإرهاب وتوفيق الأوضاع وتقارب الحضارات وملتقى الأديان، وما إلى ذلك من عبارات الضحك على الذقون.

ومهما كانت محاولات التنكر التى ينتهجونها أحيانا أو سياسة كشف الوجه التى ينتهجونها أحيانًا أخرى فإن الحقيقة باتت واضحة ولا تدع مجالا للشك، إن العدو الصليبى الصهيونى يبغى تقسيم الأمة، وإن كان قد نجح فى إسقاط الخلافة الإسلامية، ونجح فى التقسيم الجغرافى، فنسأل الله أن يلهم الأمة رشدها حتى ينزع الغل المزروع بين أبنائها، فتتحطم أسس الشقاق والتقسيم المزروعة فى جميع أوطاننا، فالتقسيم مذهبيا بالعراق، إقليم للشيعة فى الجنوب وإقليم للأكراد فى الشمال وعاصمته كركوك والأوسط للسنة وعاصمته بغداد، ثم تقسيم المملكة العربية السعودية إلى إقليم نجد

والمنطقة الغربية الغنية بالبترول لتكون تحت السيطرة والهيمنة الأمريكية تماما وبقوات عسكرية أمريكية تنتشر بكل منطقة الخليج المقسم تلقائيا إلى مجموعة من الإمارات التى لن تكون متحدة بعد ذلك أبدا، ثم إقليم الجنوب الذى يضم نجران وجازان وعسير ثم إقليم الحجاز ويضم العاصمة المقدسة مكة ثم الإقليم الشمالى (الشام السعودى) وعاصمته تبوك، كما ينفصل شمال اليمن عن جنوبه وتسيطر البحرية الأمريكية الإسرائيلية على شاطئ عدن للسيطرة على مضيق باب المندب، ثم انفصال الجولان تماما عن سوريا وضمها مع جنوب لبنان وسيناء لإسرائيل، ثم تقسيم مصر إلى إقليم شمالى ويضم الدلتا والقاهرة ومدن القناة شرقا وحتى الحدود الليبية غربا، وإقليم الدولة القبطية بالصعيد وعاصمتها المنيا أو أسيوط ويمتد حتى بلاد النوبة التى ستقتطع من جنوب مصر وشمال السودان وتستقل بلغتها وتنفصل عن العربية، أما السودان فسينفصل بعد ذلك إلى ثلاثة أقاليم الشمال ثم الجنوب الغنى بالبترول وفصل الإقليم الغربى دارفور، وقيل التقسيم إلى خمسة أجزاء وليس ثلاثة، ثم إقامة دولة الأمازيغ التى ستقتطع من الأراضى الجزائرية والمغربية وتنفصل بلغتها عن العربية أيضا . . . وذلك إلى آخر تقاليع الفُرقة والشقاق . .

إن فكرة تقطيع أوصال الوطن الإسلامى ليست بجديدة، إذ خرجت بها الكاثوليكية للمرة الأولى فى القرن الخامس الميلادى تحت نفس الشعار تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ، ثم كان التقسيم الذى وضع الحدود السياسية الجغرافية بيد الاستعمار الغربى، ثم ها هى المرحلة التالية من تقسيم العالم العربى بالشرق الأوسط الجديد، وهى لا تتأتى إلا بعد تهيئة كانوا قد مهدوا لها كثيرا أولا بإسقاط الخلافة الإسلامية التى تجعل للمسلمين حاكما واحدا وراية واحدة ثم باستخدام آلية الفوضى الخلاقة فقد زرعوا بذور الفتن والخلافات بين الإخوان والجيران وأبناء البلد الواحد (السنة والشيعة ـ السنة والسنة على أيهما الفرقة الناجية لتتفرق بين مدعى التمذهب ومدعى الانتماء للسلف ـ مسلمين وأقباط فى مصر ـ سنة وعلويين فى سوريا ـ عرب وأفارقة فى السودان ـ عرب وأمازيغ فى المغرب العربى ـ عرب وأكراد بالمشرق العربى وشماله . . . إلى آخر التقسيمات والتقليعات) .

زرعوا الفرقة والفتنة القديمة بين السنة والشيعة وراحوا يبحثون عن بواطن الخلافات التاريخية فيعمقونها ويبثون فيها سما جديدا، وفكرا حديثا حتى لا تبرد

جذوتها ويحتدم الصراع، وعندهم من كل فريق من هو منساق أو مضلل يردد عبارات زرعوها بين المسلمين فتسمع من يقول بأن الشيعة أخطر على الأمة من الصهاينة، وتسمع من يقول بأن ضلال السنى يساوى بينه وبين المغضوب عليهم والضالين، ولا يستمعون إلى العقلاء الذين يريدون أن يطفئوا نار الفتنة ويقومون بالتقريب بين المذاهب على أساس أن اختلاف الرأى والفقه لا يخرج أيًا منا من ملّة الإسلام. فيردون عليهم بأن النور والظلماء لا يلتقيان، وأن الحق والباطل لا يتفقان، والحقيقة أنه لا يلتقى نور الإيمان و ظلمة الكفر، ولكن بين السنة والشيعة الأمر ليس على هذا الشكل، فكلا الفريقين يرى أنه سوف يلتقى مع أخيه المسلم تحت راية الإمام المهدى المنتظر، سواء من رأى أنه لم يولد بعد أو أنه حى يرزق فى السرداب، فكل مسلم شيعى أو مسلم سنى يتمنى أن يلقى الله شهيدا وهو يجاهد تحت لوائه، فإذا اختلفنا اليوم فإننا سوف نلتقى ونتحد غدا تحت راية المهدى المنتظر جعلنا الله من جنده وأنصاره وارتضيناه قائدا وإماما.

وردعا لدعاة الفرقة بين المسلمين الأشقاء علينا أن نصغى لقول الله تبارك وتعالى فى محكم تنزيله : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾

[آل عمران: ١٠٣ : ١٠٥]

ثم لا يهدأ أعداء الإسلام من نفخ نار الفتنة فحسب بل يلجأون لأسلوب غاية فى الخسة إذ ينشئون بأنفسهم فرقًا وجماعات بأفكار ضالة ومضللة فتحمل مع معول النيل من العقيدة معول الشقاق فى نسيج الأمة، فهذه الأقليات تنخر كالسوس فى كيان المجتمع وتكون عونا عليتنفيذ مآرب الصهاينة الصليبيين، رغم ادعاء هذه الأقليات بأنهم جزء منا، ثم تدعم هذه الأقليات من قبل الصهاينة باسم حقوق الأقليات وحقوق

الإنسان، وما إلى ذلك من دعاوى فارغة وباطلة ومهما كانت هذه الأقليات قليلة العدد وتافهة الحال إلا أنها تجد أصداء إعلامية وأبواقا من سلاح الإعلام الموجه نحو نحورنا فيكون لها أثرها، والله غالب على أمره.

معول الفساد الإدارى وتفشى المظالم :

من العوامل التى تصيب الأمة بالوهن وتجعلها كالميت بين يدى مغسِّله، انتشار الظلم والفساد، وهما صنوان مرتبطان ببعضهما ارتباطا عضويا فكلما استشرى ظلم الحاكم تفشى الفساد فى الرعية، ولذلك يقوم الصليبيون الصهاينة بمساندة بعض أعوانهم لينقضوا على كراسى الحكم فى بلاد المسلمين، أو يستقطبون الحكام بمغرياتهم الموضحة ببروتوكولات حكماء صهيون، ويعاونونهم على الحفاظ على كراسيهم وعروشهم بالظلم ووسائل القمع والتعذيب، **ولا أقصد هنا دولة إسلامية أو عربية بعينها، ولا أقصد عصراً بعينه**، فكم من حكام ظلمة قد حكموا فى بلاد المسلمين، وقد بادت دولهم، ودلالة ظلم هؤلاء الحكام كما أخبرنا رب العزة فى محكم تنزيله أنهم كانوا لا يحكمون بما أنزل الله ووصفهم بالكفر والظلم والفسق وذلك فى أواخر الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٧ من سورة المائدة **﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**، **﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾** ثم يأمر فى الآية ٤٨ رسوله بأن يحكم بما أنزله الله عليه من الحق فى الكتاب من تشريع **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾** وهذا أمر لكل ولاة أمر المسلمين، ويقول ﷺ : «سيكون بعدى خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، ثم يؤمر بعده القحطانى، فو الذى بعثنى بالحق ما هو دونه»[1].

وهكذا وصف الرسول ﷺ تدهور أنظمة الحكم عبر الزمن، ومن الواضح أننا أصبحنا فى كثير من دول العالم الإسلامى فى مرحلة الجبابرة، الذين لا يتقون الله فى

---

(١) أخرجه الطبرانى عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه.

حكم شعوبهم، ولا يحكمون بما أنزل الله، بل يقفون حجر عثرة فى طريق الدعوة إلى الله وضد التيارات الإسلامية المستنيرة، وقد وصفهم ﷺ فقال : «ستكون أئمة من بعدى يقولون فلا يرد عليهم قولهم، يتقاحمون فى النار كما تقاحم القردة »[1].

الأمراء أو الجبابرة دائما ما يكون حولهم بطانة من أصحاب المراكز والمصالح والمنافقين، وقد جاء ذكرهم فى الأحاديث النبوية الشريفة : « ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصمه الله» [2].

« ما بعث الله من نبى، ولا كان بعده من خليفة، إلا كان له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا، فمن وقى بطانته السوء فقد وقى»[3].

«إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. . . » [4].

يقول ﷺ : « اسمعوا، إنه سيكون عليكم أمراء، فلا تعينوهم على ظلمهم، ولا تصدقوهم بكذبهم، فإنه من أعانهم على ظلمهم وصدقهم على كذبهم فلن يرد الحوض» [5].

ويقول ﷺ : « اسمعوا، هل سمعتم إنه سيكون بعدى أمراء، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منى ولست منه، وليس بوارد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم، فهو منى وأنا منه، وهو وارد علىّ الحوض »[6].

---

(١) أخرجه أحمد عن عمار رضى الله عنه.

(٢) أخرجه البخارى وأحمد والنسائى عن أبى سعيد رضى الله عنه.

(٣) أخرجه النسائى عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه.

(٤) أخرجه أصحاب الكتب الستة هن عائشة رضى الله تعالى عنها وأرضاها.

(٥) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وأبو يعلى والطبرانى عن ابن عبد الله بن خباب عن أبيه رضى الله عنهما.

(٦) أخرجه الترمذى وابن حبان عن كعب بن عجرة رضى الله عنه.

الحكام الظلمة يستأثرون بأموال الشعوب ويتحكمون فى أرزاقهم ويكذبون عليهم بالتصريحات الكاذبة والوعود الجوفاء يسيرون بالناس فى طريق لا يؤدى إلا إلى اضطرارهم لأكل الحرام من رشوة واختلاس وارتكاب الفواحش فينتشر التبرج والفجور وخلافه، فينهار الجانب الأخلاقى من التديُّن، وتنتشر بيئة الفساد والإفساد وتختفى بيئة التدين وقيمه. ويتصور هؤلاء الحكام أن ولاءهم للنصارى الصهاينة سيثبت عروشهم، ينقلها آمنة مطمئنة لأبنائهم من بعدهم، وربما يتصورون أنها تحميهم من عذاب يوم عظيم. فأنصح هؤلاء الحكام برفع الظلم عن الناس، وأول ظلم يرفعونه هو أن يحكموا بما أنزل الله قبل أن يحاسبوا على ذلك.

وعلينا نحن عامة المسلمين: أولا: عدم طاعة الجبابرة فى معصية الله، وإن تعرض المرء للأذى. ثانيا: عدم الرضا عن عملهم بالقلب. ثالثا: عدم مساعدتهم على ظلمهم بالعمل لحسابهم. النصيحة. قال صلى الله عليه وسلم: «إنما الدين النصيحة» «قالوا لمن يا رسول الله؟، قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.»[1]

وسأل رجل النبى ﷺ وقد وضع رجله فى الغرز: «أى الجهاد أفضل؟» فقال له ﷺ: «كلمة حق عند سلطان جائر»[2].

قال ﷺ: «يكون عليكم أمراء تطمئن إليهم القلوب وتلين لهم الجلود، ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر منهم الجلود». قيل: «أفلا نقاتلهم يا رسول الله؟» قال: «لا ما أقاموا الصلاة!».

ومن أعتى مظاهر ظلم الحاكم أن تتعامل دولته مع مواطنيها بالربا، وتسمح بتداوله، وقد أنزل فيه رب العزة: **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)**

---

(١) أخرجه الخطيب عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) أخرجه النسائى عن طارق بن شهاب رضى الله عنه.

إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) ﴾ [البقرة: ٢٧٥ـ٢٧٩].

ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، ولا تعليق حيث لا بيان أوضح مما سبق من آيات الذكر الحكيم.

ومن أبشع أعمال الحكام الظلمة انتشار الرذيلة والفحشاء في عهودهم، ونجد هؤلاء الحكام يعاونون أهل الفجور وأهل الرذيلة والاختلاس، ويرفعونهم لأعلى المناصب والمراتب لأنهم سوف يقاسمونهم فيما نهبوه من الشعب، وقانا الله سبحانه وتعالى من بطش هؤلاء الحكام الظلمة.

معول إفساد الدعوة والدعاة

إن سر بقاء هذه الأمة صامدة أمام أعدائها قرونا طويلة، حيث إن الإسلام حورب منذ أن بعث الله نبيه ورسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، هو ما أودعه الله فيها من شيء جعلها خير أمة أخرجت للناس، فيقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فمادام فينا من يأمر بالمعروف فلن تنكسر شوكة هذه الأمة مهما لاقت من عثرات، ولذلك يسعى أعداء الإسلام إلى إنقاص العلماء العاملين وظهور الجهال والدجالين. ويقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهّالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[1].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

ولذلك نجد أن وسائل الإعلام والفضائيات المأجورة تحجب الكثير من علماء المسلمين (عمدا أو جهلا) عن دائرة الضوء الإعلامية، وتترك الساحة للعديد من المدعين إلا من رحم ربى، الذين يثيرون القضايا الجدلية والخلافية ليشغلون الرأى العام ربما بأمور تافهة، وكثيرا ما يبينون للرأى العام أن هناك خلافات حول كل مسألة، حتى ولو كانت بديهية أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة، ويتيحون مساحات زمنية من الإرسال لهؤلاء الذين يفتون بغير علم مثلما أخبرنا الحديث الشريف، وصدق أو لا تصدق أن إحدى القنوات الفضائية المصرية قد قدمت فى رمضان هذا العام ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧م أحد هؤلاء ممن فتحت لهم بعض الصحف ووسائل الإعلام ذراعيها ليكتب بعض خباله وهذاياناته، أو قل: بعض نوبات تبولّه اللاإرادى، ويقدمونه باسم المفكر الإسلامى الكبير، وهذا من باب التدليس والتمويه على الناس، وصدق أو لا تصدق أنه أفتى (هدّه الله) بأن شرب السجائر والدخان لا يفطر إذا ما تعاطاه المرء فى نهار رمضان! فقلت هذا الرجل يهد حُسْنَ بنَاء أخيه رحمه الله، ولا أظن أبدًا أن أى مسلم مهما قلّت بضاعته فى الدين ومهما تضاءَلت معلوماته أن يصدق هذا الهراء، ولكن ما صدمنى أنى وجدت فى صباح اليوم التالى كثيراً من الناس يدخنون وهم يظنون أنهم صائمون، استناداً إلى هذه الفتوى المضللة، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اللهم أنر بصيرة عبادك، وأهلك الظالمين بالظالمين، واجعلنا منهم سالمين يا رب العالمين.

وهكذا فإن وسائل الإعلام تركز على هؤلاء الذين لا يفقهون حديثا، وتقدم أيضا من لا يحسنون حتى التحدث باللغة العربية الفصحى، فيعظون الناس أو يفتونهم باللهجة العامية، فيصنعون منهم نجوما للدعوة ,فيحدثون الناس باللهجة العامية أو بلغة سوقية ركيكة لا تليق بحديث العلم والدين. وأنصح هؤلاء النجوم هداهم الله وهدى بهم، لأن الله تبارك وتعالى أبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فجعل لهؤلاء الدعاة جمهورهم ودور هم فى الدعوة لطريق الصلاح والصلاة، وصار لا ينكر ذلك إلا جاحد، وإنى لهم ناصح ولست بجاحد، فأنصحهم أن يتقنوا اللغة العربية الفصحى، فالدين يسمو بالعوام، ولا يهبط العوام بحديث الدين ولغته. خاصة فى ظل محاربة الفصحى، فلا بدّ للدعاة والمتحدثين باسم الدين أن يلتزموا بالفصحى ويحسنوها، وهم القدوة التى أمام الناس.

كما تفتح وسائل الإعلام أبوابها لعلماء السلطة، أو علماء الولاء الذين باعوا دينهم واشتروا به الدنيا فكانوا طوع إشارة الحكام، يحلون لهم الحرام، ويحرمون الحلال، وينكرون على العلماء العاملين. وعلماء السوء يقولون ولا يفعلون، ويستحلون ما يحرمونه على الناس.

إن أعداء الإسلام يحاولون أن يثيروا البلبلة ويجعلوا الفهم الخاطئ للإسلام هو السائد، حتى يصبح اللبيب حيرانَ، ويزهد الناس فى الدين والتدين.

معول تخريب التعليم ومناهجه الدراسية

ما كان للصليبية الصهيونية أن تحقق أى نجاح فى مضمار إفساد التعليم ببلاد المسلمين إلا من خلال عملاء لهم أو أشخاص مضَلَّلين بشعارات غربية، ويتمكنون من خلال توليتهم أمر التعليم فى بلاد المسلمين من إحداث هذا الإفساد، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، ويعملون تحت راية أو شعار تطوير التعليم والارتقاء بالمناهج الدراسية كى تواكب تطورات العصر الحديث، ومعظم هؤلاء قد تم جلبهم ومنحهم الشهادات والإجازات من المؤسسات الصليبية الصهيونية، ويتقاضون من وزارات التربية والتعليم رواتب شهرية خيالية بالدولار الأمريكى، ونمى إلى علمى أن بعضهم قد غير اسمه أو اسم أبيه العربى إلى اسم أجنبى كجورج أوكوجك!!

والتطوير فى الحقيقة مطلب إسلامى وما من عاقل يأبى التطوير، ولكن ما يحدث تحت ستار التطوير تخريب متعمد فيما يزرع فى عقول أبنائنا من مفاهيم عن العقيدة والدين والأخلاق والتاريخ، فقد تم حذف الآيات التى تحث على الجهاد والقتال فى سبيل الله من المناهج الدراسية فى كثير من البلاد الإسلامية، وكذلك الأيات التى تتناول طبيعة اليهود وكفرهم برسالة نبى الإسلام ودعوته، و الأحداث التاريخية كالغزوات والحروب التى خاضها الرسول والمسلمون ضد الكفار والمشركين ومن حاربوا الله ورسوله، خاصة غزواته صلى الله عليه وسلم ضد اليهود والأحداث التى تبين نقضهم للعهود وخسة طباعهم، أو تزييف التاريخ وتحليل أحداثه بشكل مخالف للواقع، كإظهار الحملة الصهيونية الصليبية المللينية لنابليون بونابرت على أنها حملة

ترفع مشاعل التنوير الغربى لتنير ظلمة الحضارة العربية والإسلامية، وأخفوا أن هدف الحملة الأول كان لإقامة دولة لليهود فى فلسطين كما أوضحنا سابقا.

كما لا يخفى على أحد ما يحدث فى مصر من حملة لتحقير الدراسة باللغة العربية، والترويج لعلو شأن الدراسة باللغات الأجنبية لأبناء المسلمين، وفتح المجال حتى فى الدراسة الجامعية للجامعات الأجنبية كالجامعة الأمريكية والبريطانية والفرنسية والألمانية والكندية، ورفع شأن المتخرج منها وفتح أبواب العمل له مع التحقير من شأن المتخرج من الجامعات المصرية العريقة كجامعة الأزهروالقاهرة وعين شمس والمنصورة وطنطا وأسيوط. . . . إلخ جامعاتنا التى تخرج منها علماء الأمة ونوابغها.

أما عن مادة التربية الدينية وإهمال تدريسها وكيف تتحول حصصها فى كثير من مدارسنا إلى حصص لمواد أخرى كالكيمياء أوالفيزياء أوالجغرافيا فحدث ولا حرج. . . كما أن المنهج نفسه هزيل ولا يقوى على تنشأة أجيال يمثل الدين عنصرا جوهريا وأساسيا فى تشكيل سلوكها وقيمها الأخلاقية كما هو واجب أن يكون.

أما عن التعليم الأزهرى فيمر الآن بمنعطف خطير جدا، يدفعه إلى الإنقراض، إذ يتم تجفيف منابع التعليم الأزهرى فمنذ القبول بالمرحلة الإبتدائية يتقلص عدد المقبولين به إلى ثلاثين طالب فقط، ويبيح لهم الأزهر التسرب منه إلى التعليم العام فيجوز التحويل من التعليم الأزهرى إلى التعليم العام بينما لا يجوز تحويل أى طالب من التعليم العام إلى التعليم الأزهرى مهما كان تميزه أو تفوقه أو استعداداته. وفى المرحلة المتوسطة أو الإعدادية لا يجوز قبول أى طلاب جدد يحملون الابتدائية العامة مهما كان مجموع درجاتهم وتفوقهم فلا بد من الإبتدائية الأزهرية كشرط أساسى للقبول، وهكذا الحال فى التعليم الثانوى والتعليم الجامعى لا يحظى به إلا الأزهرى بينما كان النظام السابق يسمح بالتحاق طلاب التعليم العام بالتعليم الأزهرى بعد اجتيازهم لاختبار قدرات خاص من خلال حفظ القرآن الكريم، وعلى ساحة الدعوة الآن عديد من العلماء الأفاضل من خريجى كليات الشريعة والقانون قد التحقوا بهذه الكلية بعد إتمامهم الدراسة الأكاديمية العادية بكليات الطب والعندسة والتجارة من جامعات القاهرة وعين شمس وغيرها. ولكن هذا الباب الطيب الذى يتيح معرفة الدين على أسس سليمة وقويمة قد أغلق أمام طلاب العلم من المسلمين، وإنى من خلال هذا

الكتاب أناشد القائمين على الأزهر الشريف أن يعيدوا النظر فى هذه اللوائح فحجب العلم الشرعى وتعلمه لا يفيد غير أعداء الدين.

معول تفشى الفساد وانتشار مظاهره

إذا كان أعداؤنا من الصليبيين الصهاينة يسعون لهدم الشريعة والدين، فلا بد أن يحاربوا بيئة التقوى والصلاح التى تجعل المسلم ملتزما بمنهج الله القويم ويجعل الفتاة المسلمة ملتزمة بزيها الذى أمرها الله به، لذا يحاربون حتى المظهر الإسلامى، فإذا ما ارتدت إحدى مذيعات التلفاز الحجاب صونا لنفسها وعملا بشرع ربها، حرمت من الظهور على الشاشة بحجابها، لأن فى ظهورها دعاية للمظهر الإسلامى وهذا المظهر الإسلامى يقضّ مضاجع أعداء الإسلام، كما تُمنع الفتاة المنقبة من دخول الحرم الجامعى فى بعض الدول الإسلامية ومنهم مصر، بينما تتفتح جميع الأبواب للمتبرجات والسافرات وأشباه العاريات.

وفى شركات الطيران لبعض الدول الإسلامية ومنهم مصر تشترط على العاملين بالضيافة لديها أن يحملوا الخمور ويقدموها للركاب وهذا شرط للتعاقد معهم بعد القضية المشهورة التى أنصف فيها القضاء المصرى بعض العاملين بمصر للطيران من طيارين ومضيفين رفضوا حمل الخمور وتقديمها للركاب المسافرين على رحلاتهم.

فى مارس ١٩٧٩م تم توقيع اتفاقية السلام بين مصر والكيان الصهيونى إسرائيل فى واشنطن، وقد نصت المادة الثالثة من بنود الاتفاقية فى الملحق رقم ٣ : يتفق الطرفان على إقامة علاقات ثقافية عادية بعد إتمام الانسحاب المرحلى. ثانيا : يتفق الطرفان على التبادل الثقافى فى كافة الميادين. وقد بدأت أولى مبادرات التطبيع فى المجال السينمائى بسيل من زيارات نجوم السينما العالمية ومشاهير الغناء وجميعهم من النصارى الصهاينة المؤيدين لإسرائيل، والذين شملتهم قوائم المقاطعة العربية مثل إليزابيث تيلور وفرانك سيناترا وغيرهم[(١)].

(١) حازم هاشم : المؤامرة الإسرائيلية على العقل المصرى (أسرار و وثائق) دار المستقبل العربى ١٩٨٦م.

وفى مهرجان القاهرة السينمائى من نفس العام ١٩٧٩م وفى ليلة الافتتاح كان أعضاء الوفد الإسرائيلى حاضرين لأول مرة ضمن وفود الدول المشاركة بالمهرجان، وعندما صعدت إليزابيث تيلور إلى المسرح لتحيى الجماهير هتفت بالعبرية «شالوم».

وعند عرض أول فيلم سينمائى إسرائيلى فى مصر كان بهذا المهرجان يوم الأربعاء ٢٦ أغسطس بفندق شيراتون القاهرة، والفيلم بعنوان « ساخنة جداً حتى يصعب السيطرة عليها » أخرجه دون شى، بطولة أهارونا إمبالى عضو الوفد الإسرائيلى بالمهرجان، ولم يقبل على العرض إلا رواد الفندق والأندية الليلية، وذلك لأن الفيلم كان جنسيا خالصا مما لا يسمح بعرضه فى مصر، وعلى الرغم من أن مدير الرقابة المصرى وقتها « سامى زقزوق » لم يصرح بعرض الفيلم للجمهور، وأفاد بإمكانية عرضه على النقاد فقط، ولكن المنتج والموزع النصرانى الصهيونى المصرى تاكفور أنطونيان كان متحمسا لعرض الفيلم للجمهور، ووقف على الباب يستقبل الحضور، وهكذا لم تضيع إسرائيل أى فرصة ولو ضئيلة جدا لتبث سمومها بالجنس باسم الثقافة، أو هكذا بدأ التطبيع والتبادل الثقافى بداية ساخنة جداً حتى يصعب السيطرة عليها.

معول العولمة وطمس الهوية والانتماء للدين أو الوطن :

لقد أصبح العالم اليوم بفضل التقدم التقنى العالى فى علوم الاتصال قرية صغيرة فعلا، فدبيب النملة فى نيكاراجوا يُسمع صداه فى الصين، وفى هذا العالم الصغير تتحد المؤسسات الصناعية الكبرى باختلاف جنسياتها لتكوّن تكتلات اقتصادية عملاقة، فى سوق يأكل فيه الكبير كل صغير، وتحاول التكتلات الأوربية أن تقف أمام أو مع التكتلات الأمريكية ليتقاسم الغرب مصالحه فى عالم له قطب واحد محكوم بقبضة واحدة، وتسيره أيدلوجية واحدة، وتطمس جميع أشكال الحياة الإقليمية الأخرى، فلا مكان فى عصر العولمة لنزعة قومية أو انتماء لعقيدة أو لدين، ولا انصياع لأى شريعة أو أى تشريع، فأيدلوجية العولمة صهيونية نصرانية متعصبة، ولن يكون فيها غير النموذج الغربى أوتحديدا النموذج الأمريكى للحياة ولا يوجد أى نموذج آخر

معتمد للبقاء، من ملبس ومأكل وطريقة للحياة، بل قل ما هو أكثر من ذلك، وهو تقارب المفاهيم والقيم التى يحيا بها الفرد والمجتمع، ولن يفرض هذا النموذج على الناس عنوة، ولكن الطريقة التى يعرض بها تحدث إبهارا لدى ضعاف النفوس والبسطاء، فيقلدون الحياة الغربية، ويحذرنا رسولنا الكريم فى حديثه الشريف إذ قال صلى الله عليه وسلم : «لتتبعن سنة من كان قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم»[1] .

قلنا : «يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟»

قال : «فمن ؟»

وليس تقليد هؤلاء اليهود والنصارى فى موضات الملابس التى يهرع إليها الغافلون عن قضيتهم، ولكن الخطورة كل الخطورة فى التلوث الذهنى واختلاط المفاهيم واختلال النسق القيمى عند كل من الفرد والمجتمع، ذلك هو جحر الضب فقد حدثنى أحد مخططى الإعلام الأمريكيين وكان فى زيارة لمصر لجمع بيانات واستبيانات عن أثر المسلسلات الأمريكية على مشاهدى الشرق الأوسط، أنهم يعدون لمسلسل طويل اسمه الجرىء والجميلات، يتوقعون له أن يحقق أكبر درجة مشاهدة لما فيه من مغريات لا يستطيع المشاهد المصرى - على حد قوله - أن يقاومها، وقال لى متحديا : أتحداك ألا تراه، وقد قبلت التحدى، ولم أشاهده طبعا، ولكن بعض الملابسات قد ساقت لى مشاهدة بعض الحلقات المتفرقة، كنت أراها عندما أكون ضيفا عند أحد الأصدقاء، أو أثناء انتظار دورى فى صالون الحلاقة أو ما شابه، وقد روعتنى ردود أفعال أصدقائى المشاهدين، ففى أول حلقة أشاهدها، وكنت ضيفا عند جار لى، كان المشهد فى غرفة ولادة، وقد أدخل الطبيب القائم بالولادة زوج المرأة التى تلد، ليقف بجانب زوجته ويمسح عرقها ويربت عليها ويمسك يدها كى يخفف عنها آلام المخاض، فتشكره وهى ممتنة قائلة له : يا زوجى الحبيب كم كنت أتمنى أن يكون الطفل الذى ألده ولدك أنت، ولكنى أعلم أنك ستحبه على أية حال. فانتفضت صارخا فى جارى، ما هذا الذى تشاهده أنت وأولادك، ألم يفزعكم قول هذه الزوجة لزوجها، فأجابنى

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد رضى الله عنه.

الحضور، إنهم أجانب، وهذه حياتهم، نعم. . . هذه حياتهم وتلك قيمهم فلماذا ندخلها فى بيوتنا ؟ . . . ونجعل أبناءنا يعتادون على سماع تلك العبارات حتى إنها لم تستوقفهم، وصدق أو لا تصدق لقد رأيت فى هذا المسلسل، إحدى السيدات متزوجة بأحد شخوص الرواية، وبعد عدة حلقات وجدتها زوجة لأخيه، وفى حلقة أخرى قد استقر بها المقام بأن أصبحت زوجة أبيهم. . هكذا تداولتها الأسرة جميعا، ولا أدرى بمن تزوجت فى الحلقات التى لم أشاهدها، ولله الأمر من قبل ومن بعد ! . .

هكذا وبشىء من التدريج يجعلوننا نشاهد هذه القيم المختلة ثم نألفها ثم لا نتعجب من وجودها فى بيئتنا، تماما كمن يمشى متأبطا فتاة فى الشارع، كان هذا المنظر مرفوضا فى شوارع القاهرة، وكان الأجانب الذين يفعلون ذلك محل استهجان من المصريين باختلاف دياناتهم، فقيم المجتمع رافضة لذلك المنظر الذى وجدته اليوم مألوفا فى بعض أحياء القاهرة التى يسمونها الراقية وفى وسط المدينة. وأذكر أبياتا قد ارتجلها شيخنا ووالدنا محمد نجيب المطيعى على المنبر حين صارت موضة إطالة شعر الشباب وارتداء الملابس الصالحة للجنسين :

إنى لأعجب حين يملؤنى الأسى	من صاحبين على المجون تمرسا
ذكر وأنثى فى الطريق أراهما	متماثلين من الفضائل أفلسا
لا يستطيع المرء كشف مميز	مهما تفرس فيهما وتفرسا
لبست سراويل الرجال خلاعة	واختار أزياء النساء مخنثا
سارا على درب الخنافس منهجا	مستقبحا فتخنفست وتخنفسا

أما عن سياسة التدرج فهى دائما إلى هبوط، فقديما كانت هناك نظارة الجهاد أو وزارة الجهاد (الجهادية) ولأن لفظ الجهاد يقض مضاجع الصهاينة، فقد تغير اسمها إلى وزارة الحربية، فحروبنا من أجل القومية العربية والوطنية وما شابه، ثم تغير اسمها إلى وزارة الدفاع، فلسنا دعاة حرب، ولا نستطيع أن نشترى صواريخ كورية، أو أى أسلحة يمكنها أن تهاجم، وإلا سنكون محل مساءلة من قادة النصارى الصهاينة، رغم

أن القاعدة العسكرية تقول إن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم، وفى نفس الوقت تغير إسرائيل أيضا اسم وزارتها من وزارة الدفاع إلى اسم (وزارة الحرب)، هكذا تتغير موازين القيم، وتختلف المفاهيم، على يد من قدّر لنا الله أن يكونوا حكامنا، فاللهم أصلح أحوالهم.

وبفضل العوامل الاقتصادية والسياسية فى بلادنا التى شهدنا نضال آبائنا وأجدادنا لاستقلالها، نجد اليوم شباب هذه البلاد، وقد طمست هويته - إلا من رحم ربى - وصار لا يبالى لما يحدث لبلاده، ويسافر بحثا عن لقمة العيش فى إسرائيل، ولا يخفى على أحد بعد أن قدم لنا أحد الإعلاميين البواسل، حلقات عن المصريين الذين يعملون فى إسرائيل، بل والذين باعوا آخرتهم بدنياهم فما ربحت تجارتهم فتجنسوا بجنسية أخس وأحقر أجناس الأرض وأصبحوا إسرائيليين. فهؤلاء وأمثالهم، نسوا قضيتهم واستغرقوا فى ذاتيتهم، وشغلتهم أنفسهم عن قوميتهم، وعن منهج المسلم فى الحياة، فهؤلاء وأمثالهم، من هم على شاكلتهم ومن لم يغضب لشنيع فعلتهم أذكرهم بقول الله تبارك تعالى فيما أنزله فى كتابه لنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]

وبقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾ [الممتحنة: ١].

معول التضليل المسمى بالتبشير:

منذ أضاء الله الدنيا بنور الإسلام، وامتد هداه على الأرض من أقصاها إلى أقصاها، وكانت دولة الإسلام تشمل كل بقاع الأرض، وأيادى الحاقدين والمشركين واليهود والنصارى وجميع الكافرين تدك بمعاول الهدم التى ذكرنا أهمها وأعمقها أثرًا، كل هذه المعاول مع العديد من الظروف الأخرى قد أدت إلى إضعاف الدولة الإسلامية

حتى انهارت الخلافة الإسلامية العثمانية، بفعل العملاء الصهاينة كلورانس العرب وغيره ممن صاحبوا قواد الحركات التمردية المسلحة ليقطعوا أوصال الكيان الإسلامى وتحويله إلى مجموعة من الإقليميات، نفس نظرية تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ، حتى أصاب الفقر ربوع معظم البلاد الإسلامية بعدما تحولت لمناطق صغيرة محدودة الموارد لا تتكامل مع بعضها، ومع استمرار معاول الهدم كانت هناك يدان تمتدان للفقير واحدة تحمل المال والثانية تقلده الصليب، وفى بعض البلاد الإفريقية لابد للطفل المسلم الذى يريد أن يلتحق بالتعليم أن يغير اسمه إلى جورج أو ميشيل أو أى اسم نصرانى، ويدرس فى الكنيسة النصرانية الصهيونية، ومن هؤلاء بعض لاعبى الكرة المشهورين أمثال جورج الحسن، وغيره.

إن الإسلام بإفريقيا وآسيا فى خطر شديد، فمعاول التنصير تعمل بجد ونشاط وها هى إحصائية عن نشاط التبشير الخاص بالنصارى الصهاينة فى بلاد المسلمين. وقد وقعت فى يدى النشرة الدولية لبحوث الإرساليات التنصيرية لعام ١٩٩١م وبها هذه الإحصائية [1]:

* عدد مؤسسات التنصير وإرسالياته ووكالات الخدمات النصرانية ١٢٠٨٨٠ مؤسسة.

* المعاهد التى تؤهل المنصرين وتدربهم بلغ عددها ٩٩٢٠٠معهد.

* المنصرون المحترفون على رأس العمل التنصيرى يبلغ تعدادهم ٤٢٠٨٢٥٠ منصرا.

* أجهزة الحاسوب بمؤسسات التنصير ٨٢ مليون جهاز.

* عدد المجلات التى تصدرها المؤسسات التنصيرية ٢٤٩٠٠مجلة.

* عدد الكتب التى تصدرها هذه المؤسسات فى عام واحد ٨٨٦١٠ كُتُب.

* محطات الإذاعة والتلفاز التى تبث التنصير عددها ٢٣٤٠ محطة.

* نسخ الأناجيل التى وزعتها مجانا فى عام واحد ٥٣ مليون نسخة.

---

(١) الشيخ عبد الودود شلبى : الأزهر إلى أين ؟. دار الاعتصام. ١٩٩٢

* المدارس ورياض الأطفال التى تشرف عليها كنائس التنصير تبلغ ١٠٦٧٧ مدرسة.

* الطلاب الذين يدرسون فى هذه المدارس الكنسية ٩مليون طالب.

* المستشفيات المملوكة لكنائس التنصير ١٠٦٠٠ مستشفى.

*دور إيواء العجزة والأرامل والأيتام التابعة لها ٦٨٠ دارا.

* عدد الصيدليات المملوكة لهذه الكنائس ١٠٠٥٠ صيدلية.

* ميزانية خدمة المشاريع النصرانية ١٦٣ مليارددولار أمريكى.

* دخل الكنائس العاملة بالتنصير ٩٣٢٠ مليار دولار أمريكى.

* دخل الإرساليات الأجنبية ٨٩٠٠مليار دولار أمريكى.

* التبرعات المقدمة للكنيسة فى عام ١٩٩٠فقط ١٥٧ مليون دولار أمريكى.

هذه الأرقام والإحصائيات تمثل التحديات التى تواجه الأزهر الشريف فى وجه تأدية دوره

وصدق أو لا تصدق أن هناك مركز للتبشير النصرانى الصهيونى فى مصر، مصر بلد الأزهر وبلد الأرثوذكسية القبطية، هناك من يروج للنصرانية الصهيونية، ويحرمون على النصارى صلاة يوم الأحد، فالصلاة عندهم يوم السبت، ويقومون بتوزيع المنشورات والمطبوعات على الناس، ويقومون بنشاط تبشيرى واسع معتمدين على حاجة ضعاف النفوس للمال، فيبيعون آخرتهم بدنياهم، أو يغيرون كنيستهم إلى السبتية الصهيونية، وإلى القارئ أقدم بعض نماذج من مطبوعاتهم الدورية التى يدسون فيها زعاف سمومهم، فيبلبلون الأفكار، ويستدرجون السذج، أو المحتاجين إلى المال حتى يدخلوا فى ملتهم وبعدما أحوجهم الفقر على هذا التصرف.

معول القضاء على نوابغ الأمة وعلمائها:

ولأن الحملة الصهيونية الصليبية حملة بغى وعدوان، فكما تقوم بالتدمير غير المباشر لشباب الأمة وسلوكه وعقيدته تقوم بأسلوب القتل والتصفية الجسدية لنوابغ الأمة،



الملك الألفي

بداية الألف سنة

١- غاية الضربات السبع الأخيرة.
٢- مجيء المسيح ثانية.
٣- إقامة الموتى الأبرار.
٤- هلاك الأشرار وتقييد إبليس.
٥- صعود الأبرار إلى السماء.

نهاية الألف سنة

١- نزول المسيح والقديسين.
٢- نزول المدينة المقدسة.
٣- إقامة الموتى الأشرار.
٤- حل إبليس.
٥- هلاك الأشرار.

نهاية العالم

١٠٠٠ سنة ما بين القيامتين
على الأرض : الشيطان مقيد، والأشرار أموات
في السماء : القديسون يساعدون في إدانة الأشرار

الأرض الجديدة والأبدية

الألف سنة هي الفترة الختامية لأسبوع الله الزمني العظيم – سبت راحة عظيم من ألف سنة للأرض ولشعب الله بعد تاريخ البشر الذي يطول ستة آلاف سنة تقريبا. يأتي هذا في إثر عصر الإنجيل ويسبق تأسيس مملكة الله الأبدية على الأرض. وهو يضم ما يدعى في الكتاب المقدس «يوم الرب» ... وهو محفوف من كلتا طرفيه بقيامة. تتميز بدايته بانسكاب الضربات السبع الأخيرة، مجيء المسيح ثانية، قيامة الموتى الأبرار، ربط إبليس، وانتقال القديسين إلى السماء. كما تتميز نهايته بنزول أورشليم الجديدة مع المسيح والقديسين من السماء، قيامة الموتى الأشرار، فك إبليس، وهلاك الأشرار الأخير.

وأثناء الألف سنة تبقى الأرض خربة، ويحصر إبليس وملائكته فيها. أما القديسون فيجلسون مع المسيح لمحاكمة الأشرار، استعدادا لعقابهم النهائي. حينئذ يقوم الموتى الأشرار، ويُفك الشيطان إلى حين، ويقوم هو وجند الأشرار بمحاصرة معسكر الأبرار والمدينة المقدسة. فتنزل نار من عند الله من السماء وتلتهمهم. وتتطهر الأرض بنفس النار التي تفني الأشرار، وتصير الأرض المجددة موطن القديسين الأبدي. الملك الألفي هو أحد «الأمور الآتية». وتكون نهايته علامة على حالة الأرض الجديدة.

هوذا يأتي

٤٠

[ا]لمستقبل حقائق عن المستقبل حقائق عن المستقبل

[illegible]... اتساع ثقب طبقة الأوزون — حرائق وانقلاط ... مرض الإيدز

[خوف] من المستقبل ... الإرهاب — ذعر ورعب ... نهاية العالم

[illegible] جانب ... زلازل — موت الأطفال جوعاً في أفريقيا

[كارثة] مناخية ... كوارث فيضانية — هروب جماعي ... حروب أهلية

هذا كله يؤثر على الجميع! هل تود أن تعرف ما سيحدث بعد ذلك؟ إذن تابع قراءة هذه المقالة!

المستقبل [بدون] أوهام

في السنوات الأخيرة شهد العالم كوارث الواحدة تلو الأخرى. فتتابع الجفاف والفيضانات والأعاصير والزلازل المدمرة في تعاقب مستمر. خسر الآلاف حياتهم من جراء الفيضانات الكثيفة على الأرض وفي البحر وفي الجو، وبينما يموت ملايين آخرون من الجوع، تعاني الكثير من البلدان من الإفلاس والعجز عن تسديد ديونها. الحروب والتمردات القومية والانفجار السكاني والدمار المستمر للبيئة - كلها تجعل الناس ينظرون بخوف إلى المستقبل. والكتاب المقدس يتنبأ عن العديد من هذه الأحداث بوضوح (متى ٢٤: ٤-١٣؛ لوقا ٢١: ٢٥-٢٨؛ رؤيا ٩: ١٢-١٧؛ ١٦: ١٢-١٨). قد حذر الله العالم دائماً من الأحكام الآتية عليه، التي حلت بالبشرية لإثمه (إشعياء ٢٤: ٥-٢٠؛ ٦٣: ٩-١١؛ عاموس ٣: ١٧ رؤيا ١: ١).

دروس من الماضي

مثلاً، أبلغ الله نوحاً بمجيء الطوفان، وإبراهيم ولوطاً بالدمار المستقبلي لمدينتي سدوم وعمورة، وموسى بضربات مصر. ولقد سُجلت لنا هذه الأحداث اليوم كإنذار لمساعدتنا على فهم أن كل النبوات المسجلة في الكتاب المقدس قد تمت تماماً وستحدث في المستقبل. (١كورنثوس ١٠: ٦-١١؛ ٢بطرس ٢: ٥-٩؛ عبرانيين ٤: ١١). لذلك نجد رسالة الله التحذيرية العاجلة للجيل الأخير، متمثلة في

رسالة الملائكة الثلاثة

التي نجدها في رؤيا ١٤، مكتوبة بقلم يوحنا الرائي. هذا هو النداء الأخير الذي فيه يدعو الله كل الناس قبل المجيء الثاني ليسوع المسيح كملك وديان. وهو يحتوي على أخطر إنذار يمكن أن تجده في الكتاب المقدس من أحكام الله القادمة:

١- «خَافُوا اللهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ دَيْنُونَتِهِ، وَاسْجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَيَنَابِيعِ الْمِيَاهِ».

٢- «سَقَطَتْ! سَقَطَتْ بَابِلُ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ، لأَنَّهَا سَقَتْ جَمِيعَ الأُمَمِ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ زِنَاهَا!».

٣- «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْجُدُ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ، وَيَقْبَلُ سِمَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، فَهُوَ أَيْضًا سَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ اللهِ، الْمَصْبُوبِ صِرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ أَمَامَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ. وَيَصْعَدُ دُخَانُ عَذَابِهِمْ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. وَلاَ تَكُونُ رَاحَةٌ نَهَارًا وَلَيْلاً لِلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ يَقْبَلُ سِمَةَ اسْمِهِ» (رؤيا ١٤: ٦-١١).

هذا الإنذار ذو أهمية قصوى [illegible] خاص! لكن كيف نتجنب [illegible]



هـوذا يأتي

هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ «رؤيا ١:٧»

كلمة عن هذه النشرة

توجد عشرات من الهيئات الكنسية المختلفة في العالم، وجميعها تزعم أنها تؤمن وتعلّم بالإنجيل، ولكل منها تعاليم مختلفة، ومعظمها تعلّم بتقاليد بعضها من صنع البشر.

لقد اجتهد المجلس العالمي للكنائس وغيره من الهيئات الكنسية لعدة سنوات أن يوحّد جميع الكنائس على معتقدات مشتركة. وحتى تاريخه لم يلق هذا المجهود أي نجاح.

يهتم هذا الكتيب الصغير بتعاليم الكتاب المقدس الحقيقية بخصوص نواحٍ كثيرة من الحياة المسيحية، وكذلك يهتم بدراسة النبوات خاصة بالأحداث المستقبلية. تخبرنا نبوة الرؤيا ١٣: ١١-١٨ أن الولايات المتحدة الأمريكية ستنتهي كدولة تدافع عن الحرية والعتق. لتكون دولة من الشعب، وبواسطة الشعب، ومن أجل الشعب، وتكون كنيسة بلا بابا وحكومة بلا ملك. لكن للأسف، ستتحدث كتنين.

ومن خلال مناجاة الأرواح والتعاليم الزائفة سيخدع الناس ويصدقون الكذبة الداعية إلى أن الله قد بدّل الراحة من السبت إلى الأحد. وسيطالبون الكونجرس بتغيير دستور الولايات المتحدة الأمريكية. وستفرض قوانين الأحد، على أن العقوبات في البداية ستكون مجرد غرامة، ثم الحبس، وأخيرا الموت. ويطلق الكتاب المقدس على هذا سمة الوحش، وستطبق كل بلد على وجه الكرة الأرضية نفس

هل ستكون من النائحين عند مجيئه ؟

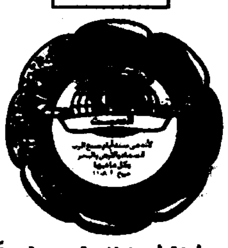
أم ستكون من الفرحين عند مجيئه ؟

هـوذا يـأتي ١

«اليوم، إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم ... لأنّ الذي دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله، كما الله من أعماله. فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة (السبت)، لئلا يسقط أحدٌ في عبرة العصيان هذه عينها» (عبرانيين 4: 7، 10-11).

أولئك فقط سيتقون ويخلصون: الذين يقول عنهم الكتاب المقدس: «هنا صبر القديسين. هنا الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع» (رؤيا 14: 12).

ختم الله



أوبئة وأحكام الله المرعبة ستحل قريباً على الذين قد قبلوا سمة أو اسم أو عدد الوحش، وكذلك على من سيعبدون الوحش وصورته (الذين يخضعون لسلطة سياسية دينية معادية للمسيح)، ومن يأخذ بذلك العمل- موافقاً وطائعاً ضد إرادة وإنذار الله (رؤيا 13: 16-18، 14: 9-11، 16: 2، 18، 19: 19-21).

إن رسالة ساعة الدينونة هذه قد تسبب الخوف عند البعض، لكنها في الواقع رسالة الخلاص - رسالة من إله محب لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» (2بطرس 3: 9).

سمة الوحش

كل فرد مخلص سيختبر أنه «مخافة الرب رأس المعرفة» (أمثال 1: 7). (قارن لوقا 12: 4، 5؛ خروج 20: 20). الخوف لا يمحى إلا بواسطة المحبة. (انظر تكوين 3: 10، 11). لكن بعد أن تقبل الغفران بواسطة محبة الله في يسوع المسيح ستختبر أنه «لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج ... وأمّا من خاف فلم يتكمّل في المحبة. نحن نحبّه لأنّه هو أحبّنا أولاً» (1يوحنا 4: 18-19).

إن الشعور بالضياع يتغير إلى ضمان الخلاص، والخوف من الله إلى احترام وحب، يتغير اليأس والعجز إلى وحدة الفرح، والخوف العام إلى توقع سعيد بتحقق الوعد الإلهي. إن عرض الله، وقت التوبة والعودة، لن يدوم إلا زمناً قصيراً. فاستغل هذا الوقت لتفحص حالك بجدية ولتستعد لأن وقت الإمهال (زمن النعمة) سينتهي قريباً قبل عودة المسيح.

إن علامات الأزمنة تخبرنا أننا في آخر ساعات تاريخ هذه الأرض!

«ولكن سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها ... إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب، في سلام» (2بطرس 3: 10، 14. قارن إشعياء 55: 6-9؛ ملاخي 3: 17، 18؛ 4: 1، 2).

«فلنسمع ختام الأمر كله: اتق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة، على كل خفي، إن كان خيراً أو شراً» (جامعة 12: 13-14).

عزيزي القارئ

يوجد لدي الكثير من المطبوعات التي يسعدني إرسالها إليك مجاناً، لتوضيح الحقائق الكتابية المتعلقة بنهاية العالم وكيفية الاستعداد للمجيء الثاني الوشيك للرب يسوع المسيح.

إذا أردت الحصول على قائمة بالمطبوعات، لتحديد المطلوب منها، يرجى الكتابة على العنوان التالي:-

جلال دوس

ص. ب 45

مدينة العاشر من رمضان

جمهورية مصر العربية

e-mail ([illegible])

وعلمائها وكل من يقوم بتنوير الطريق للأمة كى تعرف عدوها الحقيقى، وأسوق للقارئ الكريم عددا من الشخصيات الهامة التى تعد من نوابغ هذه الأمة وعلمائها - على سبيل المثال لا الحصر - قد كتب الله لهم الشهادة فى معركتنا مع النصارى الصهاينة :

١ـ الدكتورعلى مصطفى مشرفة : عالم فيزياء مصرى من مواليد دمياط فى ١١ يوليو ١٨٩٨م وهو من أعظم علماء القرن العشرين تخرج من مدرسة المعلمين العليا ١٩١٧ ، و كان أول مصرى يحصل على درجة دكتوراه العلوم D.Scمن إنجلترامن جامعة توتنجهام ١٩٢٣ ، عُين أستاذا للرياضيات فى مدرسة المعلمين العليا ثم للرياضة التطبيقية فى كلية العلوم ١٩٢٦ ، منح لقب أستاذ من جامعة القاهرة و هو دون الثلاثين من عمره. كان يتابع أبحاثه العالم أينشتاين صاحب. نظرية النسبية ووصفه بواحد من أعظم علماء الفيزياء. فى ١٩٣٦ انتخب عميداً لكلية العلوم فأصبح بذلك أول عميد مصرى. وأطلق عليه اسم (اينشتاين العرب).

حفظ علىٌّ القرآن الكريم منذ الصغر، كما كان يحفظ الصحيح من الأحاديث النبوية. . كان محافظًا على صلاته مقيمًا لشعائر دينه كما علمه والده، وقد ظلت هذه المرجعية الدينية ملازمة له طوال حياته. . كان مشرفة حافظًا للشعر. . ملمًا بقواعد اللغة العربية. . عضواً بالمجمع المصرى للثقافة العلمية باللغة العربية؛ حيث ترجم مباحث كثيرة إلى اللغة العربية. وقد عثر على د. مصطفى مشرفة مقتولا بالسم فى ١٦ يناير عام ١٩٥٠ .

٢ ـ الدكتورة سميرة موسى : عالمة مصرية فى أبحاث الطاقة الذرية، وتلميذة على مصطفى مشرفة، سافرت لأمريكا وكانت تنوى العودة لمصر لكى تستفيد بلدها من أبحاثها حيث إنها كانت تستطيع إنتاج القنبلة الذرية بتكاليف رخيصة. وتلقت عروضًا لكى تبقى فى أمريكا لكنها رفضت بقولها: «ينتظرنى وطن غال يسمى مصر». وقبل عودتها بأيام استجابت لدعوة لزيارة معامل نووية فى ضواحًى كاليفورنيا فى ١٥ أغسطس. وفى طريق كاليفورنيا الوعر المرتفع ظهرت سيارة نقل فجأة لتصطدم بسيارتها بقوة وتلقى بها فى واد عميق. قفز سائق السيارة واختفى إلى الأبد, وأوضحت التحريات أنه كان يحمًل اسمًا مستعاراً ,وأن إدارة المفاعل لم تبعث بأحد لاصطحابها.

٣ ـ الدكتور يحيى أمين المشد : من مواليد عام ١٩٣٢, قضى حياته فى الإسكندرية، وتخرج فى كلية الهندسة قسم كهرباء، جامعة الإسكندرية عام ١٩٥٢ ، بُعث إلى الاتحاد السوفييتى لدراسة هندسة المفاعلات النووية عام ١٩٥٦ ، ثم أسند إليه القيام ببعض الأبحاث فى قسم المفاعلات النووية بهيئة الطاقة النووية فى مصر ، وسافر إلى النرويج عامى ٦٣ و١٩٦٤ م لعمل بعض الدراسات، ثم عمل أستاذا مساعدا ثم أستاذا بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية . وأشرف فى فترة تدريسه بالكلية على أكثر من ثلاثين رسالة دكتوراه، ونُشر باسمه خمسون بحثًا علميًا، تركزت معظمها على تصميم المفاعلات النووية .

فى مطلع ١٩٧٥ كان صدام حسين نائب الرئيس العراقى وقتها يملك طموحات كبيرة لامتلاك كافة أسباب القوة ؛ فوقّع فى ١٨ نوفمبر عام ١٩٧٥ اتفاقًا مع فرنسا للتعاون النووى . من هنا انتقل العالم المصرى ,والذى يعد من القلائل البارزين فى مجال المشروعات النووية وقتها للعمل بالمشروع الذى توافرت فيه الإمكانيات والأجهزة العلمية والإنفاق السخى على البرنامج النووى العراقى . وفى الثالث عشر من يونيو (حزيران) عام ١٩٨٠ وفى حجرة رقم ٩٤١ بفندق الميريديان بباريس عُثر على الدكتور يحيى المشد جثة هامدة مهشمة الرأس وقُيدتْ القضية ضد مجهول .

٤ ـ الدكتور حسن كامل صباح (أديسون العرب) : ولد المهندس الكهربائى والمخترع اللبنانى حسن كامل الصبّـاح فى بلدة النبطية فى لبنان صباح نهار الثلاثاء ٢٢ أغسطس / آب ١٨٩٤م، يصل عدد ما اخترعه حسن كامل الصباح من أجهزة وآلات فى مجالات الهندسة الكهربائية والتلفزة وهندسة الطيران والطاقة إلى أكثر من ١٧٦ اختراعًا، وكان الدكتور حسن كامل الصباح عائداً إلى منزله فسقطت سيارته فى منخفض عميق ونقل إلى المستشفى مساء يوم الأحد ٣١ مارس ١٩٣٥م، ولكنه فارق الحياة وعجز الأطباء عن تحديد سبب الوفاة خاصة وأن الصباح وجد على مقعد السيارة دون أن يصاب بأية جروح مما يرجح وجود شبهة جنائية خاصة .

٥ ـ سمير نجيب : عالم الذرة المصرى يعتبر من طليعة الجيل الشاب من علماء الذرة العرب، فقد تخرج من كلية العلوم بجامعة القاهرة فى سن مبكرة، وتابع أبحاثه العلمية فى الذرة . ولكفاءته العلمية المميزة تم ترشيحه إلى الولايات المتحدة الأمريكية

فى بعثة، وعمل تحت إشراف أساتذة الطبيعة النووية والفيزياء وسنه لم تتجاوز الثالثة والثلاثين ,وأظهر نبوغًا مميزاً وعبقرية كبيرة خلال بحثه عرضت عليه إغراءات كثيرة بالبقاء فى أمريكا ولكنه قرر العودة الى مصر.

وفى مدينة ديترويت وبينما كان الدكتور سمير يقود سيارته فوجئ بسيارة نقل ضخمة ظن فى البداية أنها تسير فى الطريق شأن باقى السيارات. حاول قطع الشك باليقين فانحرف إلى جانبى الطريق لكنه وجد أن السيارة تتعقبه. وفى لحظة مأساوية أسرعت سيارة النقل واصطدمت بسيارة الدكتور الذى تحطمت سيارته ولقى مصرعه على الفور ,وانطلقت سيارة النقل بسائقها واختفت، وقُيِّد الحادث ضد مجهول.

٦ ـ الدكتور نبيل أحمد فليفل : عالم ذرة فلسطينى شاب، استطاع دراسة الطبيعة النووية، وأصبح عالمًا فى الذرة وهو فى الثلاثين من عمره، وعلى الرغم من أنه كان من مخيم «الأمعرى» فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، فقد رفض كل العروض التى انهالت عليه ـ وفى الخفاء وعن طريق الوسطاء ـ للعمل فى الخارج ,وكان يشعر أنه سيخدم وطنه بأبحاثه ودراساته العلمية.

وفجأة اختفى الدكتور نبيل فليفل ,ثم فى يوم السبت الموافق ٢٨/ ٤/ ١٩٨٤ م عثر على جثته فى منطقة «بيت عور» ,ولم تظهر نتائج التحقيق فى هذا الحادث حتى الآن.

٧ ـ دكتور نبيل القلينى : عالم الذرة المصرى ابن قرية قلّين الذى اختفى بطريقة غاية فى الغرابة منذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن، كان هذا العالم قد أوفدته كلية العلوم فى جامعة القاهرة إلى تشيكوسلوفاكيا للقيام بعمل المزيد من الأبحاث والدراسات فى الذرة. وقد كشفت الأبحاث العلمية الذرية التى قام بها عن عبقرية علمية كبيرة تحدثت عنها جميع الصحف التشيكية. ثم حصل على الدكتوراه فى الذرة من جامعة براغ. وفى صباح يوم الاثنين الموافق ٢٧/ ١/ ١٩٧٥ دق جرس الهاتف فى الشقة التى كان يقيم فيها الدكتور القلينى ,وبعد المكالمة خرج الدكتور ولم يعد حتى الآن.

٨ ـ الدكتور جمال حمدان : الرجل الذى اعتزل الدنيا ووهب نفسه للعلم، وهو أهم جغرافى مصرى، وصاحب كتاب «شخصية مصر». عمل مدرسا فى قسم الجغرافيا فى كلية الآداب فى جامعة القاهرة، وأصدر عدة كتب إبان عمله الجامعى.

تنبأ بسقوط الكتلة الشرقية قبل ٢٠ عاما من سقوطها، وألف كتاب « اليهود أنثروبولوجيا» يثبت فيه أن اليهود الحاليين ليسوا أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين.

وفى سنة ١٩٩٣م عثر على جثته والنصف الأسفل منها محروقًا ,واعتقد الجميع أن د. حمدان مات متأثرًا بالحروق ,ولكن د. يوسف الجندى مفتش الصحة بالجيزة أثبت فى تقريره أن الفقيد لم يمت مختنقًا بالغاز ,كما أن الحروق ليست سببًا فى وفاته , لأنها لم تصل لدرجة إحداث الوفاة. و اكتشف المقربون من د. حمدان اختفاء مسودات بعض الكتب التى كان بصدد الانتهاء من تأليفها ,وعلى رأسها كتابه «اليهودية والصهيونية» ,مع العلم أن النار التى اندلعت فى الشقة لم تصل لكتب وأوراق د. حمدان ,مما يعنى اختفاء هذه المسودات بفعل فاعل. وحتى هذه اللحظة لم يعلم أحد سبب الوفاة ولا أين اختفت مسودات الكتب التى كانت تتحدث عن اليهود والصهاينة ؟.

٩ ـ الدكتور سعيد سيد بدير : وهوابن الفنان الراحل سيد بدير، كان عالما فذا فى هندسة الصواريخ، تخرج فى الكلية الفنية العسكرية وعين ضابطا فى القوات المسلحة المصرية حتى وصل إلى رتبة مقدم وأحيل إلى التقاعد برتبة عقيد بناء على طلبه بعد أن حصل على درجة الدكتوراه من إنجلترا ثم عمل فى أبحاث الأقمار الصناعية فى جامعة ليزيزج الألمانية الغربية وتعاقد معها لإجراء أبحاثه طوال عامين. وهناك توصل المهندس الشاب من خلال أبحاثه إلى نتائج متقدمة جعلته يحتل المرتبة الثالثة على مستوى ١٣ عالما فقط فى حقل تخصصه النادر فى الهندسة التكنولوجية الخاصة بالصواريخ.

رفض الجنسية الألمانية كما رفض البقاء هناك وقرر العودة لمصر، فزادت التهديدات فعاد إلى وطنه ليحموه، وأثناء الإقامته بالإسكندرية حيث كانت أبحاثه عن الصواريخ التى تنطلق من قاع البحر قُتل ونال الشهادة، والمصيبة أنهم ادعوا أنه مات منتحرا إذ قالوا إنه قطع شرايينه وفتح أنبوبة البوتاجاز ورمى نفسه من الدور الثالث عشر!!

١٠ ـ دكتورة سلوى حبيب : كان عنوان كتاب الدكتورة سلوى حبيب الأخير

«التغلغل الصهيونى فى أفريقيا » ,والذى كان بصدد النشر ,مبرراً كافياً للتخلص منها .
د. سلوى حبيب الأستاذة بمعهد الدراسات الأفريقية ,عثر عليها مذبوحة فى شقتها, وفشلت جهود رجال المباحث فى الوصول لحقيقة مرتكبى الحادث ليظل لغز وفاتها محيراً ,خاصة أنها بعيدة عن أى خصومات شخصية وأيضًا لم يكن قتلها بهدف السرقة، ولكن إذا رجعنا لأرشيفها العلمى سنجد ما لا يقل عن ثلاثين دراسة فى التدخل الصهيونى فى دول أفريقيا على المستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى , وبشهادة الجميع كانت هذه النقطة من الدراسة ملعبها الذى لا يباريها أحد .

١١ ـ العالم اللبنانى رمال حسْن رمال : أحد أهم علماء العصر فى مجال فيزياء المواد كما وصفته مجلة لوبوان، التى قالت أيضا إنه مفخرة لفرنسا كما تعتبره دوائر البحث العلمى فى باريس السابع من بين مئة شخصية تصنع فى فرنسا الملامح العلمية للقرن الحادى والعشرين، جاءت الوفاة فى ظروف مريبة حيث حدثت فى المختبر ووسط الأبحاث العلمية التى تحدثت عنها فرنسا، كما جاءت الوفاة عقب وفاة الدكتور حسن كامل صباح ولم يستبعد وجود أصابع خفية وراء الوفاة التى تتشابه مع وفاة العالم حسن صباح فى عدم وجود آثار عضوية مباشرة على الجثتين .

١٢ ـ الأستاذ رضا هلال : صحفى وكاتب مصرى، صاحب أهم كتابين يوضحان طبيعة النصارى الصهاينة، وتوغلهم التاريخى بالسياسة الأمريكية، وهما (تفكيك أمريكا) الذى يشرّح المجتمع الأمريكى، ويوضح الفكر الصليبى الصهيونى المهيمن عليه، ثم كتاب (المسيح اليهودى ونهاية العالم) وهو من أهم مراجع كتابى هذا، وهو يوضح كيف أن دوافع أمريكا لمساندة إسرائيل إنما هى من أجل المسئولية الدينية لعودة المسيح إذ يهيئون له إضعاف إعدائه حين يخوض أمامهم معركة هرمجدون الفاصلة بين الخير المتمثل فى أساطيرهم وبين الشر المتمثل فى العالم الإسلامى، ومرة ثانية يرون إلههم عاجزا عن خوض معركة الخير والشر بمفرده، فانبروا لمساندته ومعاونته، وفى هذا تشكيك لنصوص كتابهم الذى قدسوه، و الذى يشير بنصر المسيح وحكمه للعالم ألف سنة سعيدة .

اختفى فجاءة الكاتب والصحفى الكبير، وقد شاهدت برنامجا فى التليفزيون المصرى استضاف صحفيا واسع الخيال، ففرض نظرية تتهم الأستاذ رضا هلال بأنه

عميل للمخابرات الإسرائيلية الموساد، وإنهم قد صفوه فى عملية مخابراتية بعد انكشاف أمره من المخابرات المصرية.

وغير ذلك الكثير مما يصعب حصره، فالتصفية الجسدية للأفراد والجماعات كانت ولم تزل مستمرة بأيدى الصهاينة، ولم تزل دماء الشيخ ياسين والمهندس الرنتيسى لم تجف بعد، وكذلك لم تزل بذاكرتنا طائرة مصر للطيران التى أُسقطت وهى فى طريقها لأرض الوطن تحمل على متنها عددا من خيرة شبابنا الطيارين الذين أنهوا دراستهم وتدريباتهم على القتال بالطائرات الأمريكية، وادعوا أن طيار مصر للطيران الشهيد جمال البطوطى قد انتحر بالطائرة لأن الصندوق الأسود قد سجل صوته وهو يقول: باسم الله توكلنا على الله. فحسبنا الله ونعم الوكيل، واسكن الله شهداءنا فسيح جناته وجعلنا مستحقين لأمثالهم عوضا عنهم، وهو على كل شيء قدير.

معول العودة للجاهلية:

عندما سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا ذر يقول لأخيه المسلم بلال: يا ابن السوداء. فغضب الرسول ﷺ، وقال لمن يعير أخاه بسواد بشرة أمه معنفا: أنت أمرؤ فيك جاهلية. فالجاهلية ليست الجهل بالقراءة والكتابة، ولكن الجاهلية سلوك وأخلاق وطيش ونزق.... فالعالم قبل بعثته ﷺ يسمى جاهلية رغم أنه صلوات الله وسلامه عليه أمى لا يقرأ ولا يكتب، فالجاهلية إذاً سلوك، و سلوك العربى قبل الإسلام كان سلوكا جاهليًا، وكانت حياته حياة جاهلية.

يمكننا أن نوضح أهم ملامح هذه الجاهلية، فحياة العربى كانت محصورة فى حدود نفسه وقوت يومه وأسرته أو تجارته ولا تتجاوز اهتماماته فى الحياة اليومية حدود قبيلته التى يتفاخر بها لأنها الوحيدة التى تشعره بالانتماء.... وبعدما جاء الإسلام دينا وصار لهذا العربى منهج فى الحياة، وجعلته الدعوة إلى دين الله صاحب قضية يبذل من أجلها حياته، صار هذا العربى يقول كما قال خُبَيب بن عدى:

وما بى حذار الموت إنى لميت ... وإن إلى ربى إيابى ومرجعى

ولست أبالى حين أُقتل مسلمًا ... على أى جنب كان لله مصرعى

هؤلاء الذين مسّ الإيمان قلوبهم، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فصدق قول الله تعالى فيهم ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)﴾ [الأحزاب: ٢٣].

لمثل هؤلاء ارتمت الدنيا طواعية تحت أقدامهم، فأزاحوا القياصرة، ودانت لهم رقاب الأكاسرة، وفتحوا بعقيدتهم البلاد، ونشروا دين الله بين العباد، فأبلغوا رسالة نبيهم، وحكموا أرضها من أقصاها إلى أقصاها، وقدموا للعالم نموذجا للمسلم مثلما أراد الله له أن يكون، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، و يحكم فى الدولة بما أنزل الله من شرائع وأحكام، وبهذا يتقى الله ويحكم فيما بينه وبين الناس، وبهذا يحكم فى بيته، وبهذا يحكم فى نفسه.

هكذا استقامت نفوس المسلمين على فطرتها التى فطرها الله عليها، وفى الصلاة يجتمعون فيلتصقون كتفا بكتف، وقدما بقدم، كأنهم بنيان مرصوص، يملؤهم إيمانهم بأنهم يقفون بين يدى إله واحد، ويركعون لإله واحد، وله يسجدون، قضيتهم جميعا واحدة، كلهم يعملون لنشر رسالة نبيهم بين البشر، فيشعر كل مسلم بأخيه المسلم، ويدرك نظريا وعمليا قيمة انتمائه لهذا المجتمع المسلم المترابط، فإذا ما انفرط العقد، وصار المسلمون شتاتا، وراح كل واحد لا يشغل باله إلا قوت يومه، ومستقبل عياله، وانشغل كل بنفسه وغفل عن قضيته، التى من أجلها خلق، ارتد المسلمون بغفلتهم إلى الجاهلية. . . !! فليتنبه كل مسلم.

وبرجوع المسلم للجاهلية سلوكا نجد أن الأمة تضعف ويصيبها الوهن مثلما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: «من قلة نحن يومئذ؟» فقال: «بل أنتم يومئذ كثيرون، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن!». قيل: «وما الوهن يا رسول الله؟»**

قال ﷺ: «حب الدنيا وكراهة الموت»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد والبيهقى عن ثوبان رضى الله عنه. وفى رواية لأحمد والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان: «كيف بك يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منها؟» قال ثوبان: «بأبى أنت وأمى يا رسول الله، أمن قلة بنا؟» قال: «لا، وأنتم يومئذ كثير، ولكن يلقى فى قلوبكم الوهن». قال: «وما الوهن يا رسول الله؟» قال: «حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت».

لقد تبادر إلى أذهان الصحابة، أن هذا الذى وصفه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكنه أن يحدث إلا وهم قليل مستضعفون لقلتهم، ولكنه بين لهم حدوث ذلك وهم كثير ولكن الأمة حينئذ تكون غثاءً كغثاء السيل، والغثاء هو الزبد الطافى فوق السيل، الحامل للقاذورات والنفايات، فليس هو بالماء الذى منه الفائدة، وليس هو حتى الزبد النظيف الخالى من النفايات. وما أكثرنا اليوم، فنحن أكثر من ألف مليون مسلم، ولكننا فرادى، ألف مليون قوقعة متقوقعة على نفسها، لا تشغلها إلا الدنيا ولذلك بتنا كغثاء السيل، فى قلوبنا الوهن أى حب الدنيا لا حب الحياة، فالمسلم يحب الحياة، فهى زاده للآخرة، إنما حب الدنيا هو حب الاستمتاع بشهواتها والاستغراق فى ملذاتها وتكون ملعونة إذا كانت هذه الملذات والشهوات من الحرام، أما إذا كانت حياة الدنيا مزرعة الآخرة، يقضى فيها المسلم حياته فى طاعة ربه، ومخلصا لعقيدته وقضيته، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فلن يصيب قلبه الوهن، فإياكم يا معشر المسلمين أن تغفلوا بالدنيا انسياقا خلف مغرياتها التى أعدها لكم أعدائكم الذين يكيدون لكم ويتربصون بكم. إن أمضى سلاح يفتك بنا هو سلاح غفلتنا عن قضيتنا.

الحقيقة التى لا بد من توضيحها للعالم

ما كان الإسلام بدعا جديدا، ولكنه جزء من مسار التاريخ حيث القضية الأساسية والمعركة الأولى والمستمرة بين إبليس مع حزبه و آدم وبنيه وذريته إلى يوم الدين، ليخرب دياناتهم ويفسد عقائدهم اخترع لهم الوثنية ديانة سادت على الأرض سنين، وكلما أرسل الله رسولا ونبيًا استعان الشيطان بأعوانه وأساليبه كى يفسد على الناس عقيدتهم السماوية، ويضلهم عن الصراط المستقيم، فتتحرف النصوص وتتبدل الكتب، وتضيع رسالات الرسل بعد سنين، حتى إذا ما أفنى الله جميع الكافرين من الأرض وأرسل عليهم الطوفان فأغرقهم أجمعين إجابة لدعوة نوح عليه السلام ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٧] : ، إلا أن الشيطان لم يهدأ حتى عمت الوثنية والشرك والكفر فأصبحوا دينا يدين به جميع سكان الأرض قدرًا من الزمان حتى ظهر

خليل الله ونبيه إبراهيم، فأرسله الله بالتوحيد عقيدة، وبالإسلام دينا ارتضاه لخلقه وأمره برفع قواعد بيت الله العتيق ويخبرنا ربنا فى محكم تنزيله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾ [البقرة : ١٢٨].

وبهذا الدين أوصى به إبراهيم بنيه وكذلك أوصى أبناؤه أبناءهم ويقول رب العزة: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾ [البقرة : ١٣٣].. إلا أن ضلال الناس ونشاطات إبليس وجنده أبعدت الخلق عن الحق، ورغم ما شهد الناس من آيات لم يتعظوا بما فعل الله بقوم لوط وبعاد وثمود، كما أرسل الله موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة كتابًا وكلمه تكليما، ثم أعقبه بالعديد من الأنبياء لتستقيم ديانة بنى إسرائيل، ويقوّم زيغها وانحرافها الذى يتم بتدبير الشيطان وبيد أحبارها، إلا أنهم انساقوا وراء أهوائهم، وسلكوا طريق الضلال فغضب الله عليهم : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (٤٦)﴾ [النساء : ٤٦]

ثم أرسل إليهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام نبيا ورسولا من بين بنى إسرائيل وليس من أصلابهم إشارة إلى انقطاع الوحى عن أبناء إسحق عليه السلام وبشارة لانتقالها لأبناء إسماعيل عليه السلام وجعل ميلاده معجزة كما جعل نهاية حياته معجزة، وأنزل عليه الإنجيل كتابا ومنهاجا، إلا أنهم غيروا وبدلوا، وألهوا المسيح وعبدوه من دون الله، واتبعوا رؤيا بولس فقدسوا الأحلام والأوهام واتخذوا الصلب والفداء مع التثليث عقيدة بدلا من التوحيد، فضلوا وأضلوا، ولكن الله أرسل سيدنا ونبينا محمداً بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم رسله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه القرآن نبراسا ومنهجا للحياة وللبشرية حتى قيام الساعة، فما كانت رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلا دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام، فهى ليست بدعة ابتدعها، ولكنه الدين الحق والأصل الذى جاء قبل موسى وعيسى عليهما السلام، ومن هذا المنظور للإسلام أمرنا ربنا أولا بالتمسك بالعقيدة والمحافظة على إقامة شعائرها كما أمرنا ثانيا بالاجتهاد فى الدعوة من منظور أن هذا الدين هو الأسبق من اليهودية والنصرانية وهو الدين الذى أتى به سيدنا إبراهيم وجميع الأنبياء عليهم السلام وأمرنا ربنا ثالثًا بالجهاد لنصرة الدين، وأن هذا المنهج الجهادى الدعوى مؤيد بنصر من الله وترى ربط الأوامر الثلاثة فى قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾ [الحج: ٧٨]. وكم تحتاج هذه الآية الكريمة من وقفة لفهم جميع معانيها، وإدراك المنهج الذى تصوغه للمسلمين كى يعتصموا بحبل الله ويتمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ويجاهدوا فى الله حق جهاده.

وإلى دعاة المسلمين ولمن ينشدون الحوار مع الآخر، ويبغون تقريب المسافات بين الإسلام وبين خصومه بدعوى التعايش مع الكفر والكفار، أقول لهم: إن هذا هو مدخل الحوار إليهم، وهذا هو المنظور الذى منه نبدأ حتى يفهموا الإسلام ويغيروا نظرتهم إليه كفكر أتى به رسولنا لهدم أصولهم. فحين نحاورهم ندافع عن دين أتى به موسى وعيسى والأنبياء جميعهم عليهم السلام. فالإسلام كان أولا وهو الأصل.

دور المؤسسة الكبرى (الأزهر الشريف) لإعداد رجال الدين:

الأزهر الشريف الذى كان حجر عثرة أمام أعداء الإسلام منذ نشأته وفى عصر حكم الفاطميين الشيعى الآتين من الشرق وأثناء حملة التغريب منذ عهد نابليون. وهو أرفع مؤسسة علمية تربوية فى العالم الإسلامى يجب أن تكون رائدة للتقدم والازدهار فى كل العصور، ونموذجا للسبق الحضارى فى شتى المجالات العلمية والأدبية والروحية،

ومازلت أكرر أن مفتاح نجاح هذه الأمة هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لقوله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران : ١٠٤]. فالأمة الداعية إلى الخير هى أمة الإجابة التى استجابت لدعوة نبيها ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران : ١٩٣]، وذروة هذه الأمة وتيجان رؤوسها هم العلماء والدعاة من المؤسسات التربوية الدينية والعلمية كالأزهر الشريف وغيره من معاهد علمية ومؤسسات دعوية، وكما يذكر فضيلة الشيخ عبد الودود شلبى[1] : وقد كان الأزهر دائما عند حسن الظن، ولم يتخلف يوما عن واجبه تجاه الشعب ولم يرض لعلمائه أن يقفوا ساكتين أمام الظلمة والطغاة من حكام مصر. كان الأزهر هو المأمن الذى يقصده الشعب حين تضيق به السبل، بل نجد فى بعض الأحيان أن الحاكم الظالم كان يعلن توبته أمام العلماء، ويعاهد أمامهم الله أن يعدل فى حكمه !

فكان العلماء يشعرون بما لهم من مكانة بقدر ما فى نفوس الناس من عاطفة دينية. وكان الناس ينظرون إليهم كحماة للشرع والعدل، ورقباء على صلاح الحكم وتوجيه الحاكم، وكبح جماح من يرون فيه الفساد أو الشطط، وكان الحكام يخشونهم لهذه الأسباب وبخاصة إذا اجتمعت كلمتهم مع الشعب. ويحكى الدكتور عبد الودود أنه لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم نتيجة الخلاف بين قواد الجيش ضاق صدر الخديوى إسماعيل فركب مع شريف باشا وهو محرج فأراد أن يفرج عن نفسه لشريف باشا : ماذا تصنع حين تلم بك ملمة تريد أن تدفعها؟ فقال : يا أفندينا : إن الله عودنى إذا حاق بى شىء من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخارى يقرؤه علىّ علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عنى !. قال : فكلم الخديوى شيخ الأزهر وكان الشيخ العمروسى فجمع له من صالحى العلماء جمعًا أخذوا يتلون البخارى أمام القبلة القديمة بالأزهر، ومع ذلك ظلت أخبار الهزائم تتوالى، فذهب الخديوى ومعه شريف باشا إلى العلماء، وقال محنقًا : إما أن الذى تقرءونه ليس صحيح البخارى، وإما أنكم لستم العلماء

---

(١) الشيخ عبد الودود شلبى : الأزهر إلى أين ؟. بتصرف.

الذين نعدهم من رجال السلف الصالح ؟! فإن الله لم يدفع بكم، ولا بتلاوتكم شيئا، فوجم العلماء.. وابتدره شيخ فى آخر الصف يقول له : إن سبب الهزائم منك يا إسماعيل، فإنا روينا عن النبى ﷺ أنه قال : « لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » !!

وانصرف الخديوى ومعه شريف باشا، ولكن سرعان ما عاد شريف باشا يسأل : أين الشيخ القائل للخديوى ما قال ؟ فقال : أنا، فأخذوه وقام، وراح العلماء يودعونه وداع من لا يأملون أن يرجع، وسار الشيخ مع شريف باشا إلى أن دخلا قصر الخديوى فى قصره، فإذا به قاعد فى البهو وأمامه كرسى أجلس عليه الشيخ وقال له : أعد يا أستاذ ما قلته لى فى الأزهر، فأعاد الشيخ كلمته وردد الحديث وشرحه فقال له الخديوى : وماذا صنعت حتى ينزل بنا البلاء ؟

قال له : يا أفندينا أليس الزنا برخصة، والربا برخصة، والخمر برخصة، وعَدد له منكرات تجرى بلا إنكار، فكيف تنتظر النصر من السماء ؟ فقال الخديوى : وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب ؟ فقال له الشيخ : إذن فما ذنب البخارى وذنب العلماء ؟

ففكر الخديوى مليا وأطرق طويلا ثم قال له : صدقت... صدقت! . حقيقة وصدق رسول الله فالحديث صريح وواضح.

ولم تكن أحاديث الناس فى القرى تخلو من هذه الحكايات التى تعدد مناقب شيوخ الأزهر، وتشير إلى مكانتهم الرفيعة. كان سمتهم جميلا، وخلقهم نبيلا، وعلمهم لوجه الله خالصا.

قال حماد بن سلمة حدثنى ثابت البنانى قال سمعت أنسا يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شىء، وإذا أراد أن يكنز الكنوز هاب من كل شىء ».

فانظر إلى هذا الميزان الدقيق الذى أقامه المصطفى ﷺ إذا أراد العالم وجه الله.. هابه كل شىء فإذا أراد به دنيا فانية، أو عرضا تافها من أعراضها الزائلة كان مثالا للخوف.

التعليم الأزهرى اليوم فى حال يعلم وهنه القاصى والدانى، الأزهريون أنفسهم يدفعون بأبنائهم للتعليم العام خارج الأزهر، وربما يدفعون بهم للمدارس الأجنبية أو

المدارس التابعة للكنائس فتشكل الراهبات ومن هن على شاكلتهن عقولهم . . . ولله الأمر من قبل ومن بعد . . وليقم المسئولون بالأزهر بعمل إحصائية للعاملين بالأزهر والمنتمين إليه وكم منهم يعلّم أبناءه أو أحفاده بالأزهر .

فى الوقت الذى عندنا فيه معاهد أزهرية كبرى لتعليم الدعاة ، ولكنها فى الحقيقة تخرج موظفين على درجات ، والداعية الحق لا يمكن أن يكون موظفا على درجة ، إن درجته ينبغى أن تكون عند الله سبحانه وتعالى إذا كان مؤمنا بالله حقًا . ولكن الأزهر يمسه كل ما يمس أجهزة الدولة من أمراض فتاكة . . .

الأزهر هيئة علمية إسلامية كبرى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة ، وكفالة الطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة ، وتزويد العالم الإسلامى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن ، وتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية لابد أن تتوفر لها كل السبل لتؤدى مهمتها المقدسة ، ولابد من إعادة النظر فيما يتقاضاه الدعاة وعلماء الأزهر ، وأهل العلم جميعًا من علماء وطلاب علم من باحثين ودارسين وأساتذة فى الجامعات وأكاديميات البحث العلمى .

***

الفصـل الرابـع عشـر

مجمـل القـول

إننا نحيا اليوم فى منعطف تاريخى خطير، فمنذ أعلن البابا إربان الثانى قيام الحرب الصليبية على الإسلام و المسلمين والحروب الصليبية لم تنته بعد، ولكن أساليب القتال وآليات المعركة قد تغيرت، إذ أن الحملات العسكرية المسلحة الأولى قد فشلت فشلا مذلا، قام على أثره الاستشراق الذى عمل لسنين على الدراسة والتحليل لتحديد مواطن القوة والضعف عندنا، بَدءاً بالأخذ بأسباب التقدم والرقى، ووصولا إلى رسم الخطط والمكائد وتصميم معاول الهدم التى ينهالون بها على أمتنا، وتحديد مواضع الطعن وأماكنه المؤثرة.

ونتيجة لأخذ الغرب النصرانى بأسباب التقدم والرقى، بانتهالهم العلم من منابعه العربية التى كان العرب لا يبخلون بها على أحد فعلّموا العلم لمن طلبه سواء كان من الشرق أو من الغرب، فبدأ مشعل الحضارة بأوروبا فى الإنارة والبزوغ فسُمى ذاك عندهم العصر بعصر النهضة، فى الوقت الذى كانت فيه معاول الهدم والتخريب تنهال على كياننا المسلم، فراحت شعلة التقدم عندنا تخبو رويدا مما أدى إلى انتقال مشعل الحضارة كلية من بلاد العرب المسلمين إلى بلاد الغرب النصرانى.

مع عصر النهضة والتنوير فى أوروبا راح النصارى يرفضون سيطرة الكنيسة وتسلط البابا على جميع شئون الحياة، فظهرت البروتستانتية فى ألمانيا على يد مارتن لوثر الذى

ثار على الكنيسة الكاثوليكية وعلى البابا، وعلق اعتراضاته الخمسة والتسعين على أبواب كاتدرائية (وتنبرج) فى ألمانيا آخر أكتوبر عام ١٥١٧م ، وظهرت من خلال الثورة البروتستانتية الفكرة الصهيونية التى تغير المفاهيم النصرانية الكاثوليكية المتوارثة، وحولوا النظرة لليهود من كونهم قتلة المسيح، إلى منفذى مشيئة الرب فى الصلب، وجعلهم أصل الدين لأن المسيح جاء من بين بنى إسرائيل وإليهم، واعتنق النصارى الصهيونية التى تفسير كلمة إسرائيل القديمة المذكورة فى التوراة على أنها هى أرض فلسطين الحالية خلافا لتفسير الكنيسة الكاثوليكية، وأن رؤيا دانيال ورؤيا حزقيال بالعهد القديم بشارة ونبوءة بعودة اليهود إلى فلسطين، كما رأوا فى نصوص إنجيلهم (العهد الجديد) فى رؤيا يوحنا التى يختتم بها العهد الجديد تجسيداً لهذا الاعتقاد، ما يستدلون به على ضرورة عودة اليهود لفلسطين إيذانا بالعودة الثانية للمسيح وبداية الألفية السعيدة المزعومة، رغم أن قدسية الرؤيا وصحتها ظل مشكوكا فيها مئات السنين كما أوضحنا سابقا فى صفحات الكتاب.

أوجدت البروتستانية أو النصرانية الصهيونية اعتقادا بأن نصوص التوراة هى أصل الدين، وأنه لايجوز التشكيك فيها أو إنكارها مهما خالفت الحقائق أو منطق الأشياء، وأن نبؤاتها لابد وأن تتحقق، وأخذ النصارى الصهاينة على عاتقهم مسؤولية تنفيذمشيئة الرب، وتحقيق نبوءات التوراة لعودة المسيح الثانية والتى ارتبطت بعودة اليهود إلى ما أسموه أرض الميعاد وإحياء دولة إسرائيل مرة أخرى، كى يفعلوا ما فعلوه أول مرة من قتل وحرق لكل كائن حى وفقا لما ورد بالتوراة من نصوص : « . . وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه، وأخذوا المدينة. وحرّموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. ». وهكذا يريدون إبادة كل الكنعانيين والعرب، والمسلمين، وكل من سيشكل جبهة مضادة لجيش المسيح الذى يقود المعركة ضد الشر فيهزم الوحش الذى ورد بالرؤيا، ويحكم العالم ألف سنة سعيدة لا ظلم ولا جور بها، ويتنصّر اليهود بعدما يبنى هيكلهم.

ومن منطلق صليبى صهيونى نشأت طائفة من الباحثين والأثريين التوراتيين، الذين جنّدوا أنفسهم لتأكيد الروايات التوراتية وأساطيرها وإثبات صحتها، وقد اعتبروا

التوراة كتابا للتاريخ، ومن أهم ما يحاولون تحقيقه أو إثباته هو الأكذوبة الكبرى التى تقوم عليها الفكرة الصهيونية، وهى أن أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات، وأن اليهود العبرانيين هم أصحاب الأرض الحقيقيون، وأنهم عائدون لأرضهم، ولمملكتهم القديمة التى كانت حدودها من النيل فى مصر إلى الفرات بالعراق. وأن القدس كانت عاصمة هذه المملكة التى أقامها نبى الله داود عليه السلام.

أوردنا من خلال صفحات هذا الكتاب، كيف أن علماء الآثار غير الصليبيين باختلاف أجناسهم، ومنهم بعض الإسرائيليين قد أثبتوا زيف هذه الادعاءات، ووضحوا أن هذه المقولة ما هى إلا كذبة كبرى، وأن الحقائق التاريخية تقول بأن سكان هذه المنطقة الأصليين (فلسطين حاليا) هم العرب الكنعانيون، كانوا يعمرون هذه الأرض منذ عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد أى قبل تسلل القبائل العبرانية الآتية من أرض التيه بمصرعام ١٢٥٠ قبل الميلاد، وظل الكنعانيون يقيمون على أرض فلسطين بينما كانت القبائل العبرانية ساكنة مرتفعات الجبال ومتناحرة فيما بينها، وبعد أن وحد نبى الله داود قبائل بنى إسرائيل لم يرحل الكنعانيون من الأرض، وظلوا حتى بعد انهيار دولة العبرانيين التى انقسمت على نفسها بعد وفاة سليمان عليه السلام ، فهى زمانا لم تدم سوى ٧٢ سنة، وكانت حدودها محدودة جدا بعض الكيلومترات، ولم تضم يافا وغزة والشريط الساحلى الجنوبى الغربى، كما أن مدينة القدس نفسها لم تكن عاصمة لإسرائيل على رأى الراجح من أقوال الأثريين، و لم تكن داخل مملكة إسرائيل أصلا، لا فى عهد طالوت أو داود عليهما السلام أو فى عهد سليمان عليه السلام، وهؤلاء هم كل ملوك مملكة إسرائيل.

انتشرت أفكار النصارى الصهاينة ومفاهيمهم وعقائدهم الجديدة وسادت على النصرانية الكاثوليكية التى كانت راسخة فى أوروبا، فأصبح الكتاب المقدس متاحا بلغات متعددة، لكل نصرانى الحق فى فهم النصوص وفق مفاهيمه الخاصة شريطة ألا يشكك فى صحة هذه النصوص، خاصة فيما يخص اليهود من نصوص، وانتشرت هذه الأفكار وهذه العقيدة انتشار النار فى الهشيم، وتحولت النظرة إلى اليهود من التدنيس إلى التقديس، ومن معاداتهم لأنهم قتلة المسيح إلى أنهم جوهر الدين وأصله، وجعلوا من أنفسهم كلابا لليهود، أو كالكلاب التى تأكل من فتات موائد أسيادها،

ووضعوا على عاتقهم تحقيق نبوءات الكتاب الذى قدسوه، مهما كانت هذه النصوص متوهمة ومشكوكا فى صحتها أو كتبوها بأيديهم ثم قدسوها، وادعوا إفكا أنها من عند الله ومنزلة منه. فظهرت البيوريتانية فى إنجلترا، وانتقلت مع التعصب للبلاد الاسكندنافية، وظهرت مللينية الألفية السعيدة بفرنسا، وتأثر الأدب والحياة الثقافية الأوربية كلها بهذه المعتقدات.

حمل النصارى الصهاينة المتعصبون تعصبا أعمى والذين أطلقوا على أنفسهم اسم التطهريين أو (البيوريتانيين) حين هاجروا إلى الأرض الجديدة أمريكا هذه الأفكار وهذه المعتقدات معهم، وأنشؤوا بها حضارة صليبية صهيونية تقوم على إبادة سكان البلاد الأصليين إذ كانوا يسمونهم الكنعانيين أى الفلسطينيين. فلم ينصّروهم ويدعوهم للدخول فى دينهم، ولكنهم أبادوهم ابتغاء مرضاة الرب - كما توهموا - وظلوا يورثون هذه الصليبية الصهيونية من جيل إلى جيل حتى تأصلت فى وجدان المجتمع الأمريكى وسياسته. ولذا لا عجب من التأييد الأمريكى الكامل لإسرائيل ومباركة لجميع ما ترتكبه من مذابح و جرائم فى حق الفلسطينيين، ولا عجب من مشاركة الرئيس الأمريكى الصهيونى الصليبى بوش الإبن للإسرائيليين فى احتفالاتهم بقيام دولة إسرائيل. ولكن العجيب فعلا هو الحكام العرب الذين يرون فى أمريكا شاركا فاعلا فى السلام !!!!!!!!!!

- أدى ضعف الأمة الإسلامية إلى طمع الغرب النصرانى فى استعمار بلاد المسلمين، وتضامنت المصالح الاستعمارية مع الأيدلوجية الصهيونية، والتمس المستعمر بعدا دينيا ومباركة من الكنيسة لأفعاله المشينة بالبلاد التى احتلوها. وطور المستعمر من أساليب استخدام معاول الهدم، وأتاح له الاستعمار فرصا أكبر فى البحث عن ضعاف النفوس الذين ارتموا فى أحضانه، وعملوا على تنفيذ مآربه. فنهب من خيرات بلادنا ما نهب، وحاول بكل ما أوتى من قوة أن ينزع الإسلام من صدور المسلمين، ولكن هيهات لمن ذاق حلاوة الإيمان أن يعود لظلمة الكفر والشرك، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾ [التوبة: ٣٢].

- أفل نجم الاستعمار المباشر، وخرج من بلادنا مدحورا بعد أن أوجعته حركات التحرير، وأقلقت مضاجعه، ولكنه ترك البلاد وقد أنهكتها معاول الهدم، وأصابها الوهن، كما أنه نفّذ خطته الصهيونية الخبيثة قبل أن يغادر بلادنا فغرس بها كيانا صهيونيا ليجعل من فلسطين وطنا للصهاينة اليهود أحط أجناس الأرض. وذلك بعد أن يسر لهم سبل التسلل والاستيطان بها. كما ترك بالبلاد التى استعمرها بعض عملاء له يرعون مصالحه ويلبون مطالبه وينفذون مآربه. وكانت النكبة العربية عام ١٩٤٨م حيث تم إعلان قيام دولة إسرائيل ككيان صهيونى تحت حماية ووصاية الاستعمار الإنجليزى. فمثلما تسلل الأجداد إلى أرض فلسطين عام ١٢٥٠ قبل الميلاد راح الأحفاد يتسللون مهاجرين من جميع بقاع الأرض، مع تسهيلات الاحتلال البريطانى وتيسير تملكهم للأراضى والضياع، ورغم وجود صيحات تحذير من بعض القوى الوطنية اليقظة إلا أن الاستعمارَ كان محكما قبضته ومجندا أعوانا له قد هيأهم لحكم البلاد فى ظل وجوده، وبعد رحيله.

- يشهد التاريخ بأن عام ١٩٦٥م كان نقطة فارقة فى التاريخ الكنسى برمته، إذ يشير هذا التاريخ إلى قرارات المجمع المسكونى الثانى المعروف اختصارا باسم « فاتيكان اثنين »[1]، والمجمع المسكونى على خلاف أية مجامع أخرى، فهو مُلْزِم لكافة أصحاب القرار من ملوك ورؤساء فى مختلف البلدان النصرانية والكنائس على اختلاف عقائدها، فمسكونية أى عالمية خاصة بكل الأرض المسكونة، وهذا المجمع قد حضره ٢٦٥٠ من الأساقفة والكرادلة من كافة الأقطار والأجناس، وقد امتد انعقاده من ١١ أكتوبر عام ١٩٦٢م وحتى ٨ ديسمبر ١٩٦٥م. وهذا المجمع قد وحد القوى الصليبية قديمها وحديثها، وعدل من المعتقدات الدينية لكنائسها المتباينة لتتقارب الأضداد، ويتحد الصليبيون القدامى بالصليبيين الجدد، ويجمع إبليس جنده، تحت لواء الصليب، وقد أسفر جمعهم عن عدة قرارات أهمها :

* تبرئة اليهود من دم المسيح. فبعد إدانتهم قرونا اقتضت المصالح الكاثوليكية التنازل عن مبادئها التى كانت راسخة، وبرأت اليهود من دم المسيح وقد بالغت بعد ذلك

(١) يشير اسم « فاتيكان واحد » إلى المجمع المسكونى الأول الذى عقد سنة ١٨٦٩م.

فى خدمة المصالح الصهيونية فطالبت الفاتيكان بتغيير آيات من الإنجيل لصالح إسرائيل، وصدق الله العظيم القائل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)﴾ [البقرة: ٧٩]

* إعلان الحملة الصليبية الجديدة باقتلاع الإسلام بعد اقتلاع الشيوعية. وقد حدد لذلك التسعينات من القرن العشرين. حيث إن حساباته الخاطئة قد صورت له أن الوهن الذى أصاب الأمة سوف يؤدى إلى انهيارها فى التسعينات أو يبدأ الانهيار فى هذا التوقيت، وقد صرح بهذا جورج بوش الابن مثلما أوضحنا سابقا. ولكن مثل هذه القرارات والتصريحات تذكرنا بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١)﴾ [يوسف: ٢١].

* توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما. أى توحيد جهودها ضد عدوها المشترك المتمثل فى الإسلام وأهله، حيث إن الكنائس لم تزل عقائدها متباينة حيث إن الاختلافات جوهرية ولا يمكن التقريب بينها، خاصة فى فهم ألوهية المسيح أهو الرب ذاته أم جزءٌ منه ؟ وهل مريم أمٌّ للإله أم لا؟ وهل الصلاة يوم الأحد أم أن ذلك محرف عن أصل الصلاة يوم السبت ؟ وعن طبيعة الاعتراف، والغفران، وفهم النصوص وتأويلها . . . . . إلى آخر ما لا حصر له من الاختلافات.

- أماط النصارى الصهاينة اللئام اليوم عن وجههم القبيح بعد أن أعلنوها حربا صليبية صريحة، وبدأوا حملتهم العسكرية الشاملة على بلاد الإسلام فلم تعد المعاول الخفية فقط هى التى تعمل فى جسد الأمة، ففى فلسطين يقومون بالإحلال بدلا من الاحتلال، وهو إحلال شعب صهيونى يهودى بدلا من شعبها العربى المسلم، وظلوا يدعمون إسرائيل سياسيا واقتصاديا وإعلاميا وعسكريا ونوويا لإبادة الشعب الفلسطينى، وعادوا لحملات الاحتلال المسلح فجيشوا جيوشهم فى أفغانستان للقضاء على المنادين بالحكم الإسلامى، وبدأوا فى نهب خيراتها ووضعوا حكومة تعمل تحت مظلة الاحتلال النصرانى الصهيونى، ثم جيشوا جيوشهم واحتلوا العراق، وبدأوا فى نهب ثرواتها وبترولها، وعملوا على إثارة الفتنة بين طوائفها وعشائرها حتى

تكون الإبادة والقتل بأيديهم وبأيدى العراقيين ، ووضعوا حكومة تعمل تحت مظلة الاحتلال النصرانى الصهيونى . وراحوا يعدون العدة لسوريا ولبنان ، وإن كان الله قد نصر حزب الله نصرا مؤزراً ، مما جعل الصهاينة يسعون لضرب حزب الله وتقليص قدراته العسكرية بأيدى لبنانية أو عربية تسبق يد الصهاينة ، ولكن الله غالب على أمره وقد أورد بكتابه العزيز ﴿﴾ [الحج :]

ـ بينّا من خلال صفحات هذا الكتاب الخطط والمكائد والمؤامرات التى تمثل معاول الهدم بالأمة حتى نعى بما يحاك ضدنا من مؤامرات ، و الوعى هو سلاح الردع الأول ، وتقوم خطة النيل منا على استخدام عدة معاول مجتمعة وهى مازالت تعمل فى جسد الأمة حتى يو منا هذا بالسبل والأساليب الآتية :

أولا : لاحظ العدو أن الاسلام ينتشر بسرعة بين الناس ، فيدخلون فى دين الله أفواجا ، وما إن يدخلوا الإسلام حتى يصبحوا فى قوة بعد ضعف ، وعزة بعد ذلة ، وحياة يملؤها الجهاد والاجتهاد لنصرة دين الله وجماعة المسلمين ، فأول ما يقوم به العدو هو القيام بحركة تطويق للإسلام ، وإنشاء حاجز فاصل بين الإسلام وغير المسلمين ، ليصرفوا الناس عنه ، وذلك بتشويه صورة الإسلام والمسلمين فى أعين الناس ، وتشويه صورة سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . ثم يطوقون المسلمين أنفسهم بسياج استعداء الأمم للمسلمين ، وبث الكراهية للمسلمين فى نفوس الأمم . وكسر هذا الحصار وإبطال مفعول هذا المعول يقع على عاتق المسلمين أنفسهم ، لأن الدعوة إلى الإسلام أمانة فى أعناق المسلمين فالأمر بالمعروف هو إظهار حقيقة هذا الدين القويم الذى يحث على عبادة الله ومكارم الأخلاق ، أما النهى عن المنكر فهو بإظهار أباطيل ومفاسد ما سواه من معتقدات خاصة وأن وسائل الاتصال والتواصل صارت ميسرة ومتاحة من خلال شبكة الإنترنت التى جعلت العالم قرية صغيرة .

ثانيا : بعد إجراء التطويق والحصار يبدأ التعامل مع ما هو داخل حدود التطويق ، وهو يشمل استهداف عنصرين الأول وهو الإسلام نفسه ، أما العنصر الثانى فهو المسلمون . ويستهدف الإسلام من زاويتين أساسيتين ، الزاوية الأولى وهى الإسلام من حيث كونه شريعة وأحكاما ، وهى تخص جميع شئون الحياة من عبادات ومعاملات ،

ثم الزاوية الثانية وهى الإسلام من حيث كونه عقيدة أى أيدلوجية وفكرا يعتنقه عباد الله.

وأول معول يضربون به الشريعة هى الوقوف فى طريق تطبيقها بالمجتمعات المسلمة مهما كلفهم الأمر، فتطبيق الشريعة هى الطريق المؤدية لصلاح الأمة واستقامة أحوالها وإعادة نهضتها. فالشريعة الإسلامية ليست كما يصورها على أنها مجرد أحكام للقصاص والانتقام كقطع يد السارق ورجم الزانى وما إلى ذلك من حدود هى جزء من منظومة متكاملة تجعل السارق فى غير حاجة للسرقة، وتسمو بالمرء عن الرذيلة والآثام.

ثالثا : أما تناول شريعة الإسلام فهناك أربعة مواضع :

* الأول وهو الحيلولة دون تطبيق الشريعة الإسلامية، حيث إنها الطريق إلى نهضة الأمة وصلاح أحوالها. الثانى وهو المذاهب الفقهية التى تعرفنا أحكام ديننا الحنيف، وقد وجهوا لها معولين : الأول وهو إنكار المذاهب جملة وتفصيلا وأخذ الأحكام مباشرة من النصوص دون الرجوع إلى الأصول الفقهية لاستنباط الأحكام، فتكون معايير استنباط الأحكام وفهم النصوص قائمة على الأهواء والرؤى الشخصية بدلا من المنهج العلمى أما المعول الثانى فهو معول التعصب المذهبى الذى يقوم على نصرة المذهب دونما علم، ودونما معرفة أن للحقيقة والصواب أكثر من وجه، وللمسألة أكثر من حكم، ويقف التعصب حائلا دون المعرفة والعلم.

رابعا : الموضوع الثانى من زاوية الشريعة بعد رفض المذاهب واستبدالها بالأخذ بالنصوص فالمعاول التالية غايتها النيل من النصوص ذاتها، ونصوص مصادر التشريع عندنا هى القرآن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

* فأما المعاول التى تحاول النيل من القرآن الكريم فهى بتمزيقه إلى كتابين، أحدهما وهو قرآن مكى، وآخر مدنى، واعتبار أن المكى صالح لكل زمان ومكان، وهو أصل التشريع ومنه تؤخذ جميع الأحكام الشرعية، أما المدنى فقد كانت أحكامه تخص مقتضيات مقام الرسول ﷺ بالمدينة، وبهذا يشطرون القرآن، ويلغون

نصفه، واللبيب يعرف أن ما ورد فى اليهود وفضح أحوالهم ما كان إلا بالمدينة بعد الهجرة، فمن رفض المذاهب وأخذ بالنصوص فقد ألغى نصف المصدر الأول للتشريع.

* والمعول الثانى للنيل من القرآن الكريم هو معول الطعن بالقرآن لوجود الآيات الناسخة، والآيات المنسوخة استغلالا لجهل العامة بقضية تدرج الأحكام وأسباب النسخ. وهى قضية علمية يعلمها المتخصصون فى علوم الدين حتى صغار طلاب العلم الدينى.

خامسًا: المعاول التى تنال من السنة النبوية المطهرة:

* وأولها معول رفض السنة والأحاديث برمتها، ومن يستخدمون هذا المعول يقولون بالقرآن وكفى، فيرفضون الأخذ بما ورد فى السنة من أثر، فيهدمون المصدر الثانى لنصوص التشريع فى الوقت الذى يحاولون فيه هدم نصف القرآن.

* أما المعول الثانى فهو المعول الطعن فى الكتب التى جمعت الأحاديث الصحيحة كصحيح البخارى وصحيح مسلم والترمذى.... إلى آخر كتب الصحاح، والمعول الثالث معول الطعن فى رواة الأحاديث ومن يستخدمون هذا المعول يجهلون أو يستغلون جهل العامة بعلوم الحديث ويستبدلون المنهج العلمى فى رد الحديث وقبوله بالأهواء الشخصية.

سادسًا: معاول هدم العقيدة وهى تتم بخلق فرق وجماعات تدعى انتماءها للإسلام، وهى بعيدة كل البعد عنه، ولكنها تستهدف زعزعة عقيدة المسلمين، وفى الحقيقة أنها كثيرة جدًا، ولكنى سقت أكثرهاخطورة وأوسعها انتشارًا مثل: معول الماسونية ويتلون ممسكوه بأسماء بعض النوادى الإجتماعية، ومعول البهائية وقد أطل رأس أفعتها على سطح المجتمع فى مصر ويجد أبواقا تروج لحماية دعاة ضلالاتها تحت رايات حقوق الأقليات والمواطنة وغيرها من شعارات يقصد بها تدعيم أعداء الإسلام العاملين فى المجتمعات المسلمة، ومعول القاديانية وقد انتشر عبر القنوات الفضائية التى تبث زعاف سمومها بجميع لغات العالم، ومعول الإخوان الجمهوريين بالسودان.

سابعًا : بعد الانتهاء من استعراض معاول القضاء على الإسلام، ننتقل إلى معاول إبادة المسلمين، وقبل الانتقال نجد أن الرباط الذى يربط المسلمين بالدين الإسلامى ومفاهيمه ونصوصه هو رباط اللغة العربية، ولذلك قد ركز العدوالصهيونى الصليبى ضرباته للغة العربية فمنها معاول تتناول اللغة من خلال الإعلام، ومنها :

* من خلال الإعلام نجد أن أفلام الأطفال الكاتون التى تتم لها عمليات دوبلاج، كانت من قبل باللغة العرببية الفصيحة أما الآن فتتم باللهجة العامية الركيكة، كى لا ينشأ أولادنا وتهتاد آذانهم على سماع اللغة العربية الفصحى، وكذلك عناوين البرامج التى يقدمها التليفزيون الآن كثير منها قد أصبح معنونا بالعامية، هناك قناة فضائية قد أنشأها أحد أقطاب النصرانية الصهيونية بمصر تحارب الفصحى وجل حديثها بالعامية المصرية فقط حتى نشرة الأخبار.

* وكذلك معول ظهور المنادين بتدوين العامية فى الصحف ووسائل الإعلام المقروءة، وإحياء اللهجات العامية على حساب الفصحى.

* كذلك معول السخرية من المتحدثين باللغة الفصحى من خلال الأعمال الدرامية من أفلام ومسلسلات وخلافه.

* أما عن اللغة والتعليم فهناك معول وضع مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها، إذ تتبع فى مراحل تدريسها المختلفة أساليب غربية للتدريس لا تتوافق مع تدريس اللغة العربية، كما أن الكتب المدرسية تفتقد لعناصر الجذب بل منفرة فى معظم الأحيان.

* معول رفع شأن التعليم باللغات الأجنبية عن التعليم باللغة العربية. وإقامة جامعات أجنبية تدرّس بلغاتها كالجامعة الأمريكية والبريطانية والفرنسية والألمانية، وتكسبها الدولة وجاهة عن الجامعات الإقليمية.

* معول هدم الكتابة العربية بالرسم الذى كتب به القرآن الكريم، واستخدام بدعة لغة الشات حيث تكتب الكلمات العربية باللهجة العامية وبالأحرف اللآتينية وتستبدل بعض الأحرف التى لا تنطقها اللاتينية بكتابة أرقام أجنبية بدلا منها. وأظن أن هذا العمل مهانة للغة القرآن الكريم، وهذه المهانة تحّرم هذه الطريقة فى الكتابة.

ثامنًا : يستخدم العدو الصهيونى الصليبى معاول شتى وأساليب عديدة وصولا إلى التفرقة بين الأشقاء، وقد كشف بنفسه عن المؤامرة التى أطلق عليها اسم الشرق الأوسط الجديد، حيث تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ، كما زرعوا الفرقة والفتنة القديمة بين السنة والشيعة وراحوا يبحثون عن بواطن الخلافات التاريخية فيعمقونها ويبثون فيها سما جديدا، وفكرا حديثا حتى لا تبرد جذوتها ويظل الصراع محتدما، وكذلك بين كل الأشقاء، نزاعات عرقية، نزاعات إقليمية.

تاسعًا : معول تولية الحكام الظلمة واستقطاب ذوى المناصب العالية، فمن العوامل التى تصيب الأمة بالوهن، انتشار الظلم والفساد، وهما صنوان مرتبطان ببعضهما ارتباطا عضويا ولذلك يقوم الصليبيون الصهاينة بمساندة بعض أعوانهم لينقضوا على كراسى الحكم فى بلاد المسلمين. أو يستقطبونهم أنفسهم أوبطانتهم أو بعض بطانتهم، ليكونوا عملاء يبيعون آخرتهم بدنياهم، ويعملون لصالح أعداء الأمة.

عاشرًا : معول إفساد الدعوة والدعاة. إذ تفتح وسائل الإعلام أبوابها لعلماء السلطة، أو علماء الولاء وهم طوع إشارة الحكام، يحلون لهم الحرام، ويحرمون الحلال، وينكرون على العلماء العاملين. وعلماء السوء يقولون ولا يفعلون، ويستحلون ما يحرمونه على الناس.

حادى عشر : معول تفشى الفساد وانتشار مظاهره فى المجتمعات المسلمة بكافة مستوياتها الاجتماعية.

ثانى عشر : معاول طمس الهوية والانتماء للدين والوطن.

ثالث عشر : معول التضليل المسمى بالتبشير.

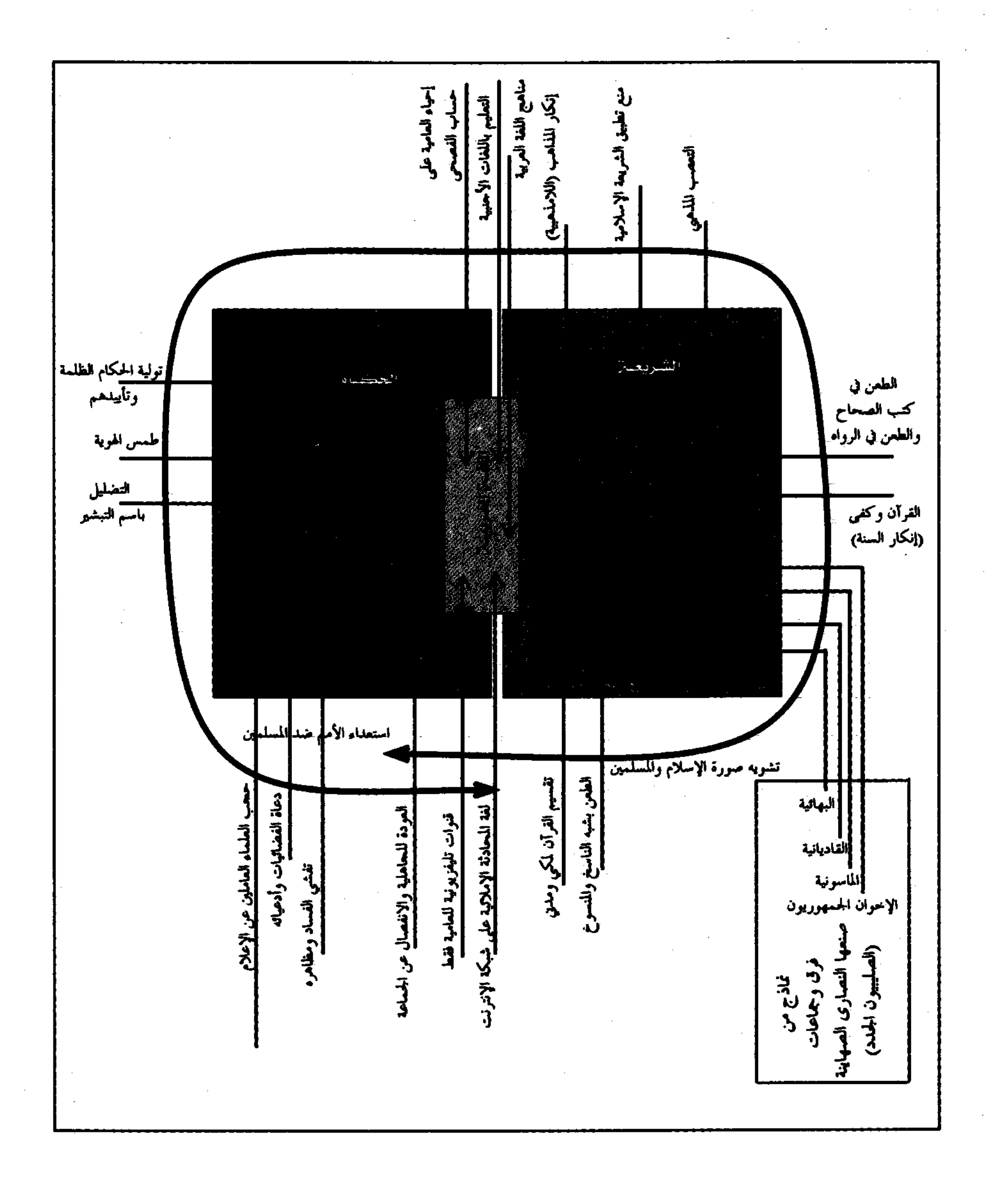
رابع عشر : معول العودة للجاهلية، بالانفصال عن جماعة المسلمين.

خامس عشر : معول التصفية الجسدية لنوابغ الأمة وعلمائها فى كافة المجالات العلمية والأدبيةو والتاريخية والجغرافية.

ومنذ زمان وهذه المعاول التى بيّناها تعمل فينا، فالله الله أناشدكم ألا غفلة بعد اليوم، قد بينا مآربهم، وأماكن الطعنات، وعلى إثر استخدام هذه المعاول تمكن العدو

الصهيونى الصليبى من إلحاق النكبة من ستين عاما وأوجدوا لإسرائيل، وبعدها جاءت النكسة، وسقطت القدس فى أيديهم، واليوم يدخل الصراع مرحلة استعمال السلاح الذى فشل سابقا حيث كانت الأمة قوية بلا وهن، فلم تكن معاول الهدم قد نالت من جسدها، أما اليوم ومع استمرار عمل تلك المعاول فينا مع غفلتنا عنها فإنا بعد النكبة والنكسة فى طريقنا إلى الكارثة. وإلى القارئ أضع هذا الرسم التوضيحى للمخطط الصهيونى الصليبى للقضاء على الإسلام وإبادة أهله لعله يذكرنا دائما بقضيتنا حتى لا نغفل عنها، حكاما ومحكومين، ولينظر كل مسلم كيف يدرأ عن أمته الأضرار، كل منا فى حياته اليومية سيقف على ثغر من ثغور الإسلام، وسيرى معاول الهدم أمام ناظريه، كل فليقاوم على حسب قدره وقدرته، ويد الله مع الجماعة، فلنستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ولنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

***



رسم توضيحي يبين معاول الهدم التي يستخدمها أعداء الإسلام من الصهاينة الصليبيين
كما يبين المواضع التي يتم فيها الطعن والضرب لهدم الإسلام وإبادة أهله

مراجع الكتاب

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: المعاجم والموسوعات

١ ـ معجم البلدان لياقوت الحموى

٢ ـ معجم ألفاظ العقيدة

٣ـ المعجم الوسيط

٤ ـ معجم ما استعجم للبكرى

٥ ـ ويكيبيديا الموسوعة الحرة. (موسوعة إليكترونية)

ثالثا: المراجع العربية

١ ـ أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، مكتبة الشروق، القاهرة , ١٩٩٤

٢ ـ د. أحمد شلبى : صراع الحضارات فى القرن الحادى والعشرين. .

٣ ـ د. أسامه محمد أبونحل الأستاذ المساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الأزهر ـ غزة : حدود مملكة داود بين روايات العهد القديم والدراسات الحديثة.

٤ ـ إكرامى لمعى : الاختراق الصهيونى للمسيحية

٥ ـ الإمام العارف بالله : السيد أحمد مشهور بن طه الحداد : مفتاح الجنة. دار الحاوى. دمشق. الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

٦ـ د السيد أمين شلبى : أمريكا والعالم متابعات فى السياسة الخارجية الأمريكية ٢٠٠٠ـ٢٠٠٥م. عالم الكتب. القاهرة

٧ـ د. بيان نويهض الحوت: فلسطين: التاريخ السياسى من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (١٩١٧)، ط١، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩١.

٨ـ توماس طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى، ترجمة: صالح على سوادح، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥.

٩ـ حازم هاشم : المؤامرة الإسرائيلية على العقل المصرى (أسرار و وثائق) دار المستقبل العربى ١٩٨٦م.

١٠ـرجاء جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. ترجمه عن الفرنسية قسم الترجمة بدار الغد العربى. الطبعة الأولى. القاهرة. ١٩٩٦م

١١ـرجاء جارودى: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة دار التراث، القاهرة, ١٩٨٦

١٢ـ رضا هلال : المسيح اليهودى ونهاية العالم. مكتبة الشروق. القاهرة ٢٠٠١م

١٣ـ رضا هلال : أمريكا الحلم والسياسة : من أوراق التغريبة الأمريكية، القاهرة، الحضارة للنشر

١٤ـ رضا هلال : مصالحة بين الفاتيكان وأورشليم أو مسيحية صهيونية صاعدة. الحياة (لندن) ٢٩مارس ١٩٩٨م.

١٥ـ ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ الغربى. ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز. سلسلة عالم المعرفة العدد, ٩٦ الكويت ١٩٨٥

١٦ـ زينات بيطار : علم الآثار الفلسطينى فى يد الباحثين الغربيين الإسرائيلين. مقال منشور على الإنترنت موقع تاريخ فلسطين أ. د زينب عبد العزيز : حرب صليبية بكل المقاييس. سلسلة : صليبية الغرب وحضارته. دار الكتاب العربى. دمشق ـ القاهرة.

١٧ـ أ. د زينب عبد العزيز : حرب صليبية بكل المقاييس، سلسلة صليبية الغرب وحضارته. دار الكتاب العربى. القاهرة ـ دمشق ٢٠٠٣م.

١٨ ـ عادل المعلم : مقدمة فى الأصولية المسيحية فى أمريكا والرئيس الذى استدعاه الله . مكتبة الشروق الدولية . . الطبعة الثانية . القاهرة ٢٠٠٤م .

١٩ ـ عبد الله بركات : مفهوم الأصولية الإسلامية عند الغربيين (عرض ونقد) . طبعة المؤلف .

٢٠ ـ الشيخ عبد الودود شلبى : الأزهر إلى أين ؟ . دار الاعتصام . ١٩٩٢

٢١ ـ د عبد الوهاب المسيرى : اليد الخفية دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية . دار الشروق ١٩٩٨م

٢٢ ـ د عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية . الموجزة فى جزأين . المجلد الثانى . دار الشروق القاهرة . الطبعة الثانية . ٢٠٠٥م . ص ١٩٧

٢٣ ـ عيسى عودة برهومة : التكوين التاريخى لفلسطين ، قضايا دولية ، العدد , ٢٦١

٢٤ ـ الطيب بو غـزة (الكاتب المغـربى) : فى نقـد الدلالة الاصطلاحـيـة للفظ الصهيونية . مقالة على موقع قناة الجزيرة www.aljazera.net

٢٥ ـ د قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية . عالم المعرفة . الكويت . ١٩٩٠

٢٦ ـ كارين أرمسترونج و د . فاطمة نصر و د . محمد عنانى : معارك فى سبيل الإله (الحركات الأصولية الدينية فى اليهودية والمسيحية والإسلام) . القاهرة . الطبعة الأولى ٢٠٠٠م . ص ١٧

٢٧ ـ كيت وايتلام ك اختلاق إسرائيل . إسكات التاريخ الفلسطينى . ترجمة سحر الهنيدى . مراجعة فؤاد زكريا . الكويت . ١٩٩٩م . د مانع الجهمى : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . دار الندوة . الطبعة الخامسة . ٢٠٠٢م

٢٨ ـ ماهر محمد حسنى يوسف : الصفحة السوداء للكتاب المقدس . دار الكتاب العربى . دمشق . القاهرة . ٢٠٠٦م

٢٩ ـ محمد إبراهيم الشربينى صقر : الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية . طبعة المؤلف . القاهرة ٢٠٠٣

٣٠ ـ محمد إبراهيم كامل : السلام الضائع فى اتفاقيات كامب ديفيد : مذكرات وزير خارجية مصر الذى استقال فى كامب ديفيد أثناء مسرحية المفاوضات التى لعبها السادات مع أمريكا وإسرائيل .

٣١ـ محمد على دوله : مقدمة كتاب أمريكا وإسرائيل (دراسة لدور الفكر الدينى فى الدعم الأمريكى لإسرائيل . للدكتور محمد معروف الدواليبى . دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت ١٩٨٩م .

٣٢ـ د محمد عمارة : الأصولية بين الغرب والإسلام . دار الشروق . القاهرة . ١٩٩٨

٣٣ـ محمد معروف الدواليبى : أمريكا وإسرائيل دراسة لدور الفكر الدينى فى الدعم الأمريكى لإسرائيل . دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت . ١٩٨٩ / .

٣٤ـ محمد نجيب المطيعى : حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة١٩٨٦ ,

٣٥ـ د محمود زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى .

٣٦ـ محمود محمد شاكر : رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا . الهيئة المصرية العامة للكتاب . طبعة ٢٠٠٢م .

٣٧ـ مصطفى صادق الرافعى : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . الطبعة الثالثة . طبعت على نفقة ملك مصر أحمد فؤاد الأول عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م . مطبعة المقتطف والمقطم بمصر .

٣٨ـ ناشد حنا : الاختطاف ـ الضيقة العظيمة ـ الظهور . كنيسة الإخوة . القاهرة

٣٩ـ ول ديورانت : قصة الحضارة الجزء ٢٥ . ترجمة فؤاد أندراوس و محمد على أبو درة . مكتبة الأسرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠٠

٤٠ـ ياسر حسين، محمد بسيونى : الحروب المقدسة (أمريكا والمسيحية الصهيونية) . دار البروج للنشر . القاهره .

٤١ـ د يوسف راعى . الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ٢٠٠٣ .

رابعًا: المراجع الأجنبية

1. Fraz Kobler, The Vision was there(London)
2. Harold Bloom : The American Religion . New York, Simon&Schuster.1992
3. John Milton : Paradise Regained , London ,1936

4. Michele Dillon,Rome And American Catholics,In: The Annals,July,1998
5. Robert W .Stookey , The Rebirth and Destiny of Israel (New York) 1954 p 24
6. Runciman, A History of The Crusades,vol.1.pp39- 44